COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU69173044
150 Ib5
al-Shakhsiyah / tali

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

سر الشخصية

تأليف

محمد عطية الابراشي

خريج جامعتي اكستر ولندن

وأستاذ التربية وعلم النفس بدار العلوم

ملتزم طبعه ونشره

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

150
I65

45-39141

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

قررت وزارة المعارف هذا الكتاب للسنة الثانية من المدارس الثانوية

C 915 Teachers 25/6/45
318

الشخصية

تأليف

محمد عطية الإبراشي

خريج جامعتي اكسفورد ولندن

المدرس بدار العلوم

حقوق الطبع والنقل محفوظة للمؤلف

الطبعة الرابعة ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م

منقحة ومزيدة

ملتزم طبعه ونشره

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

45-39141

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلىّ القدير ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم .

وبعد ، فإن أكبر دليل على توفيق الله ، وتشجيع القراء نفاد الطبعة الأولى من كتاب « الشخصية » بعد ظهوره بأشهر قليلة .

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأقدم للقراء ، وللصحافة العربية ، ولكل من قرظه ونقده جزيل الشكر ، ووافر الثناء على ما قاموا به من تشجيع وبحث وتمحيص ، وما كتبوه عنه من مقالات ، وما قدموه من إرشادات .

وللرغبة فى الوصول إلى الحقيقة أعدت النظر فيه ، ونقحته ، وأضفت إليه كثيراً من الاستشهادات ؛ توضيحاً لما فيه من النظريات .

والآن يسرنى أن أتقدم به إلى القراء فى صورة أخرى جديدة ، وكان رائدى دائما البعد عن الخفاء والالتواء فى شرح الحقائق . وقد

ضبطت الكلمات الصعبة وشرحتها ؛ حتى لا أثقل على القارئ فى البحث عن ضبطها ومعانيها .

وإنى بما ذكرت من أخبار الأبطال ، والعظماء من الرجال ، الشرقيين والغربيين ؛ وبما أوردت من حكمهم البالغة ، وكلماتهم المأثورة ؛ وبما وضحت من النظريات العلمية التى زكتها التجارب ، ودعمتها البراهين من علوم النفس والأخلاق والاجتماع — أرجو أن يوفقنى الله إلى تمهيد سبل العلم للراغبين فيه ، وتقويم المعوجّ من الأخلاق ، وتكوين شخصيات عظيمة تكون عماداً لمصر فى حاضرها ؛ وقِوَامًا لها فى مستقبلها ؛ لتعيد مجدها الماضى ، وحضارتها الخالدة .

هذا وقد فصلت الفهرس فى آخر الكتاب تفصيلا يسهل على القارئ معرفة ما يحتاج إليه من الآراء والنظريات والاستشهادات .

والله المستعان ، وهو حسبى ، ونعم الوكيل ؟

محمد عطية الابراشى

مايو سنة ١٩٣٧ م
ربيع الأول سنة ١٣٥٦ هـ

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد فقد كتب كثير من علماء النفس عن الشخصية ، وأثرها فى الحياة الإنسانية ، وكتبنا عنها فصلاً فى كتابنا[1] « فى علم النفس » ، ولكن عنَّ لى فيما بعد أن موضوعًا كالشخصية يحتاج إلى كثير من التفصيل والتمثيل . والآن يسرنى أن أتقدم إلى قراء العربية ، وبخاصة شبان اليوم ورجال الغد ، بذلك الكتاب — إن صح أن نسميه كتاباً — عن المثل الأعلى للشخصية ؛ راجياً أن يكون ذلك المثل خير قدوة للطلبة والطالبات ، والآباء والأمهات .

ولا أدَّعى أنى كتبت أو أستطيع أن أكتب ، كل ما يتعلق بالشخصية فى كتاب ؛ فكل ناحية من نواحيها تتطلب كتاباً خاصًّا .

---

(١) انظر الفصل الأخير من الجزء الثالث من كتاب « فى علم النفس » تأليف الأستاذين حامد عبد القادر ، ومحمد عطيه الإبراشى .

وقد حاولت ألا يكون الأسلوب علميًا جافًا ، ووضحته بكثير من الشواهد الأدبية المتصلة بالناحية العلمية للشخصية ، فجاء سهل اللفظ ، واضح العبارة .

فإذا نجحت فى توضيح ذلك البحث فذلك ما أبغيه ، وإذا وفقت فى أن يكون لتلك الرسالة أثر فى تكوين شخصيات مصرية قوية ، تكون دعامة متينة ، وذخيرة نفيسة لمصر الحديثة ، فهذا كل ما آمله وأرجوه . أسأل الله الهداية والتوفيق ؟

محمد عطية الابراشى

الأحد { ١٨ من رجب سنة ١٣٥٥ هـ .
{ ٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٦ م .

الفصل الأول

الشخصيـــة

مقدمة : —

إذا تقدَّمَ أحدُ أقاربك منَ الشبانِ إلى وظيفةٍ من الوظائفِ ، ثم سُئِلتَ عمَّا تعرفهُ عنه بالتفصيل فقدْ تُجيبُ بأنه شابٌّ أمينٌ نزيهٌ ، صادقٌ فى قولِه ، كريمُ الخُلقِ ، حسنُ السلوكِ ، سليمُ القلبِ ، طاهر السريرةِ[1] ، كثيرُ التفاؤلِ ، قليلُ التشاؤمِ ، يقولُ ما يعتقدُ ، ويعتقدُ ما يقولُ . هذا من الوجهةِ الخُلقية ؛ أما من الوجهةِ العقليةِ فهو : ذكيٌّ ، حاضرُ البديهةِ[2] ، حسنُ البصيرةِ[3] ، صافى الذِّهنِ ، صادقُ الحِسِّ . وأمَّا من الناحيةِ الاجتماعيةِ فهو : محبٌّ للتعاوُنِ ، عدوٌّ للأَثَرَةِ[4] ، يشاركُ الناسَ فى مَسرَّاتِهم ، ويُؤاسِيهم[5] فى أحزانِهم ، يُوقِّرُ[6] الكبير ، ويَعطفُ على الصغيرِ ، مطيعٌ للرئيسِ ، وَفِيٌّ للنظيرِ . وأمَّا من الناحيةِ الجسميةِ ، فهُوَ قويُّ الجسمِ ، مُعتدِلُ القامة ، حسنُ

(١) السر الذى يكتم . (٢) الذهن . (٣) الحجة .
(٤) حب النفس والاستبداد بالشىء . (٥) يعزيهم . (٦) يعظم .

الهيئةِ ، جميلُ الذَّوقِ . وأما من الوجهتينِ العلميةِ والعمليةِ ، فهو : مثلٌ فى النشاطِ وأداءِ الواجبِ ، واسعُ الاطلاع ، غزيرُ المادَّةِ . . . وما إليها من الصِّفاتِ المختلفةِ التى يتصفُ بها ذلك المثلُ الأعلى من الشباب .

فمجموعُ هذه الصفاتِ يُصَوِّرُ الشخصيَّة العليا بصورةٍ واضحةٍ مفصَّلةٍ . وقد أثبتَ علمُ النفس التطبيقيُّ أن قوَّةَ الشخصيةِ شرطٌ أساسىٌّ للنجاحِ فى الحياة ، وأن المؤهِّلاتِ العلميَّةَ وحدَها لا تكفى للنجاح ، بل يجبُ أن تُصْحَبَ بالشخصيةِ القوية ؛ فكثيرُونَ من الأطباء والمدرِّسين والمحامين وغيرهم ، قد أخفقوا فى حياتِهم العمليةِ لضعفِ شخصياتِهم ، مع كفايتِهم من الوجهةِ العلمية[1] .

ولكنْ ما تلك الشخصيةُ التى طَالَمَا سمعْنا الناسَ — ولا نزالُ نَسمعُهم — يتكلمونَ عنها ، ولا ندرِى من أَمرِها شيئاً ؟ وإجابةً عن هذا السؤالِ نقول :

---

(١) ولا يفهم مطلقاً مما تقدم أن الشخصية مقصورة على الصفات المحمودة ، بل إن هناك أشخاصاً ذوى شخصيات معروفة متصفين بصفات ممقوتة ؛ كالخيانة واللؤم ، والتشاؤم ، والخداع ، والغباوة ، والأثرة ، وحب العزلة ، وقبح المنظر ، والحمق ، والمهارة فى التلصص .

تعريف الشخصية :

ليس من السهل أن نُحَدِّدَ الشخصية ، ونُعَرِّفَها تعريفاً علمياً جامعاً مانعاً ؛ فهى كالكهربا والمغناطيسية والمِذياعِ « الراديو » — لا تعرَّف إلا بآثارِها ، ولكنَّ هذا كلَّه لا يمنعُنا أن نحاولَ البحثَ عن سِرِّهَا وتعريفِها تعريفاً تقريبياً ، فنقول : —

(١) الشخصيةُ : هى مجموعُ الصفاتِ والمزايا الذاتيةِ التى يمتازُ بها الشخصُ من غيرِه[1] . أو هى :

(٢) مجموعةُ الصفاتِ العقليةِ والخُلُقية والجسميةِ والإراديةِ التى يُتَوَّجُ بها الإنسان . أو هى :

(٣) مجموعةُ الفروقِ التى تُميِّزُ الشخصَ عن غيرِه .

والحقُّ أن هذه التعريفاتِ كلَّها تقريبية ، وأن الشخصيةَ لا يمكنُ تحليلُها إلى عناصِرِها الأوَّليةِ تحليلا مُحسًّا ، ولكنها تَبدُو لنا فى مِقدارِ ماعند الشخصِ من الاستقلالِ الفِكرى ، وحُضُورِ البديهةِ ، وسُرْعَةِ الخاطر ، وقوةِ الروح . . . وهى كالحُبِّ والكُرْهِ اللَّذَيْنِ لا يمكنُ تعليلهما عادة ؛ فقد تحِبُّ شخصاً أو تُبغِضُه لمجردِ رؤيتِه بدونِ معرفة

(١) سواء أكانت تلك الصفات حسنة أم قبيحة .

سابقة، وربما لا يمكنك إبداء السبب، وكل ما تستطيع أن تذكره هو أن تقول: إنى أحبه أو لا أحبه؛ أما السبب فلا يمكن تعليله؛ لأنه أمر معنوى، وسر خفى يتعلق بشخصية ذلك الرجل. وفى الأثر: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»؛ أى الأرواح جنود مجتمعة، فالتى بينها تعارف وتوافق يألف بعضها بعضاً، ويسر بلقائه، ويفرح باجتماعه، لاتفاق فى المبدأ، وتقارب فى الروح.

وقد يكون الشعور بالحب أو البغض ناشئاً عن صفات أو عيوب خاصة فى الشخص الذى نعرفه ونقابله من حين لآخر؛ فنحن نحب فلاناً مثلاً؛ لأنه مخلص، كريم، شجاع، متفائل، يؤاسى الفقير، ويساعد البائس. ونكره فلاناً؛ لأنه لا يعرف الإخلاص، والإخلاص لا يعرفه، يتمثل فيه البخل، والجبن، والتشاؤم، والقسوة، والغلظة، لا يحن إلى مسكين، ولا يتألم لحزين. وفى مثل تلك الأحوال نعرف إلى حد ما سبب المحبة أو الكراهية، ولكن ليس ذلك بسهل دائماً؛ فقد نحب الشخص لمظاهره، أو نكرهه لتلك

المظاهر ، ولا يمكننا أن نوضِّحَ الأسبابَ التى جَذَبتْنَا إليه ، أو التى نفَّرتنا منه . والسببُ الجوهرىُّ هو أنَّ شخصيَّتهُ محبوبةٌ أو مكروهةٌ .

الشخصية هبة فطرية[1] أم صفة مكتسبة ؟

الجواب أن الشخصيةَ تُوهَب بالفِطرة[2] ، وقد تُكْتَسَبُ بالتربيةِ الحقَّةِ ، ولكنَّ الفِطريةَ أقوَى من المكتَسَبةِ . ولو كانت الشخصيةُ هبَةً طَبيعيةً فحَسْبُ لكنَّا ضحايا الظروفِ ، وما كان للتربيةِ أىُّ أثرٍ فى تكوينِ العظماء من رجالِ الدين والعلمِ والأدبِ والفنِّ ، ولكنَّ أثرَها لا يُنكَرُ فى تكوينِ الشخصيةِ والعظمةِ فى نفوسِ العظماء . وهنا نسأل : هلْ قامت التربيةُ وقام المُرَبُّونَ حقًّا بواجبهم نحوَ تربيةِ الشخصية ؟ هلْ قامُوا بواجبهم وقد صِرْنَا نفكرُ فيما فكرَ فيه غيرُنا ، ونتكلمُ بما قاله سوانا ، ونفعلُ مثلَ مَن سَبقَنا ؟ إنَّنا صِرْنَا مُقَلِّدين فى أفكارِنا وأقوالِنا وأفعالِنا ، مُهملين أنفسَنا وشخصياتِنا ؛ لأن التربيةَ تربيةٌ اتكاليةٌ ، لا تعرِفُ معنى الثقةِ بالنفسِ ، والاعتمادِ على النفسِ فى التفكيرِ والقولِ والعملِ . قال صلى الله عليه وسلم : « لا يكنْ أحدُكم إمَّعَةً يقولُ أنا مَع الناسِ ؛ إن

(١) طبيعية . (٢) الطبيعة والخلقة .

أحسنوا أحسنتُ ، وإن أساءوا أسأتُ ، ولكنْ وطِّنوا أنفسكم إن أحسنَ الناسُ أن تحسِنُوا ، وإن أساءوا ألا تُسيئوا معهم . »

وقد نادَى كبارُ المربين وبخاصةٍ « السير برْسِي نَنْ[1] » المربِّى الإنكليزىُّ الكبيرُ بأن الغرضَ من التربيةِ هو تربيةُ الشخصيةِ المستقلةِ. وكُتُبُ التربيةِ فى وَادٍ ، والمدارسُ فى وادٍ آخرَ ؛ فبينما نقولُ : يجبُ أن يُرَبَّى الفردُ تربية كاملةً من كلِّ الوجوهِ جسميًّا وعقليًّا وخُلقيًّا واجتماعيًّا ، نجدُ أن الفردَ مُهمَلٌ إهمالاً تامًّا من جميعِ الوجوهِ ، وأن شخصيتَهُ تُطْبَعُ بالطابَعِ المدرسِىِّ ، وتُصَبُّ فى قالبٍ خاصٍّ فتفقِدُ مظاهرَها الطبيعيةَ ؛ كُلُّ ذلك حبًّا للنظام . ولسْنا ننكرُ أن النظامَ يجبُ أن يكونَ سائداً ، بل إننا ننادِى بالنظامِ ، ونقول دائمًا : النظامُ هو الحياةُ ، والحياةُ هى النظامُ ، ولكننا نعترضُ على الطريقةِ التى بها يَسُودُ ذلك النظامُ ، تلك الطريقةُ التى تقتلُ شخصيةَ الطفلِ ، وتُضْعفُ مواهبَه ، ونُريدُ طريقةً أُخرى بها يَسْتَتِبُّ النظامُ من غير إضرارٍ بعقليةِ الطفلِ أو وجدانِه أو إرادتِه أو جسمِه أو شخصيته . وليستْ هذه الطريقةُ بسهلةٍ ؛ لأنها تتطلَّبُ مشاركة

(١) Sir T. Percy Nunn.

فى الوجدانِ ، وفهماً لكلِّ فردٍ من جهة الذكاء والميولِ والبيئةِ والظروفِ . . . وما ذلك بالأمر الهيِّن ؛ فنحنُ لا نُفكِّرُ إلا فى المظاهرِ والنظامِ الشكلىِّ ، والسكونِ العسكرىِّ ، مهما ضحَّينا فى سبيل هذهِ الأشياءِ من الضحايا . وإذا تحققَّت الثقةُ بين المعلِّم والمتعلِّم ، ووُجِدت الصلةُ الرُّوحيَّةُ بينهما ، فمن المحالِ أن تكونَ هناك صعوبةٌ فى نظامٍ أو غيرِه ، ولن يُضحَّى بشخصيةِ الفردِ أو الأفرادِ بَعدُ .

الاختلاف فى الشخصية

كما أنَّ الناسَ يختلِفون فى الذكاء والميولِ الفِطْريَّةِ ، كذلك يختلفون فى الشخصيةِ . فبينما تجدُ هذا قوىَّ الشخصيةِ ، قد تجدُ ذاك خاملاً ضعيفَ الشخصيةِ ، وكما أن الشخصيةَ تختلفُ باختلافِ الأفرادِ كذلك تختلفُ باختلافِ الشعوبِ ؛ ففى الشخصيةِ الألمانيةِ تتمثَّلُ الروحُ العسكريةُ والطاعةُ العمياء ، والاتِّكالُ على الحكومةِ فى كثيرٍ من الأعمالِ . وفى الشخصيةِ الإنكليزيةِ تبْدُو الثقةُ بالنفسِ ، واحترامُ الذاتِ ، وتقديرُ الحريةِ الشخصيةِ ، والاستماتةُ فى سبيلها . وفى الشخصيةِ الأمريكيةِ تَظهرُ الروحُ العامَّةُ أو « الديموقراطية » ،

وعدمُ الاكتراثِ للتقاليد ؛ لأن أمريكا أُمَّةٌ حديثةٌ لا تقاليدَ لها .

وفى الشخصيةِ الفرنسيةِ تتغلبُ العاطفةُ على التفكيرِ ، والنظرياتُ على الأعمالِ ، وتكثرُ الآمالُ ، والميلُ إلى الخيالِ ، وحُبُّ الظهورِ ؛ فكل فرنسى يريدُ أنْ يكونَ ضابطاً إذا تقدمَ للحرب ، ولا ندرى مِنْ أينَ يُؤتَى بالجنود إذا كان الجميعُ ضبَّاطاً . وإذا كانوا ضباطاً فإنهم لا يُفكرون فى الجنودِ ولا يختلطون بهم ؛ خوفاً من أنْ يَقلَّ احترامُهم . والمِثْلُ يقالُ فى العلاقةِ بين المدرسينَ والتلاميذِ ؛ فأولئك فى وادٍ ، وهؤلاء فى وادٍ آخرَ ، والصِّلةُ بين هؤلاء وأولئكَ لا تتجاوزُ صِلةَ الحجرةِ الدراسية ، تزولُ بمغادرتِها ، وتتجدَّد بالعودةِ إليها .

فالشخصيةُ صفةٌ نِسبيةٌ ، وقوَّةٌ سِرِّيَّة ، توجدُ فى كلِّ شخص إلى حَدٍّ ما ، وتختلفُ فى نوعِها وقوَّتِها باختلافِ الأشخاصِ . وقد تكونُ بارزةً واضحةً فى بعضِ الأفرادِ يشعرُ بها الإنسانُ فى الحال ، وقد تكون كامنةً خفيةً فى بعضِهم الآخر .

ولكلِّ فردٍ صفةٌ تخُصه ، وشىءٌ يُعرَف به ؛ فهيرُودُسُ كان

معروفاً بالظلم ، وسيدُنا عمرُ بنُ الخطابِ (رضىَ الله عنه) كان مشهوراً بالعدالة ، وعُمرُ بنُ عبدِ العزيز بالزهدِ ، ومعاويةُ بالسياسةِ والحلم ، وَخالدُ بنُ الوليدِ وصلاحُ الدين الأيوبىُّ بالبطولةِ والشجاعةِ والإقدَام ، وحاتم الطائى بالكرم ، ومُسَيْلِمةُ بالكذب ، و(شَارْلِزدِكِنْز) بالدفاعِ عن الفقراء ، و (إسحق نيُوتن) و (أديسُون) بالمثابرة ، و (نابليونُ) بقوةِ الإرادةِ والعزيمةِ ، و (أبراهَامُ لِنْكُولْن) بالعطفِ على المساكين ، و (چورجُ وَاشِنْطون) بالوطنيةِ الصادقةِ ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول بالإخلاصِ فى الدفاعِ عن الوطن ، و (شَارْلى شابلِن ، ولُوريل ، وهارْدى) بالفكاهة .

وليست الشخصيةُ مقصورةً على جنسٍ دُونَ آخرَ ؛ ولا على طبقةٍ دونَ أخرى ؛ فكما تكون بين المتعلِّمين تكونُ بين غيرِهم ، وكما تكونُ بين المدَنيِّينَ تكونُ بين القرَويِّين ، وكما تكونُ بين الرجالِ تكونُ بين النساء ، وكما تكونُ بينَ الأغنياء تكونُ بين الفقراء . ولكلٍّ تفكيرُهُ وتقاليدُه وطرُقهُ ومعيشتهُ الخاصةُ .

الفصل الثاني

العناصرُ الجوهَرية التى تتكوَّنُ منها الشخصية القوية

إنّ العناصرَ الجوهريةَ التى تتكونُ منها الشخصيةُ القويةُ كثيرة ، منها : الجاذبيَّةُ ، والنشاط العقلىُّ ، والمشاركةُ الوجدانيةُ ، والشجاعة ، والحِكمة ، والتفاؤلُ ، والتواضعُ ، وحُسنُ مَظهرِ الإنسانِ وقوامِهِ[1] ، وقوة البيان ، والثقةُ بالنفس ، واعتدالُ المِزاج . وَلْنتكلمْ عن كلِّ عُنصرٍ منها فنقول :

١ — الجاذبيـــة

هى قوةٌ طبَيعيةٌ إنْ وُجِدتْ فى الشخص استطاعَ أن يجتذبَ قلوبَ غيرِهِ ممن يَتصلونَ بهِ ، بدونِ أن يتكلَّفَ أو يتصنعَ . وهذا العُنصرُ يُعَدُّ من أقوَى العناصِرِ التى تتكونُ منها الشخصيةُ إن لم نَقُلْ أقواها . ولكن بماذا يجتذبُ الإنسانُ غيرَهُ من الناسِ ؟ الجوابُ أنَّه يستطيعُ أنْ يجتذبهم ويُسَيطِرَ عليهم بأدبهِ وعِلْمِهِ ، وضبطِ نفسهِ ،

(١) قوام الرجل : قامته وحسن طوله .

وسدادِ[١] رأيه . وسُرعةِ خاطِره ، وحُسنِ حديثهِ ، وكرَمِ خُلقهِ ، ومُراعاةِ شعورِهم ، ومُشاركتهم فى وجدانِهم . وهذه الصفات بعضُها وراثىٌّ ، وبعضُها يمكنُ أن يُكتَسَبَ بالتربية والتعليمِ ، فى البيتِ والمدرسةِ والملعَب والمجتمع .

وقد يَسْتثقِلُ الإنسانُ الشخصَ قبلَ أن يختبرَهُ ، وبالتحادثِ معهُ قدْ يُعجَبُ بعلمهِ وحديثهِ ، فيتبدَّلُ الحالُ ، فيَصيرُ النفورُ إعجاباً ، والازدراءُ إجلالا .

وبحسْنِ المعاملةِ ، واللِّينِ فى غيرِ ضَعفٍ ، يجتذبُ الإنسان قلبَ غيرهِ ، ويصلُ إلى أشياءَ لا يمكنهُ الوصولُ إليها لو التجأ إلى الشدَّةِ والعُنفِ . وبالسياسةِ والقوةِ الروحيةِ تستطيعُ أن تحصلَ على غَرَضِك ، وتكْسِبَ ثقةَ النَّاسِ بكَ .

والأدبُ أكبرُ وسيلةٍ لاجتذابِ قلوبِ الناسِ جميعاً ؛ فإنَّ من كثُرَ أدبُه كثُرَ شرَفُه وإن كان قبلُ وضيعاً ، وبَعُدَ صيتُه وإن كان خاملاً ، وسادَ[٢] وإن كان غريباً ، وكثُرت الحاجةُ إليه وإن كان مُقترًا .

(١) صواب . (٢) صار سيِّدا .

الفصل الثالث

٢ — النشاطُ العقليُّ أو الذكاء

العنصرُ الثانى من العناصر المكوِّنةِ للشخصيةِ القويةِ هو النشاط العقلىُّ، أو الذكاء، وبعبارةٍ أخرى حضورُ الذهن، وسرعة الخاطر، وصَفاء القريحةِ[١]. فقد يكونُ الرجلُ مثقفاً، واضحَ التفكيرِ، غزيرَ المادةِ، واسعَ الاطلاعِ، ولكنَّه ربما لا يكونُ مُتَّقِدَ العقل، وَضَّاء الفِكر، حاضرَ البديهةِ، فلا يعرفُ المرادَ باللحْظِ[٢]، كما لا يفهمهُ باللفظِ، ولا يُعاينُ فى الناظرِ[٣] ما يَجرى فى الخاطرِ[٤]، ولا يَستطيعُ أن يُدْرِكَ مايرمى إليهِ مُحدِّثُهُ، ولا أن يُشارِكه فى رأيهِ. وقد تكونُ المرأةُ وسيمةَ[٥] الوجهِ، حَسَنَةَ المنظرِ، جميلةَ الملبَسِ، ولكنَّها فاقِدَةٌ ذلكَ النشاطَ الفكرىَّ والاتقادَ العقلىَّ، فتَعجزُ عن التأثيرِ فى غيرِها، أو اجتذابهِ أو السيْطرةِ عليهِ، فهىَ كصورةٍ جميلةِ المنظرِ، ولكنَّها فاقدة الرُّوحَ الفنيَّةَ، تلك الروح التى تؤثِّر فى الصورة، فتُعطيها قوةً وتأثيراً، وحياةً معنويةً.

---

(١) الذهن. (٢) الإشارة. (٣) المتأمل. (٤) النفس. (٥) حسنة الوجه.

فللنشاطِ العقليِّ تأثيرٌ حسنٌ فى شخصيةِ الإنسانِ ، وفى ارتفاعِ منزلتهِ بينَ إخوانهِ وذَويهِ . وللغباوةِ وقلةِ الفِطنةِ والكسَلِ العقليِّ أثرٌ سيئٌ فى خمولِ الشخصِ وتأخرهِ وعجزهِ ، وارتكابهِ الجرائمَ أحياناً . ولا عَجبَ إذا قلنا : إنَّ معظمَ المجرمينَ من الأغبياء وضعافِ العقولِ . وتبدُو شخصية الأذكياء فى أعمالِهم وأقوالِهم ، كما تبدُو فى مَنطقِهم وتفكيرِهم المنظَّمِ ، وآرائهم المرتَّبةِ ، وحُجَجِهم القويةِ ، وحسنِ اعتذارِهم ، وبُعدِ نظرِهم ، وقدرتِهم على التخلصِ بسهولةٍ من المشكلاتِ التى تعترضُهم بما أُوتوا من نشاطٍ عقليٍّ ، وحدَّةِ ذِهنٍ ، وصدقِ حِسٍّ .

وممَّن كان يُشهدُ لهم بالذكاء وحضورِ البديهةِ ، كثيرٌ من رجالِ العربِ ونسائِهم وأطفالِهم . ولنذكرْ لك كثيراً من قِصَصِهم فنقول :

قِيلَ للعبّاسِ بنِ عبدِ المطلبِ : أأنتَ أكبرُ أمْ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ ؟ قال : هُوَ عليه الصلاةُ والسلامُ أكبرُ منِّى ، وأنا وُلِدْتُ قبلَهُ .

وقيلَ : شخَصَ[1] مُضَرُ وربيعةُ وإيادٌ وأنمارٌ أولادُ نِزارٍ إلى

---

(١) شخص من بلد إلى بلد : ذهب .

أرضِ نجرانَ، فبينما هم يسيرونَ إذ رأى مُضر كلأً[١] قد رُعِىَ، فقال: البعيرُ الذى رعَى هذا أعورُ. فقال ربيعة: وهو أزْوَرُ. وقال إيادٌ: وهو أبْتَرُ. وقال أنمارٌ: وهو شَرُودٌ.

فلم يَسيرُوا إلّا قليلًا حتى لقِيَهم رجلٌ على راحلةٍ[٢]، فسألهم عن البعيرِ. فقالَ مضر: أهو أعورُ؟ قال: نعمْ. قال ربيعةُ: أهو أزورُ[٣]؟ قال: نعمْ. قال إيادٌ: أهوَ أبْتَرُ[٤]؟ قال: نعمْ. قال أنمارٌ: أهو شرودٌ[٥]؟

فقال الرجلُ: نعمْ، هذهِ واللهِ صِفاتُ بعيرى، دُلُّونى عليه. فحلَفوا أنَّهم ما رأوْهُ. فلزِمَهُمْ، وقال: كيف أصدِّقكُمْ وأنتم تصِفُونَ بَعيرِى بصفتهِ؟

فسارُوا حتى قَرُبوا نجرانَ، فنزلُوا بالأفعَى الجُرْهُمِىِّ[٦]. فنادَى صاحبُ البعيرِ: هؤلاءِ القومُ وصفُوا لى بعيراً فقدتُهُ بصفتهِ، ثم أنكرُوه.

---

(١) الكلأ: العشب رطبا كان أو يابسا. (٢) الراحلة: الناقة.
(٣) الأزور: الذى يقبل على شق حين سيره لميل فى صدره، أو لعلو أحد جانبيه.
(٤) بتره: قطعه قبل الإتمام. والأبتر: المقطوع الذنب. (٥) شرد البعير: نفر، فهو شارد، وشرود. (٦) نسبة إلى جُرْهُم وهى حى من اليمن تزوج فيهم إسماعيل عليه السلام.

فقالَ الجُرْهمىُّ : كيف وصفتمُوهُ ولم ترَوْه ؟

فقال مُضر : رأيتُه يرعَى جانباً ويدَعُ جانباً ، فعلمتُ أنَّه أعورُ . وقال ربيعةُ : رأيتُ إحدَى يديهِ ثابتةَ الأثرِ ، والأخرَى فاسدَةَ الأثرِ ، فعلمتُ أنه أفسدَها بشدَّةِ وطْئهِ لِأزْوِرَارِهِ . وقال إيادٌ : عرفتُ بتَرَهُ باجتماعِ بَعْرِهِ ، ولو كان ذَيَّالاً[1] لتفرَّق . وقال أنمارٌ : إنما عرفتُ أنَّه شَرودٌ لأنه كان يرعَى فى المكانِ المُلتفِّ نَبْتُه ، ثم يَجُوزُه إلى مكانٍ أرَقَّ منه وأَخْبَثَ .

فقال الأفعَى : ليسوا بأصحابِ بعيرِك . ثم سألَهُم عن أمرِهم ، فأخبرُوه . فرحّب بهم ، وأَضافَهُم ، وبالغَ فى إكرامِهم[2] . وهذا مثلٌ واضحٌ للفِراسةِ العربيَّةِ ، والذكاءِ العربىِّ ، وقُوَّةِ الملاحظةِ .

وكَانَ أحدُ الْهُنودِ الْحُمْرِ[3] يَسكُنُ كوخاً فى غابةٍ موحِشةٍ من غاباتِ أمريكا فى عُزلة وانقطاعٍ عَنِ العمرانِ . وفى إحدَى عَوداتِه ورَوْحاتِه إلى كوخِه لاحظ شيئاً ، واحتَشدتْ فى ذهنِهِ أسئلةٌ ، وارتسَمتْ على وجهِهِ علاماتُ مَن يَنشُدُ شَيئًا مَفقوداً ، ويُريدُ السؤالَ عن ضالَّةٍ ، والحَيرةُ تَعقدُ لسانَه . ثم انفجَرَ قائلاً :

---

(١) الذيال : الطويل الذيل ، المتبختر فى مشيه . (٢) من كتاب ثمرات الأوراق للحموى ج ١ ص ١٠٥ . (٣) هذه القصة مترجمة عن الانجليزية وقد حدثت بأمريكا .

« لقد سُرِقْتُ . لقد سَرَقَ اللِّصُّ لحمَ الْغِزْلانِ المُجفَّفَ الذى كَانَ لدَىَّ » . ثم طَفِقَ الهندىُّ يَدورُ بالطرقِ ؛ باحثاً عن اللصِّ الذى فَجَعَهُ فى المدَّخرِ من قُوتِه ، وسَطَا على حُرمةِ مَنزلِه . وسَرعانَ ما قابلَ جماعةً من الرجالِ البيضِ كانوا مارِّينَ بالغابة فسألَهم : أَرأَيتُمْ رَجُلًا هَرِماً قَصيراً أبيضَ اللونِ ، ومَعَهُ قَذَّافةٌ قصيرةٌ ، يَتبعهُ كلبٌ صغيرٌ ذو ذيلٍ مَقصوصِ الشعرِ ؟

فأجابوا : نَعَمْ . لَقَدْ رَأَينَا ذٰلك الرجلَ مارًّا فى تلكَ الطريقِ عن بُعدٍ .

فقالَ : إن هٰذَا الرجلَ قد سَرق منِّى لحمَ الصَّيدِ .

فسألوهُ : ولِمَ لَمْ تَقبضْ عليه حينما رأيتَه ؟

فأجابَ : إنِّى ما رأيتُ اللِّصَّ . ولو رأَيتُه لكان لى معَهُ شأنٌ يُذْكَرُ .

فقالُوا : وكيفَ عرفتَ أَنَّه رجلٌ قصيرٌ ؟

فأجاب الْهِندىُّ . عَرفتُ ذٰلك حِينَ لاحظتُ أنه أقام كَومةً من الحِجارة ليقِفَ عَليها للوصولِ إلى اللحمِ .

قالوا : وكيف عَرفتَ أَنَّه رجلٌ هَرِمٌ ؟

قالَ : دَلَّنى الظَّنُّ الصائبُ حِينَ تَفَرَّستُ خَطَواتِهِ قُربَ الكوخِ ، فَعلِمتُ مِنها أَنَّ صاحبَها هَرِمٌ لِقِصَرِ خَطَواتِهِ .

قالوا : وكيفَ عَرَفْتَ أَنَّه من البيضِ أَمثالِنا ؟

قال : لاحظت أنَّه يَثنِي أَصابعَ قَدَمَيه وهو يَمشى ، وهى عادةُ البِيضِ ، ولَيْسَتْ عادةَ الهنودِ الحُمْرِ .

قالوا : وكيفَ عَرَفْتَ أَنَّ قَذَّافَتَه قصيرةٌ ؟

قال : دلَّنى على ذٰلك الخَدْشُ الَّذى تركَتْه فُوَّهَةُ القَذافةِ حِينما أَسنَدَها على الشَّجرةِ . وأَظُنُّكُمْ سَتَسأَلونَ عَنْ كَيْفِيَّةِ مَعْرِفتِى أَنَّ كلبَهُ صغيرٌ ، وذيلَه مَقصوصُ الشَّعرِ .

قالوا : إِنَّا لسائلوكَ عَنْ ذٰلك .

فأجاب : صِغَرُ الكلبِ أَنبأَتْ عَنه خَطَواتُه ، وما تَرَكَتْ من أَثرٍ على الأرضِ . وَلَقَدْ تفرَّستُ مَوقِعَ ذَيلِهِ فى إِقعائِه أَمام الكوخِ على الرملِ ، فى حين كانَ سَيِّدُهُ يَسْرِقُ لحم صَيدِى ، فأَلهمَتْنِى تلك الفراسة إِلهاماً صادقاً أَنَّه ذُو ذيلٍ مَقصوصِ الشَّعرِ .

ثُمَّ انسابَ الهندىُّ فى الطريقِ لِيُدرِكَ اللِّصَّ الَّذى أَنبأَتْ عَنْهُ آثارُه ، وفَضَحته قُوَّةُ المُلاحظَةِ والفراسةِ التى اشتهرَ بها الهنودُ الحمرُ .

وقيلَ : استودعَ رجلٌ آخرَ مالاً ، ثم طلبه ، فجحَدَهُ ، فخاصَمه إلى إياسٍ[1] القاضى ، فقال الطالبُ : إنى دفعتُ المالَ إليهِ .

فقال القاضى : ومن حضرَكَ ؟

قال : دفعتُه فى مكان كذا وكذا ، ولم يحضُرْنا أحَدٌ .

قال : فأىُّ شىء فى ذلك الموضِع ؟

قال : شجرةٌ .

قال : فانطلِقْ إلى ذلكَ الموضعِ ، وانظر الشجرةَ ، فلعَلَّ اللهَ تعالى يُوَضِّحُ لك هُناكَ ما يَتَبيَّنُ بهِ حقُّكَ ، لعلَّك دفنْتَ مالكَ عندَ الشجرةِ ونَسيتَ ، فتتذكَّرَ إذَا رأيتَ الشجرةَ ، فمَضى الرَّجُلُ .

وقال إياسٌ للمتَّهَمِ : اجلِسْ حتى يرجعَ خَصْمُكَ .

فجلسَ وإياسٌ يَقْضِى وينظُر إليه ساعةً ، ثم قال له : يا هذا ! أترى صاحبَك بلغَ موضعَ الشجرةِ التى ذكَرَ ؟

قال : لا !

قال إياسٌ : يا عدُوَّ اللهِ إنَّك لخائنٌ !

---

(١) هو إياس بن معاوية ، يضرب به المثل فى الذكاء والفراسة ، كان قاضيا بالبصرة ، ومات سنة ١٢٢ هـ ، وعمره ٧٦ سنة .

قال : أقِلْنى[1] أقالَكَ الله ! فأمر من يحتفِظ به حتى جاء الرجل .

فقالَ لهُ إياس : قدْ أقرَّ لكَ خَصْمُكَ بحقِّك ، فخذْهُ .

وحُكى : دخلَ مَعْنُ بنُ زائدةَ على أبى جعفرٍ المنصور ، فقاربَ خَطوَه ، فقال المنصُور : لقد كبرتْ سنُّك . قال : فى طاعتِك . قال : وإنّكَ لَجَلْدٌ[2] . قال : على أعدائِك . قال : وأرى فيكَ بقيةً . قال : هِىَ لَكَ . فانظرْ إلى أجْوبةِ معنٍ تجدْ أنَّها تدُلُّ عَلَى سُرعةِ الخاطرِ ، وحُسنِ الجوابِ .

وقيل إنَّ غلاماً أشرأبَّ[3] للكلام وقد حضرَ معَ وَفْدِ أهلِ الحجازِ لما اُستُخْلِف عمرُ بنُ عبد العزيزِ (رضى الله عنه) ، فقالَ عمرُ : يا غلامُ ، ليتكلمْ مَنْ هُو أسَنُّ منكَ .

فقال الغلامُ : يا أمير المؤمنين ، إنما المرءُ بأصغرَيْه : قلبِه ولسانِه ؛ فإذا مَنَحَ اللهُ عبدَه لِساناً لافِظًا ، وقلباً حافِظاً ، فقدْ أجادَ له الاختيارَ . ولو أنَّ الأمورَ بالسِّنِّ لكانَ ههُنا مَنْ هُوَ أحقُّ بمجلسِك منكَ !

فقال عمرُ : صدقْتَ ، تكلمْ ؛ فهذا السِّحرُ الحلالُ .

---

(١) سامحنى . (٢) جلد : صلب وشديد . (٣) تطلع .

فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ، نحنُ وفدُ التهنئةِ ، لا وفدُ المَرْزِئَةِ[1] ، ولم تُقدمْنا إليك رغبةٌ ولا رَهبةٌ ؛ لأنَّا قد أمِنَّا فى أيامِكَ ما خِفْنا ، وأدرَكْنا ما طلَبْنا ، فسألَ عُمَرُ عن سنِّ الغلامِ ، فقيل عشرُ سنينَ .

وَقَدْ أُدخِلَ طِفلٌ يُدعَى الرَّكَّاضَ وهُوَ ابنُ أربعِ سنوات إلى الرشيدِ ليتعجبَ من فِطنته ، فقال لهُ : ماذَا تُحِبُّ أنْ أهَبَ لكَ ؟ قال : جميلَ رأيك ، فإنى أفوزُ به فى الدنيا والآخرةِ . فأمرَ بدنانيرَ ودراهمَ فصُبَّت بينَ يديْهِ . فقالَ لهُ : اختَرِ الأحبَّ إليك . فقال : الأحبُّ إلىَّ أميرُ المؤمنينَ ، وهذا من هذينِ ، وضَرب بيدهِ إلى الدنانيرِ ، فضحِكَ الرشيدُ ، وأمرَ بضمِّهِ إلى وُلْدِهِ والإنفاقِ عليه .

وزَارَ خليفةٌ من بنى العباسِ يوماً وزيرَهُ فى دارِهِ ، وكان لهُ ولدٌ نجيبٌ . فلمَّا جلسَ الخليفةُ أجلسَ الصبىَّ إلى جانبهِ وسأله : « أدَارُ الخليفةِ أحسنُ أم دارُ أبيكَ ؟ » .

فأجاب الصبىُّ على الفَوْرِ : « متى كانَ الخليفةُ فى دارِ أبى فدارُ أبى أحسنُ » . ثم أراه خاتَماً ثميناً فى خِنْصَرِه وسأله : « هلْ رأيتَ خيراً من هذا الخاتَمِ ؟ » فقال الصبىُّ : « نَعمْ ، اليدُ التى هوَ فيها خيرٌ منهُ » .

---

(١) الاستعطاء .

فدهِشَ الخليفةُ من حُسْنِ جوابهِ ، وقال له : « هَلْ تحِبُّ أن تكونَ خليفةً بعدِى ؟ » فقال الصبىُّ : « ابنُ الخليفةِ أولَى منِّى ؛ فهو صاحبُ الحقِّ فى الخلافةِ ، وأنا لستُ من الخائنينَ » . فزاد سرُورُ الخليفةِ من هذَا الجوابِ الذى يدُلُّ على الذكاءِ والوَلاءِ ، والتفتَ إلى أبيه وقال له :

« لا بُدَّ أن يكونَ لابنِك هذا شأنٌ متى بلغَ الرجولةَ » .

ودخلَ المأمونُ يوماً بيتَ الدِّوانِ ، فرأى غُلاماً جميلاً على أُذنهِ قلمٌ ، فقال : مَنْ أنتَ يا غُلامُ ؟ قال : أنا الناشئُ فى دولتِكَ ، المتقلِّبُ فى نعمتِك ، المؤمِّلُ لخدمتِكَ ، الحَسنُ بنُ رَجاء .

فقال المأمُون : بالإحسانِ فى البديهةِ تَفاضَلت العقولُ . ارفعُوا هذا الغلامَ فوقَ مرتبتهِ .

وقيلَ إنَّ رجلًا تكلَّم بين يدَى المأمونِ فأحسنَ ، فقال المأمونُ : ابنُ مَن أنتَ ؟ قالَ : ابنُ الأدبِ يا أميرَ المؤمنينَ . قال : نِعْمَ النَّسَبُ انتسبْتَ إليه .

وقال الأصمَعِىُّ : قلت لغلام حَدَثِ السنِّ من أولاد العربِ : أيَسرُّكَ أن يكونَ لَك مائةُ ألفِ دِرْهمٍ وأنَّك أحمقُ ؟ فقال : لا

والله ! قلتُ : ولِمَهْ ؟ قال : أخافُ أن يَجْنِيَ عليَّ حُمْقِي جِنايةً تُذهبُ مالِي ويبقَى عليَّ حُمْقِي .

وقال مُعاويةُ لسعيدِ بن مرَّةَ الكنديِّ : أأنتَ سعيدٌ ؟ قال : أميرُ المؤمنين السعيدُ ، وأنا ابنُ مرَّةَ .

ودَخل إياسُ بنُ معاويةَ الشَّام ، وهو غُلامٌ صغيرٌ ، فتقدَّمَ على خصمٍ له أمامَ بعضِ القُضاةِ ، وكان الخصمُ شيخاً كبيراً ، ثم صالَ[1] عليه إياسٌ بالكلامِ . فقال لهُ القاضِي : خَفِّضْ[2] عليكَ ؛ فإنهُ شيخٌ كبيرٌ . قال : الحقُّ أكبرُ منهُ . قال : اسكتْ ! قال : فمَن يَنْطِقُ بحُجَّتِي ؟ قال : ما أراكَ تقولُ حقًّا . قال : لا إلهَ إلا الله !

فدخل القاضي على عبدِ الملكِ بن مروانَ فأخبرهُ . فقال : اُقضِ حاجتَهُ الساعةَ وأخرِجْهُ من الشامِ ؛ لئلا يُفسدَ عليَّ الناسَ .

وحُكِيَ أنَّهُ لما مدحَ أبُو تمَّامٍ الطائيَّ[3] الشاعرُ المعروفُ أحمدَ بن المعتصمِ بقصيدتهِ السينيَّةِ وانتهى فيها إلى قوله :

---

(١) استطال ، وجاوز حد الاعتدال . (٢) هوّن . (٣) نشأ بمصر ، وكان يسقي الناس بالجرة في جامع عمرو بالفسطاط ، وكان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقطوعات والقصائد .

إقدامُ عمْرٍو ، فى سماحَةِ حاتمٍ * فى حِلْمِ أحنفَ ، فى ذكاءِ إياسِ

قال لهُ أبو يُوسفَ يعقوب الكِندىُّ الفيلسوفُ ، وكانَ حاضراً : « الأميرُ فوقَ منْ وَصفْتَ » . فأطرقَ مليًّا ، وقال :

لا تُنكِروا ضربى له مَنْ دونَهُ * مثلاً شَرُوداً فى النَّدَى والبَاسِ
فاللهُ قد ضربَ الأقلَّ لنورِهِ * مثلًا من المِشكاةِ وَالنِّبْرَاسِ

ولمّا أُخِذت القصيدةُ منْ يدِهِ لم يجدُوا فيها هذينِ البيتينِ ، فعجِبُوا من سُرعتِه وفِطْنتِهِ . ولمّا خرجَ قال الفيلسوفُ : هذَا الفتَى يموتُ قريباً ، فكانَ كما قالَ .

ولمّا قصدَ أَبُو تَمّامٍ المذكورُ عبدَ اللهِ بنَ طاهر بخُرَاسانَ وامتدحَهُ بالقصيدةِ التى أوّلُها :

« هُنَّ عَوادِى يُوسفٍ وصواحبُه »

أنكرَها عليه أبو العَمَيْثَلِ وقال لهُ : لِمَ لا تقولُ ما يُفهمُ ؟ فقال لهُ : لِمَ لا تفهمُ ما يُقالُ ؟ فاستحسنَ منه هذا الجوابَ على البديهةِ .

وقال (ثمامة بنُ أَشرسَ) أحدُ كبارِ العلماءِ زمنَ المأمونِ : « دخلتُ إلى صديقٍ لى أعودُهُ ، وتركتُ حِمارِى بالبابِ ، ثم خرجتُ

وإذا بصبيٍّ عليهِ ، فقلتُ له مؤنِّباً ولائمًا : « لِمَ تركبُ حِمارى بغير إذْنى ؟ »

فأجابنى الصبيُّ قائلاً : « خِفْتُ أن يذهبَ فحِفظتُهُ لكَ » . فعجِبْت من هذا الجوابِ ، وأردتُ أن أُسكِتَ الصبيَّ ، وقلتُ لهُ : لو ذهبَ ما باليتُ بذهابه . فأجابنى على الفورِ قائلاً : « إن كانَ هذا رأيكَ فى الحمارِ ، فاعمل على أنهُ قد ذهبَ ، وهبْهُ لى ، وارْبَحْ شُكْرى » . فلمْ أدْرِ ما أقولُ .

وقالَ ملكٌ لوزيره : ما خيرُ ما يُرزَقُه العبدُ ؟ قالَ : عقلٌ يعيشُ به . قال فإن عدمَه ، قال : أدبٌ يتحلَّى به . قال : فإن عدِمَه ، قال : مالٌ يستُره . قال فإن عدمَه ، قال : فصاعقةٌ تحرقُه وتُريحُ منه العبادَ والبلادَ .

وَروَى ابنُ الجَوْزِىِّ فى كتاب «الأذكياء» أن أباحامدٍ الخُراسانىَّ القاضىَ قال : بَنَى ابنُ عبدِ السلام الهاشمىُّ بالبصرةِ داراً كبيرَةً ، ولم يتمَّ له تربيعُها إلا بمَسْكن لطيفٍ كانَ لعجُوزٍ فى جواره امتنعَتْ من بَيعه . فبذَلَ لها أضعافَ ثمَنِهِ ، فأقامتْ على الامْتِناع . فشكَا إلىَّ

ذلكَ. فقُلتُ هذا من أيسرِ الأمورِ ! أنا أُوجبُ عليها بيعَه ، فأضطرُّها إلى أن تسألكَ وَزْنَ الثمن .

ثم استدعيتُها فقلتُ : يا هذه ! إن قيمةَ دَارِكِ دُونَ ما دَفعَ لكِ ، وقد ضَاعفَها أضْعَافاً ، فإنْ لم تَقْبَليهِ حَجَرْتُ عليْكِ ؛ لأن هذا تضييعٌ منْكِ .

فقالتْ : جُعِلت فِدَاكَ ! فهَلَّا كان هذا الحَجْرُ مِنْكَ على مَنْ يزِنُ فيما يُساوى دِرهماً عشرةً وتركتَ منزلى ! ما أختـــارُ بيعَه . فانقطعتْ[1] فى يدها .

وَقال الحجّاجُ لامرأةٍ من الخوارجِ : وَاللهِ لأعُدَّنَّـكُمْ عَدًّا ، ولأحصِدَنَّـكُمْ حَصْداً . فقالتْ : أنت تحصِد ، والله يزرعُ ؛ فانظرْ أينَ قدرةُ المخلوقِ من قدرةِ الخالقِ .

ودخلَ رجلٌ على شُرَيْحٍ القاضى يخاصمُ امرأةً لهُ فقالَ : السلامُ عليكم . قال : وعليكم . قال : إنى رجلٌ من أهلِ الشامِ . قال : بَعيدٌ

(١) أى انقطعت حجتى ، ولم يمكنى أن أجادلها لفوتها في حجتها .

سَحِيقٌ[1] . قالَ : وَإنى قدِمْتُ إلى بلدِكم هذا . قال : خيرَ مَقْدمٍ . قالَ : وإنى تزوَّجْتُ امرأةً . قال : بالرِّفاء[2] والبنينَ . قالَ : وإنَّها ولدتْ غُلاماً . قالَ : لتَهنأ بالفارسِ . قال : وقد كُنْتُ شرطْتُ لها صداقَها . قال : الشرطُ أمْلَكُ . قال : وقد أردتُ الخروجَ بها إلى بلدِى . قالَ : الرجلُ أحقُّ بأهْلِهِ . قال : فاقْضِ بيننا . قال : قد قضيتُ .

وخرجَ الحجاجُ ذاتَ يومٍ فأصْحَرَ[3] ؛ وحضر غَدَاؤُه فقالَ : اُطلُبوا من يتغدَّى معِى . فطلبُوا ، فإذا أعرابىٌّ فى شَمْلَةٍ[4] فأُتِىَ به . فقال : السلامُ عليكم . قال : هَلُمَّ أيُّها الأعرابىُّ ! قالَ : قدْ دعانى مَنْ هوَ أكرمُ منك فأجبتُهُ . قال : ومنْ هوَ ؟ قال : دعانى اللهُ ربِّى إلى الصومِ ، فأنا صائمٌ . قال : وصومٌ فى مثلِ هذا اليوم الحارِّ ؟ قال : صُمتُ ليومٍ هو أحرُّ منْهُ . قالَ : فأفْطِرِ اليومَ وصُمْ غَداً .. قالَ : ويَضمنُ لى الأميرُ أنِّى أعيشُ إلى غدٍ ؟ قالَ : ليسَ ذاكَ إليْهِ . قال : فكَيْفَ يسألُنى عاجلاً بآجلٍ ليْسَ إليهِ ؟ قالَ : إنهُ طَعامٌ طيِّبٌ . قال : ماطيَّبَه خبازُكَ ولا طبّاخُك . قال : فمن طيَّبَهُ ؟ قال : العافيةُ . قال الحجاجُ : باللهِ ما رأيتُ كاليومِ ، أخرِجُوهُ !

---

(١) بعيد .
(٢) الاتفاق والطمأنينة .
(٣) برز إلى الصحراء .
(٤) الشملة : كساء دون القطيفة يشتمل به .

وقال الحجاجُ للمهلَّبِ وهو يُماشيه : أأنا أطولُ أم أنت ؟ قال : الأميرُ أطولُ[1] ، وأنا أبسطُ قامةً .

وحُكِيَ أن الحجاجَ خرجَ يوماً متنزِّهاً ، فلما فَرغَ من نُزْهَتِهِ صرفَ عنه أصحابَه وانفردَ بنفسِه ، فإذا هو بشيخٍ من بنى عِجلٍ . فقال له : من أينَ أيها الشيخُ ؟ قال : من هذه القريةِ . قال : كيف تَرَوْنَ عُمالَكم ؟ قال : شرَّ عُمال ، يَظلمون الناسَ ، ويستحِلُّون أموالهم . قال : فكيفَ قولُكَ فى الحجاجِ ؟ قال : ذاك ما ولى العراقَ شرٌّ منه ، قبَّحه اللهُ ، وقبَّحَ مَن استعمله .

قال : أتعرفُ من أنا ؟ قال : لا . قال : أنا الحجاجُ . قال : جُعِلتُ فِداك ، أو تعرفُ من أنا ؟ قال : لا . قال : أنا فلان بن فلان مجنون بنى عجل ، أُصْرَعُ فى كل يومٍ مرتين .

قال : فضحكَ الحجاجُ منه ، وأمرَ له بصلةٍ .

ومن المنقولِ[2] أن بعضَ اللصوصِ دخلَ بيتاً ومعهُ جماعةٌ تحتَ أمرِهِ ونهْيِهِ فى القتلِ والسرقةِ ، فظفِرُوا بصاحبِ البيتِ ، وأوقفُوه

(١) أفضل ، فالمراد بالطول هنا الفضل .
(٢) من كتاب الأذكياء لابن الجوزى .

للقتل، فتدخل[1] عليهم فى إبقاء مُهْجَتِه[2]، وأَخْذِ ما فى البيت بكمالِه. فقالَ كبيرُهم: حَلِّفوه بالطلاقِ الثلاثِ وعلى المصحفِ أنَّه لا يُعلِمُ بهِمْ أحداً فأَصبحَ الرَّجلُ يَرى اللصوصَ يبيعونَ متاعَهُ، ولا يقدِرُ أنْ يتكلمَ لأجل اليمينِ. فجاء إلى أبى حنيفةَ وأعلَمَهُ حالَه، فقال لهُ: أَحضِرْ أكابرَ حيِّك، وأدْنَ جيرانك، وإمام جماعَتِك. فلمَّا حضرُوا قال لهُم أَبُو حنيفةَ: هلْ تحبُّونَ أنْ يَرُدَّ اللهُ على هذا الرجلِ متاعَهُ؟ قالُوا: نعمْ، فقال: اُجمَعُوا داعريكُم[3]، فأَدخِلوهم الجامعَ، ثم أخرِجُوهُمْ واحداً واحداً. وكلَّما خَرجَ منهُم واحدٌ قُولوا: هذا لِصُّكَ؟ فإن كانَ ليْس بلصِّهِ قالَ: لاَ، وإنْ كان لصَّه فليَسْكتْ. فإذا سكتَ فاقْبضُوا عليهِ. ففَعلُوا ذلك. فردَّالله عليْهِ ما سُرِقَ مِنْهُ.

ومنهُ أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ (رضى الله عنه) قال: دخلتُ البادية، فاحتجتُ إلى الماء، فجاءنى أعْرابىٌّ، ومعهُ قِرْبةٌ ملآنةٌ، فأبى أنْ يبيعَها إلا بخمسةِ دراهمَ. فدفعتُها له، ثم أخذتُ القربةَ، فقُلتُ: ما رأيك يا أعرابىُّ فى السَّوِيقِ[4]؟ فقال: هاتِ! فأعطيتُهُ سَوِيقاً

---

(١) دخل بالحيلة. (٢) المهجة: الدم، وقيل دم القلب خاصة. وخرجت مهجته أى روحه. (٣) الداعر: الفاسد. (٤) ما يعمل من الحنطة والشعير.

مَلتوتاً بزيتٍ ؛ فجعل يأكل حتى امتلأ ثمّ عطِشَ فقال : علىّ بشَرْبةٍ ! فقلتُ بخمسةِ دراهمَ على قدحٍ من ماءٍ . فاستردتُ الخمسةَ وبقِيَ الماءُ .

وقيلَ إن غلاماً لقِيَ أبا العلاء المعرّىَّ فقالَ : من أنتَ يا عمّى ؟ أأنتَ القائلُ فى شعرِك :

وإنى وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه ✲ لآتٍ بما لم تستطعْه الأوائلُ

قال : نعمْ . قال : يا عمّاهُ ، إنَّ الأوائلَ قد رتَّبُوا ثمانيةً وعشرينَ حرفاً للهِجاء ، فهلْ لك أنْ تزيدَ عليها حرفاً ؟ فدَهِش المعرّىُّ من ذلكَ ، وقال : إن هذا الغلامَ لا يعيشُ ؛ لشدة حِذْقِه[1] ، وتوقُّدِ فؤادِه .

وحَكَى المدائنى قالَ : خرجَ ابنُ زيادٍ فى فوارِسَ ، فلقُوا رجلاً ومعه جاريةٌ لم يُرَ مثلها فى الحسْنِ ، فصاحُوا به : خلِّ عنها ! وكان معهُ قوسٌ فرَمَى أحدَهم ، فهابوا الإقدامَ عليهِ ، فعادَ ليرمىَ ، فانقطعَ الوَترُ ، فهجمُوا عليهِ ، وأخذوا الجاريةَ ؛ فهربَ ، واشتغلُوا عنه بالجارية ، ومدَّ بعضُهم يدَه إلى أُذنِها وفيها قُرْطٌ ، وفى القُرطِ دُرةٌ يتيمةٌ ، لها

(١) مهارته .

قيمةٌ عظيمةٌ . فقالت : وما قَدرُ هذهِ الدّرّةِ ؟ إنكم لو رأيتُم ما فى قَلَنْسُوَتهِ من الدُّررِ لاستحقرتُم هذهِ . فتركوها واتّبعوهُ ، وقالوا لهُ : أَلْقِ ما فى قَلَنْسُوَتِكَ ! وكانَ فيها وَتْرٌ قد أعدّهُ فنَسيَه من الدّهَشِ ، فلما ذكرَهُ ركّبهُ فى القوسِ ، ورجَع إلى القومِ ، فولّى القومُ هاربينَ ، وخلّوا الجاريةَ .

وقيلَ إنَّ مُوسى الهادِىَ كان يوماً فى بُستانٍ ، ومعهُ أهلُ بيتهِ وخاصته ، وهو راكبٌ على حمارٍ وليسَ معهُ سلاحٌ ، فدخلَ عليهِ حاجبهُ ، وأخبرهُ أنَّ رجلاً منَ الخوارجِ جىءَ بهِ أسيرًا ، وكان الهادِى حريصاً على الظَّفَرِ بهِ ، فأمر بإدْخالهِ ، فأُدْخِلَ عليهِ بين رجلينِ قدْ أمسكا بيديهِ ، فلما رأى الخارجىُّ الهادِىَ جذبَ يديهِ من الرَّجُلينِ ، واستلَّ[1] سيفَ أحدِهما ، ووثبَ نحوَ الهادِى . ولمّا رأى ذلك مَن حولَ الهادِى مِن أهلِهِ وخاصّتهِ فرُّوا جميعاً ، وبقىَ الهادِى وحدَهُ . فثبتَ على حمارِهِ بمكانهِ حتّى إذا قربَ الخارجىُّ منهُ ، وكادَ يعلوه بالسيفِ ، قال الهادِى : اضربْ يا غلامُ عنقَهُ ! ! فالتفتَ الخارجىُّ حينَ سمعَ ذلك ، فأسرعَ الهادِى ، ووثبَ عنْ سرْجهِ ، وقبضَ على

(١) أخذ وانتزع .

الخارجيِّ ، وانتزعَ منْهُ السيفَ فذبَحه بهِ ، ثم عادَ إلى ظهرِ حمارهِ ، وتراجعَ إليه أهلهُ وبِطانتُه يتسلَّلونَ ، وقد مُلِئُوا رُعباً وخجَلاً ، فلم يخاطبْهم فى ذلك الهادى بحرفٍ واحدٍ .

ويحكى أنَّ أعرابيًّا مدحَ أميرًا بقصيدة بديعـةٍ ، فلمَّا قرأها استكثَرها عليه بعضُ الحاضِرينَ . ونسبَهُ إلى سَرِقتها . فأرادَ الأميرُ أنْ يعرفَ حقيقةَ الحالِ . فأمرلهُ بمُدٍّ[1] من الشعيرِ . وقالَ فى نفْسهِ . إن كانَ لهُ بديهةٌ فى الشعرِ فلابدَّ أنْ يقولَ شيئاً فى شَرْحِ حالهِ .

فأخذ المُدَّ الشعيرَ فى ردائهِ ، وخرجَ ، فقال الأميرُ للبوابينَ سرًّا : لا تُمكِّنُوهُ منَ الخروجِ . فوقفَ الأعرابىُّ فى الدهليزِ حائرًا ، فبعث إليه الأميرُ منْ سألهُ وقال لهُ : ما شأنك يا أعرابىُّ ؟

فقالَ : إنى امتدحتُ الأميرَ بقصيدةٍ .

قالَ : فما أجازَكَ عليها ؟

قالَ : هذا المُدَّ من الشعيرِ . فقال لهُ : هَل قلتَ فى ذلكَ شَيئاً ؟

قالَ : نعمْ . قالَ : ما هوَ ؟ فأنشد على البديهةِ :

---

(١) مكيال خاص .

يقولون لى أرْخَصْتَ[١] شِعْرَك فى الوَرَى[٢]
فقلت لهمْ من عُدْمِ[٣] أهْلِ المكارِمِ
أُجِزْتُ[٤] على شِـــــعرى الشعيرَ وإنَّهُ
كثيرٌ إذَا خلَّصتُهُ من بهائم

فلما بلغ الأميرَ هذانِ البيتانِ أعجبَ بهما ، وعلِمَ أنَّ القصيدةَ منْ نظمِه ، فأمر له بجائزةٍ سَنِيَّةٍ .

وقيلَ كانَ أحمدُ بنُ طولونَ يأكلُ يوماً فى إحدَى حدائقِهِ ، فرأى سائلاً فى ثياب رَثَّةٍ ، فأرسلَ إليه غلاماً برغيفٍ ودجاجةٍ وشريحةِ لحمٍ ، وَقطعة من الحلوى . فرجعَ الغلامُ من غيرِ أنْ يأخذَ السائلُ منه شيئاً ، فأمرَ ابنُ طولونَ به فأُحضِرَ ، وأخذَ يسألُه ، فأجابَ من غيرِ أن يتلجلجَ أو يضطربَ من هيبتِهِ ، فاتَّهمهُ بأنَّهُ جاسوسُ بعض الأعداء ، فاعترفَ الرَّجلُ بذلكَ .

فقال بعضُ الحاضرينَ : هذا واللهِ السحرُ ، فقال أحمدُ بنُ طولونَ : ما هُوَ بسحرٍ ، وَلكنَّنى رَأيتُ سوءَ هيئةِ الرجلِ ، وإباءه عنْ طعامٍ

(١) جعلته رخيصا . (٢) الخلق . (٣) فقر . (٤) نلت جائزة .

يتمنَّى الشبعانُ أَنْ يأكله ، وكذلكَ رَأَيتُ جُرأَتَه وَثباتَهُ ، فحكمتُ عليه بما حكمتُ .

وخَرَجَ نديمُ أحدِ الملوكِ عن حَدِّه فى المزاحِ مَعه فغضبَ الملكُ وقالَ له : استعِدَّ للموتِ أيها الشقىُّ ؛ فقد دنا أجلُك ، واقترب حَيْنُك[1] . فأخذ النديمُ يتضرعُ إليه ، ويلتمسُ العفو منه ، فقال الملكُ : لا عَفوَ عندى ولا مغفِرةَ ، وآخرُ ما أستطيعُ مُجاملتَك به أن أتركَ لك اختيارَ الميتةِ التى يَنتهِى بها أجلُك ، فاختَرْ لنفسِك ما يَحلو ، وعَجِّلْ باختيارِك .

فقال النديمُ : أيها الملكُ العظيمُ ، لقد تفضلتَ فجعلتَ لى حريةَ الاختيارِ . ولا سبيلَ للملكِ فى الرجوعِ عن وعدِه ، فدعنى إذاً أمتْ بالشيخوخةِ ؛ فهى أفضلُ أنواعِ الموتِ عندى . فضحك الملكُ ، وعفا عنه ، وعاد إلى منادمتِه .

وممنْ كانُوا مَدِينينَ لذكائِهمْ بنجاحِهمْ فى حياتِهم من الإفرنجِ « أبراهامُ لِنكولنُ » ؛ أحدُ رؤساءِ الولاياتِ المتحدةِ الذين تدينُ لهم

(١) هلاكك وموتك .

تلك الولاياتُ اليومَ بما فيها من تقدُّمٍ ورُقيٍّ وإصلاحٍ . « وُلد فى ١٢ من فبراير سنة ١٨٠٩ م » . وكان أبوهُ نجّاراً عادياً ، وقد تُوُفِّيَتْ والدتُه ولمّا يبلغْ من العمر عشرَ سنينَ . تعلم مبادئَ القراءةِ والكتابة وهو طفلٌ . وكانت أمُّه قبلَ وفاتِها تُعنَى به العنايةَ كلَّها ؛ فاختارتْ له منَ الكتبِ الكتابَ المقدسَ ، وكتاباً عن حياةِ « چورج واشِنْطونَ » ، فقرأهما وأعادَ قراءتَهُما مراراً حتى كادَ يحفظُهما . وكان فى بعض الأحيانِ يسيرُ أميالاً ليستعيرَ كتاباً يقرؤُهُ . كان فى حياته الأولى عاملاً ، ثم ثقَّفَ نفسهُ بالقراءةِ فى أوقاتِ الفراغ . وكان فى الليل يُوقِد قِطَعاً من الخشبِ ، يتدفَّأُ بنارِها ، ويقرأُ على نُورها . ولولا ضيقُ المقامِ والخوف من الخروجِ عن الموضوعِ لكتبنا عنه الكثير ، فارجعْ إلى تاريخِ حياته إن شِئْتَ[1] . وكلُّ ما نريدُ أن نذكرهُ هو أنَّهُ درسَ القانونَ أخيراً ، ثم كان مُحامياً مِدْرَهاً يُشار إليه بالبَنانِ ، حاضرِ الذهنِ مُتَّقِدِ الفِكْرِ ، قويِّ الشخصيَّةِ ؛ ثم كان عضواً بمجلس النوابِ ، فسياسيًّا ، فرئيساً للولايات المتحدةِ بأمريكا . فضَّلَتْهُ زوجُه — وكان فقيراً — على مُنافس آخر من الأغنياء . وقد اختارتْهُ زوجاً

(١) ارجع إلى كتاب « قصص فى البطولة والوطنية » للمؤلف .

لذكائهِ وإخلاصه وشخصيته . تنبأت أنه سيكون عظيما ، وقد كان مثالاً للعظمةِ ؛ وإذا كانَ « واشنطونُ » قد حرَّر الولاياتِ المتحدةَ فقد قضى « لِنكولنُ » على ما فيها من الاضطرابات ، وقام بكثير من الإصلاحاتِ . وقد ترك « لِنكولنُ » اسماً خالداً محبوباً ، لا من الأمريكيِّينَ فحَسْبُ ، بل من أبناءِ الإنسانيةِ فى جميع الشعوبِ . وقد كانَ يعملُ للإنسانيةِ ، ويُفكِّرُ كثيراً فى الإنسانيةِ . ويُنسَب إليه كثيرٌ من الحكاياتِ التى تقرُبُ من الخيالاتِ والرواياتِ .

وممن كان لِحدّةِ ذهنِهم وشخصيتهمْ أثرٌ كبيرٌ فى نجاحِهم أيضاً « اللُّوردُ ماكولى » الأسكتلندىُّ ؛ فقد كان كاتباً وشاعِراً ، وكان مؤرِّخاً وقانونيًّا ؛ وكان خطيباً وسياسيًّا . وُلد فى ٢٥ من أكتوبر سنة ١٨٠٠م ؛ وتُوفِّىَ فى ٢٨ من ديسمبر سنة ١٨٥٩ م . أظهر حُبًّا للقراءةِ ، وتعطشاً للعلمِ منذُ نعومةِ أظفارِه . توسّم[1] فيه أبواه كثيراً من علاماتِ الذكاءِ والمقدرةِ العقليةِ منذُ طفولتهِ ، فقد حَاكَى « السير وُلترسكوت » فى كتابتِهِ وعمرُه لم يزدْ على سبع سنينَ ، فكتبَ ثلاثَ قصائدَ ، ومختصراً تاريخيًّا عامًّا وهو طِفلٌ كانَ قويَّ الذاكرةِ ،

(١) تفرس فيه أبواه .

محبًّا للعملِ ، مُولَعًا بالأدب ، وَبخاصّةِ الروايات . وَكثيراً ما لامهُ أبوهُ عَلَى قراءتِها . انتسبَ فى أكتوبر سنة ١٨١٨ إلى جامعةِ « كمبردج » ، وَحصلَ على أربعِ جوائزَ منها . وَفى حياتهِ العمليةِ اُشتغلَ بالقضاء ، ثمَّ اتخذَ الأدبَ مِهنةً لهُ ، ثم انتسبَ إلى أحدِ الأحزابِ السياسية ، وَنجح فى حياتهِ النيابيةِ نجاحاً باهراً ؛ لنشاطِهِ العقلىِّ ، وتأثيرِهِ الخَطابىِّ ، وَإخلاصهِ فى قولهِ . وَكَان يَنْضَمُّ لآرائهِ كثيرُونَ ، حتى من المعارضينَ لحزْبهِ . وَله خطبةٌ هى آياتٌ بيناتٌ يُدَافعُ فيها عن تعميمِ التعليم المجانىِّ ، تدُلُّ على غيرتهِ ، وَحضورِ بديهتِه . وَلم يفخرْ الشعبَانِ : الإنكليزىُّ وَالأسكتلَندىُّ إلى اليومِ بأحدٍ من رجال السياسةِ والأدبِ فخرَهما بما كُولى . وَمن كتابتهِ تكادُ تَلْمِسُ قوةَ حجتهِ ، وَرُوحَ خطابَتهِ ، وَوضوحَ لغتهِ ، وصفاءَ ذهنهِ ، وَسلامةَ ذوقهِ فى كتابتهِ ، وَجمالَ تعبيرهِ ، وحُسنَ أُسلُوبهِ ، ووَفاءهُ لبلاَدِه وأقاربه وَأصدقائهِ . تكادُ تَلْمِسُ نقدَهُ المرَّ البرىء الذى يُنبِئُ عن الإخلاصِ والإيمانِ .

وممن كان لحضورِ بديهتهِمْ أثرٌ فى فوْزِهم « المستر لُويدْ جُورْج »

رئيسُ حزبِ الأحرارِ بانجلترا ؛ فقد حدَثَ أنه كانَ يخطبُ فى مجتمعٍ فى أثناءِ الانتخاباتِ ، فسألهُ أحدُ الحاضرينَ مُقاطعاً إياهُ :

أيذكُر (المستر لُويدْ جورْج) أباه بمركبتهِ وحمارِه ؟ فأجابهُ (المستر لويدْ جورْج) بلباقتِه المأثورةِ : « نعمْ أذكرُ ذلكَ ؛ أمَّا المركبةُ فلا أدرى عنها شيئاً ، وأما الحمارُ فها هُوَ ذا يُذكِّرُنى بنفسِه » . مُشيراً إلى مَن قاطعَه . فكانَ جواباً مُضحكاً مُسْكتاً .

فالنَّشاطُ العقلىُّ يُساعدُ على النجاةِ ، كما يساعدُ على النجاحِ فى الحياةِ . ويُنقِذُ الإنسانَ من أدقِّ المراكزِ ، ويحفظُ شخصيتَهُ فى أشدِّ المواقفِ ، ويُسَهِّلُ الصعبَ ، ويُقرِّبُ البعيدَ . ولهُ أثرٌ كبيرٌ فى حُسْنِ الخُلُقِ والسلوكِ . وبالإحصاءِ وُجدَ أنَّ أكرمَ حُكامِ « أوْرُبة » خُلُقاً فى القرونِ الثلاثةِ الأخيرةِ الماضيةِ كانوا على قِسْطٍ كبيرٍ من الذكاءِ .

الفصل الرابع

٣ — المشاركةُ الوجدانيّة

العُنصرُ الثالثُ من العناصرِ التى تتكوّنُ منها الشخصية يدعَى المشاركةَ الوجدانيَّةَ ؛ فإذا لم نَشعُرْ بشعُورِ النَّاسِ ، ولم نشاركْهم فى مَسرَّاتِهم وأحزانِهم ، ولم نتأثرْ بآرائهم وأفكارِهم ، فهذا دليلٌ على أنَّنا فى حاجةٍ إلى أن نَضَع أنفُسَنا موضِعَهم ، مهْما تكنْ علاقتهم بِنا ، على شرطِ أنْ يكونَ لدينَا اُستعدادٌ للفهمِ والتفكيرِ والشعورِ ، مهْما تكنْ مراكزُنا بالنسبة إليهم ، منْ غيرِ نظرٍ إلى رئيسٍ أو مرءوسٍ ، غنيٍّ أو فقيرٍ ، عظيمٍ أو حقير ، رفيعٍ أو وضيعٍ ، وألا تكونَ مناصبُنا العاليةُ حجرَ عَثرة فى سبيل فهمنا لغيرنا ، وتقديرِ ظروفهِ المحيطةِ به ، بل تكون مُعيناً لنا على أنْ نشاركَهُ فى حالاتهِ ؛ فنُسرَّ لسروره ، ونتألمَ لآلامِهِ . وبذلك نمتلكُ قلبَه .

أما صاحبُ المِزاجِ البارِدِ الذى يتمثلُ فيه الجمودُ والقسوةُ والغلظةُ فلا يتأثرُ لما ينتابُ غيرهُ من نَكباتٍ ، ولا يحبُّ أن يتفاهمَ مع أحدٍ

فهو ينفرُ من النَّاس، والناسُ ينفرُونَ منْهُ، وهو يؤثرُ فى غيْرِهِ بالإيذاء، كما يؤثرُ الهواءُ البارِدُ فى النباتِ الغضِّ الشديدِ الإحساس، فيتجمَّدُ قبلَ أن ينموَ أو يترعرعَ. سائلُه محرومٌ، ومالُهُ مكتومٌ، يملأُ بطنَه وجارُه جائعٌ، ويحفظُ مالَهُ وعرضُه ضائعٌ.

ومن أكبرِ عيوبِ (نابليونَ) الَّتى كانَ يتخلَّقُ بها شدةُ قسوتهِ عَلَى النوع الإنسانىِّ، وعدمُ مشاركتِهِ له فى شُعورِهِ. ومِنْ ثَمَّ كانتْ شخصيتُهُ غيرَ كاملةٍ. وإنَّنا فى الوقتِ الذى نطالبُ فيه بالعدالةِ نُطالبُ أيضاً بالرَّحمةِ.

ومن الحِكمةِ — إذا كنتَ رئيساً — أن تصلَ بالمشاركةِ الوجدانية إلى تنفيذِ جميع رغباتك، من غير التجاءٍ لإظهارِ سُلطتِك؛ وأنْ تفوزَ بطاعةِ مرءوسيكَ، من غيرِ احتماء بالقانون. ومن المهارةِ أنْ تُبينَ لمرءوسيكَ غلطاتِهم، ومواضعَ ضعفِهم، وتُسَيرَهم كيفَ تشاء بدونِ أنْ تَحُطَّ من كرامتِهم، وبدونِ أنْ تُظْهِرَ لهم أنَّكَ أعلى وأرقى منهُم، ومِنْ غيرِ اضطرارٍ إلى اتخاذِ شدةٍ أو عُنف. إذا أمكنك الوصولُ إلى كلِّ هذا، كانت شخصيتُك قويةً، وكانَ تأثيرُك كبيراً.

وإنَّ قوَّةَ التأثيرِ لا تستدعِي قسوةً أو غِلْظَةً، ولكنَّها تستدْعِي أنْ تُشاركَ الناسَ فى شعورِهم ووجدانِهم، وتتألَّم لما يَدْهَمُهم[1] من حوادثِ الدهرِ، وتُؤاسيَهُم فيما يُلِمُّ بهم من نوائبِهِ، وتنظرَ إلى حسناتِهم قبل سيئاتِهم، وفى صوابِهم قبل خطئِهم، وتقدرَ حَسَناتِهم إذا أحسنُوا، وتفكرَ فى البواعثِ التى اضطرتهمُ إلى الخطأ إذا أخطئُوا، وتعدلَ فى أحكامِك إذا حكمتَ؛ لا تنزِعُ[2] إلى جانبِ الظلم، ولا تميلُ إلى ناحيةِ التهاون. وبهذهِ الوسيلةِ تكونُ قويًّا، لينًا فى غيرِ ضَعفٍ، مُتواضعاً فى غيرِ ذِلَّة، موفَّقاً فى عَمَلِك، محبوباً عندَ غيرِكَ.

أمَّا هؤلاءِ الذين يَلجئُون إلى الشدَّةِ والقسْوةِ دائماً فهم ضُعفاء يشعرونَ بالضعفِ فى ناحيةٍ من النواحى، فيلجئُون إلى الغِلظةِ؛ ظانِّين أنَّهُم بتلكَ الطريقةِ يَسْتُرون ذلك الضعفَ، ويكمِّلونَ ذلكَ النقصَ، مَثَلُهُمْ مَثَلُ الكلابِ تنبَحُ فى الطُّرُقِ، لا فى ضوءِ النهار، بل فى ظلامِ الليلِ؛ كىْ تبحثَ عن فريسةٍ تفترسُها، أو خيانةٍ تخونها، أو طعامٍ تسرِقُه. هُمْ كالكلابِ تسرُّهم عيوبُ غيرِهم، ويفرحون

(١) دهمهم الأمر: غشيهم، وبابه فهم. (٢) تميل وتذهب.

لهفوات سواهُم . وأمثالُ هؤلاء لا شخصيةَ لهم ؛ فأشخاصُهم مكروهةٌ ، وأسماؤُهم منبوذةٌ ، وأفعالُهم مَشْئومةٌ .

فالمشاركةُ الوجدانيةُ من أهمِّ عناصرِ الشخصيةِ ، تجعلُ القلبَ متَّقداً ، يشعرُ بشعورِ غيرِه ، ويقيسُ نفسَه بمقياسِ غيرِه من الناس . قال صلى الله عليه وسلم : « تَرَى المؤمنين فى تراحُمِهم وتَوادِّهم وتعاطفهم كمَثَلِ الجسدِ إذا اشتكى عضوٌ تداعَى له سائرُ جَسده بالسَّهر والحُمَّى . »(١) ويقولُ « السير وُلْتَرسكوت(٢) » الكاتبُ الأسكتلندىُّ الكبيرُ : « إن المشاركةَ الوجدانيةَ هى الحلْقة الفِضيَّةُ ، أو الرِّباط الحريرىُّ الذى يصلُ القلبَ بالقلبِ ، ويربط العقلَ بالعقلِ وبالجسمِ وبالروح » . فإذا كانت الشخصيةُ هى القوةَ التى يُجتذَبُ بها غيرُنا ، فالمشاركة الوجدانية من أهم الأشياء التى بها نتصل بقلوب غيرُنا وأرواحِهمْ .

قِيل لأعرابىّ : ما بالُ المرائى أجودُ أشعاركُمْ ؟ فقالَ : لأنَّا نقولُ وأكبادُنا تحترقُ » . وفى المرائى تبدُو المشاركةُ الوجدانية . وإذا قدَرْنا غيرنا ، وفكَّرْنا فيهِ ، وسُرِرنا لسروره ، وتألمنا لألمِهِ ،

---

(١) الألم والاضطراب . (٢) Sir Walter Scott (١٧٧١ — ١٨٣٢م .) من أكبر الكتاب الأسكتلنديين الفصحيين المعروفين بالإخلاص ، وصدق العزيمة ، وقوة الإرادة . له روايات كثيرة تمثل الحياة الاجتماعية فى أسكتلندة وغيرها ، وشعره أقل منزلة من نثره .

فإننا ننتظرُ منه أنْ يقابلَ المثلَ بالمثل ، فيقدرَنا ويُفكرَ فينا ، ويُشاركنا فى سعادتنا وشقائنا بوجدانه وقلبه . أما إذا لم نقدرْ أحداً ، ولم نُفكرْ فى أحدٍ ، فإنّا لا نترقَّبُ أنْ يقدرَنا أوْ يُفكرَ فينا أحدٌ .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يُؤمنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه . »

وقال أفلاطون[١] : إنَّ إشراكنا غيرَنا فى مسرّاتنا يزيدُنا إحساساً بتلكَ المسرّاتِ . وقال أرسطو[٢] : إنّنا فى حُبّنا الخيرَ لغيرنا وفى بحثنا عنهُ نجدُ لأنفسنا خيراً . وقال سِنِكا[٣] : لو أُعطيتُ الحكمةَ كلَّها لنفسى على أنْ أستأثرَ بها وأمنعها عن إخوتى بنى الإنسانيةِ لكرِهتُ الحكمةَ .

ومن المشاركةِ الوجدانيةِ أنْ يُخلِصَ الأستاذُ فى نُصحِ طلبتهِ وإرشادهم ، والتفكيرِ فى عملهم وظروفهم ، ومُستقبلهم ؛ فيُقابل الطلبةُ ذلك بالوفاء والطاعةِ والإجلالِ .

---

(١) أفلاطون : ولد فى أثينا سنة ٤٢٨ ق . م ، وتوفى سنة ٣٥٧ ق . م . فيلسوف يونانى من تلاميذ سقراط . ومن مؤلفاته الخالدة كتابا « الجمهورية » و « القوانين » .

(٢) أرسطو : ولد سنة ٣٨٤ ق . م . وتوفى وعمره ٦٢ سنة تقريبا ، كان مربيا للاسكندر المقدونى .

(٣) سِنِكا : (٣ ق . م — ٦٥ م) : فيلسوف رومانى ، عرف بالخطابة وقوة الحجة .

فالشخصيةُ القويةُ تتطلَّبُ أن نتأثَّرَ لغيرِنا ، ويتأثَّرَ غيرُنا لنا ، ونَشعُرَ بشعورِهم ، ويَشعرُوا بشعورِنا . ولا أثرَ للتربيةِ والتعليم إذا لم يُصحبا بمحبةِ غيرِنا ، والتفكيرِ فيهم بقُلوبِنا . فالمشاركة الوجدانيةُ يَجبُ أنْ تتحققَ فى القادةِ : قادةِ الفكرِ ، وقادةِ العملِ ، حتى تكونَ لهم شخصيةٌ جذابةٌ قويةٌ .

غير أنَّه ينْبغِى ألاَّ يتدخلَ الوجدانُ والعاطفةُ فى أقوالِنا وأفعالِنا ، وحركاتِنا وسكناتِنا تدخُّلاً كبيراً ؛ كى نستطيعَ أن نزنَ الشىء بميزانِ العدالةِ ، لا بميزانِ العاطفةِ . ويجبُ ألا ننظرَ إلى الأمورِ من ناحيةٍ واحدةٍ ، وهى الناحيةُ الوجدانيةُ ؛ لئلا يَختلَّ التوازنُ ، ويُصبحَ العقلُ عبداً خاضعاً للتأثيراتِ الوجدانيةِ العاطفيةِ التى تُعمِينا عن حقائقِ الأشياءِ وعلاقاتِها بغيرها .

وممن تتمثَّلُ فيهم المشاركةُ الوجدانيةُ الرسولُ الكريمُ ؛ فقد كانَ النَّضْرُ بنُ الحارثِ مع قريشٍ ضدَّ الرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم فى غزوةِ بدرٍ ، فأمرَ الرسولُ بقتلِه .

فقالتْ قُتَيلةُ بنتُ النَّضرِ بنِ الحارثِ تبكى أخاها :

يا راكباً إن الأثيل[١] مظنة[٢] * من صُبْح خامسةٍ وأنت مُوفَّقُ
أبلِغْ بها ميتاً بأن تحيَّةً * ما إن تزالُ بها النجائبُ[٣] تخفِق[٤]
منِّي إليك، وعبرةً مسفوحةً[٥] * جادت بواكِفِها، وأخرى تخنُق
هل يَسمعَنِّي النضر إن ناديتُه * أم[٦] كيف يسمعُ ميِّتٌ لا ينطق
أمحمدٌ يا خيرَ ضِنْءٍ[٧] كريمةٍ * في قومها، والفحلُ فحلٌ مُعرِقُ[٨]
ما كان ضرَّك لو مننتَ[٩] وربما * منَّ الفتى وهو المغيظ[١٠] المُحنَق

فبكى النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ وقالَ: «لو سمِعتُها قبلَ اليوم ما قتلتُه.»

وتمثَّلُ أيضاً في سيدِنا عمرَ بنِ الخطابِ رضى اللهُ عنهُ؛ انظرْ إلى ما رواهُ أسلمُ: قال: خرجتُ مع عمرَ بنِ الخطابِ إلى حَرَّةِ واقم[١١]، حتى إذا كنا بِصرار[١٢] إذا نارٌ تُؤرَّثُ[١٣]، فقال: يا أسلمُ، إني أرى هؤلاء رَكْباً[١٤] قصَّر بهم الليلُ والبردُ. انطلِقْ بنا. فخرجْنا

---

(١) الأثيل: موضع فيه قبر النضر. (٢) يُظَن أن تبلغَه. (٣) جياد الإبل.
(٤) تهتز بشدة. (٥) مصبوبة. أى بلغه منى رسالة، واذكر له عبرة على فقده سالت، وعبرة أخرى جمدت، وأخذ حزنها بالحلق فخنقه. (٦) بل.
(٧) ولد. وفى رواية أخرى صِنْو. (٨) له أصول راسخة فى الكرم. والمعنى أن أمك شريفة، وأباك عريق فى المجد. (٩) عفوت. (١٠) وهو منطو على الغيظ والحنق. (١١) قرية لبنى مرة، قرب خيبر بظاهر المدينة.
(١٢) بلد بقرب المدينة. (١٣) أرَّث النار: أوقدها. (١٤) جمع راكب.

نُهرولُ حتى دنوْنا مِنْهم ؛ فإذا امرأةٌ معها صِبيانٌ لها ، وَقِدرٌ منصوبةٌ على النارِ ، وَصبيانُها يتضاغَوْنَ[1] .

فقال عمرُ : السلامُ عليكُمْ يا أصحابَ الضوء . قالت المرأة : وعليك السلامُ . فقال : أأدنُو ؟ قالتْ : اُدْنُ بخيرٍ أو دَعْ . فقال : ما بالُكم ؟ قالت : قصَّر بنا الليلُ والبردُ . قال : ما بالُ هؤلاء الصبيةِ يتضاغَوْنَ ؟ قالت : الجوعُ . قال : وأىُّ شىءٍ فى هذهِ القدرِ ؟ قالتْ : ماءٌ أُسْكتُهم به حتى يناموا . اللهُ بيننا وبين عُمرَ . فقال : أىْ رحِمَكِ اللهُ ، ما يُدرِى عمرَ بِكُم ؟ قالت : يتولى أُمورَنا ويَغفلُ عنَّا ؟

فأقبلَ علىَّ ، فقال : انطلقْ بنا ، فخرجْنا نهرولُ حتى أتينا دار الدقيقِ . فأخرجَ عِدْلا[2] فيه كُبَّةٌ[3] شحمٍ . فقال : احمِلهُ علىَّ . قلتُ : أنا أحمِلُهُ عنكَ . قال احمِلهُ علىَّ (مرتين أو ثلاثاً) ، كلُّ ذلكَ وأنا أقُولُ : أنا أحْمِلهُ عنك . فقال فى آخرِ ذلكَ : أأنتَ تحمِلُ عنى وِزرى[4] يومَ القيامةِ ؟ لا أمَّ لك !

فحملْتهُ عليهِ . فانطلقَ وانطلقْتُ معه نُهرولُ حتى انتهينا إليها ،

(١) يصيحون . (٢) كيلا . (٣) قطعة . (٤) الوزر : الإثم .

فألقى ذلكَ عندَها ، وأخرج من الدقيقِ شيئاً ، وجعلَ يقولُ : ذُرِّى علىَّ وأنا أحركُ لكِ . وجعلَ ينفخُ تحتَ القِدرِ — وكان ذا لحيةٍ عظيمةٍ — فجعلتُ أنظر إلى الدُّخانِ من خِلال لحيتِهِ ، حتى أنضجَ الطعامَ ، وقالَ : أحْضِرى شيئاً ، فأتيتُهُ بصحْفةٍ[1] فأفرغَ الطعامَ فيها ، ثم جعلَ يقولُ أطعِميهم وأنا أساعدُكِ . فلم يزَلْ حتى شبِعوا ، ثم خلى عندَها فَضْلَ[2] ذلك ، وقامَ وقمتُ معهُ . فجعلتْ تقولُ : جزاكَ اللهُ خيراً ، أنتَ أولى بهذا الأمرِ من أميرِ المؤمنينَ . فيقولُ : قولى خيراً ؛ إنكِ إذا جئتِ أميرَ المؤمنينَ وجدتِنى هُناك إن شاء اللهُ . ثم تنحَّى ناحيةً ثم أستقبلَها ، ورَبضَ[3] مَرْبِضَ الأسدِ ، فجعلتْ أقولُ : إنَّ لك لشأناً غيرَ هذا ، وهُوَ لا يُكلِّمُنى ، حتى رأيت الصبيةَ يلعبُونَ ويضحكونَ ، ثُمَّ ناموا وهدءوا ؛ فقامَ وَهو يحمدُ اللهَ ، ثمَّ أقبلَ علىَّ ، فقالَ : يا أسلمُ ، إنَّ الجوعَ أسهرَهُمْ وأبكاهُم ، فأحببتُ ألا أنصرفَ حتى أرَى ما رأيتُ فيهم .

وَهذهِ الحادثةُ تدُلُّ على أنَّ سيدَنا عمرَ كانَ مِثالاً لمشاركةِ العامَّةِ فى مسرَّاتِها وَأحزانِها ، يُفكِّرُ فى الرعيةِ ويقوم بما يجبُ عليه نحوهَا .

(١) الصحفة : كالقصعة تشبع خمسة من الرجال . (٢) بقية . (٣) جلس .

ثم أنظرْ إلى المهدىِّ وقد خرَجَ بعد هدْأةٍ[١] من الليلِ يطوفُ بالبيتِ، فسمعَ أعرابيةً من جانبِ المسجدِ تقولُ: قومٌ متظلمُونَ، نَبَتْ[٢] عنهم العُيونُ[٣] وَعَضَّتْهُم السِّنُونَ، بادَ[٤] رِجَالُهُمْ، وذهبَ مالُهُمْ، وكثُرَ عِيالُهم، أبناءُ سَبيلٍ، وأنضاءُ[٥] طريقٍ، راعَوْا وصيةَ اللهِ، ووَصيةَ رسولِ اللهِ. فهلْ آمرٌ بخيرٍ، كَلَأَهُ[٦] اللهُ فى سفرِهِ، وخلَفَهُ فى أهله؟ فأمر نصْراً الخادمَ فدفعَ لها خمسمائةِ درهمٍ.

ثم أعِدِ النظرَ إلى رِفقِ الخلفاءِ. قال إبراهيمُ بنُ الحسنِ بنِ سهلٍ: كنّا فى مجلسِ المأمُونِ وعمْرُو بنُ مَسعدَةَ يقرأُ عليه الرِّقاعَ. فجاءتْهُ عَطْسةٌ. فلَوَى عُنقَه، فردَّها، فرآهُ المأمُونُ، فقال: يا عمْرُو لا تفعلْ؛ فإنَّ ردَّ العطْسةِ، وتحويلَ الوجْهِ بها يورِثانِ انقطاعاً فى العُنُقِ.

فقال بعضُ ولدِ المهدىِّ: ما أحسنَها من مَولًى[٧] لعبْدِهِ، وإمام لرعيتِهِ. فقال المأمونُ: وَما فِى ذَلك؟ هذا هشامٌ اضطربَتْ عِمامتهُ فأهوَى الأبرشُ الكلبىُّ إلى إصلاحِها. فقال هشامٌ إنَّا لا نتخذُ الإخوانَ خَوَلاً[٨]. فالذى قال هشامٌ أحسنُ مما قلته. فقال عمْرٌو: يا أمير

(١) جزء. (٢) تركتهم. (٣) كبار البلد.
(٤) هلك. (٥) جمع نضو: المهزول. (٦) حفظه.
(٧) المولى هنا: السيد. (٨) الخول جمع خائل: العبيد، الرعاة.

المؤمنينَ ، إنَّ هِشاماً يتكلفُ ما طُبعتَ عليهِ فما تُعْدَل فيهِ ، ليسَ له قرابتُك منْ رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولا قِيامُك بحقِّ اللهِ ، وإنك والملوكَ لَكما قال النابغةُ الذُّبيانيُّ :

ألمْ تَرَ أنَّ اللهَ أعطاكَ سَورةً * تَرى كُلَّ مَلْكٍ دونها يتذبْذَبُ
كأنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ * إذا طلعتْ لم يبْدُ منهن كوكبُ

ثم انظرْ إلى الشعورِ نحو الفقراء :

دخلتْ أعرابيةٌ على عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرةَ بالبصرةِ ، فوقفتْ بينَ السِّماطينِ (١) . فقالتْ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، وأمتعَ (٢) بهِ . حدرَتْنا إليكَ سَنةٌ اشتدَّ بلاؤُها ، وانكشفَ غِطاؤُها ، أقودُ صبيةً صِغاراً ، وآخرينَ كباراً ، في بَلدةٍ شاسعةٍ (٣) ، تخفِضُنا خافضةٌ ، وترفعُنا رافعةٌ ، لِمُلماتٍ (٤) من الدهرِ برَينَ عظمي ، وأذهبْنَ لحمي ، وتركْنَني وَالِهةً (٥) أدورُ بالحضيضِ ، وقد ضاقَ بيَ البلدُ العريضُ ، فسألتُ في أحياءِ العربِ : مَن الكاملةُ فضائلُه ، المُعْطَى سائلُه ، المكفيُّ

(١) السماطان من النخل والناس : الجانبان . يقال مشى بين السماطين .
(٢) نفع . (٣) بعيدة . (٤) الملمة : النازلة من نوازل الدنيا .
(٥) متحيرة من شدة الحزن .

نائلهُ ؟ فدُلِلتُ عليكَ — أصلحَكَ اللهُ تعالى — وأنا امرأة من هَوازنَ ، وَقد ماتَ الوالدُ ، وغابَ الرافِدُ[١] ، وأنتَ بعدَ اللهِ غِيَاثِي[٢] ، ومُنتهى أملِي ، فافعلْ بي إحدى ثلاثٍ :

إما أن تردَّنى إلى بلدِى ، أو تحسِنَ صَفَدِى[٣] ، أو تُقيمَ أَوَدِى[٤] ، فقال : بل أجمعُها لكِ . فلم يزَلْ يُجرِى عليها كما يُجرِى على عِياله حتى ماتتْ .

وقيلَ : أُحْضِرَ إلى المأمونِ رجلٌ قد أذنبَ ، فقالَ له المأمون : أأنتَ فعلتَ كذا وكذَا ؟ قال : نعمْ يا أمير المؤمنين ، أنا الذى أسْرَفَ على نفسِهِ ، واتَّكلَ على عفوِك ؛ فعفا عنْه .

وحُكِىَ : أنَّ عبدَ الملك بنَ مروانَ غضِبَ على رجلٍ فهرَبَ منه ، فلما ظفِر به أمر بقتْله . فقال له الرجلُ : إنَّ الله قد فعلَ ما أحببتَ من الظفرِ ، فافعل ما يحبُّه من العفوِ ؛ فإنَّ الانتقامَ عدلٌ ، والتجاوزَ فضلٌ ، واللهُ يحبُّ المحسنينَ ؛ فعفا عنْه .

---

(١) الرافد : المعطى والمعز .
(٢) منقذى ، وفيك نجدتى .
(٣) الصفد : العطاء .
(٤) اعوجاجى .

وقيلَ إنَّ دِماءً وقعتْ بين حيَّيْنِ[1] من قُريشٍ، فأقبلَ أبوسُفيانَ، فنظر الجميعُ إليه، فقالَ: يا معشرَ قريشٍ، هلْ لكم فى الحقِّ أو فيما هُو أفضلُ من الحقِّ؟ فقالوا: وهل شىءٌ أفضلُ من الحقِّ؟ قال: نَعَمْ، العفوُ. فبادرَ القومُ فاصطلحُوا.

وذُكرَ عن محمَّد بنِ حُميدٍ الطوسىِّ أنَّهُ كانَ يوماً على غَدائِهِ معَ جُلسائِهِ، وإذا صيحةٌ عظيمةٌ على بابِ دارِهِ، فرفعَ رأسَهُ، وقال لبعضِ غِلمانِه: ما هذهِ الضَّجَّةُ؟ مَن كانَ على الباب فليدخلْ؛ فخرجَ الغلامُ ثم عادَ إليه وقال: إن فلاناً أُخِذَ وقد أُوثِقَ بالحديدِ، والغلمانُ ينظرُونَ أمركَ فيه؛ فرفع يدَهُ من الطعامِ، فقال رجلٌ من جلسائِهِ:

الحمدُ للهِ الذى أمكنَكَ من عدُوِّكَ، فسبيلُه أن تسقِيَ الأرضَ من دمِه. وأشارَ كلٌّ من جلسائِهِ عليه بقتْلِهِ على صِفةٍ اختارها؛ وهو ساكتٌ، ثم قال:

يا غلامُ، فكَّ عنْهُ وِثاقَه[2]، ولْيدخلْ إلينا مُكرَّماً، فأُدخِلَ عليه رجلٌ لا دمَ فيهِ، فلما رآه هَشَّ[3] إليهِ، ورفعَ مجلِسَه، وأمر بتجديدِ

(١) الحى: واحد أحياء العرب.
(٢) الوثاق بالفتح ويكسر: ما يشد به.
(٣) تبسم وخف إليه وارتاح له.

الطعامِ، وبَسَطه بالكلامِ، ولقمَه حتى انتهى الطعامُ، ثم أمر له بحُلةٍ حسنةٍ وصِلةٍ[1]، وأمرَ بردِّهِ إلى أهلِهِ مُكرَّماً، ولم يعاتبْه على جُرمٍ ولا جنايةٍ. ثم التفتَ إلى جُلسائِهِ وقال لهم: إن أفضلَ الأصحابِ من حَضَّ الصاحبَ على المكارمِ، ونهاهُ عن المآثمِ، وحسَّنَ لصاحبِهِ أن يُجازيَ الإحسانَ بضعفِهِ، والإساءةَ بصفْحِهِ؛ إنَّا إذا جازيْنا من أساء إلَيْنا بمثْلِ ما أساء فأيْنَ موقعُ الشكرِ على النعمةِ فيما أُتيحَ من الظفرِ؟

وقيلَ، غضِبَ هارونُ الرشيدُ على حُمَيدٍ الطوسيِّ، فدعا له بالسيفِ، فبكى، فقال لهُ: ما يُبكيك؟ فقال: واللهِ يا أميرَ المؤمنين ما أفزَعُ من الموتِ؛ لأنه لا بدَّ منه، وإنما بَكيتُ أسفاً على خُروجي من الدُّنيا وأميرُ المؤمنينَ ساخِطٌ عليَّ. فضحِكَ الرشيدُ، وعفا عنه.

وقال خالدُ بنُ عبدِ الله لسليمانَ بنِ عبدِ الملك حينَ وَجَدَ[2] عليه: يا أميرَ المؤمنينَ، إن القدرةَ تُذهب الحفيظةَ[3]، وأنت تَجِلُّ عن العقوبةِ، ونحنُ مُقِرُّون بالذنبِ، فإن تَعْفُ عنى فأهلُ ذلك أنت، وإن تُعاقبْنى فأهلُ ذلك أنا، فعفا عنْه[4].

(١) عطية. (٢) غضب. (٣) الغضب.
(٤) انتهى من نهاية الأرب ج ٦ ص ٦٤. طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٦.

وتتمثَّلُ المشاركةُ الوجدانية فى « أبراهَامَ لِنكولن[١] » أحدِ الرؤساءِ السابقينَ للولاياتِ المتحدةِ بأمريكا، ومُصْلحِها الأكبر؛ فقد روَى أحدُ قوادِ الجيشِ قال: فى الأسبُوعِ الأول الذى تسلمْتُ فيه العملَ صدرَ حكمِ المحكمةِ العسكريةِ بإعدامِ أربعةٍ وعشرينَ جُنديًّا من الفارِّينَ من الجيشِ. ثم أُرسِلَ الحُكمُ أو (القرار) إلى الرئيسِ (لِنكولن) للموافقةِ عليه؛ فرفضَ، فذهب القائدُ إلى مدينةِ واشنطونَ، وقابلَ الرئيسَ، وقال له:

« سيدى الرئيس، إننا إذا لم نُمثِّلْ بهؤلاءِ الفارِّينَ شرَّ تمثيلٍ فإنَّ الجيشَ يَكونُ فى خطرٍ عظيمٍ، والشفقة على الأقليَّةِ ظلمٌ للأكثريةِ. » فأجاب (لِنكولن):

« أيُّها القائدُ! إن الولاياتِ المتحدةَ قد مُلِئَتْ بالثَّكالَى[٢] من الأراملِ[٣]، وأرجُو ألا تسألَنى أنْ أزيدَ الطينَ بِلَّةً؛ فإنى لنْ أجيبَك إلى رغبتِك. » وعفَا عَنْهُمْ جميعاً.

وفى يومٍ من الايام أصدرَ أمراً بالعَفوِ عن جنْدِىٍّ حُكِم عليهِ

---

(١) ولد فى ١٢ من فبراير سنة ١٨٠٩، وقتل فى ١٥ من ابريل سنة ١٨٦٦ م.
(٢) الثَّكلى: من فقدت ولدها. (٣) الأرملة: المرأة التى لا زوجَ لها.

بالقتل ؛ لأنَّهُ وُجد نائماً فى مركزِ حراستهِ ، ثمَّ قال : « إنى لاَ أستطيعُ أن ألقَى الله ودمُ هذا الشابِّ المسكينِ على ملابسى . إنى لاَ أقبل أنْ يُضربَ بالرصاص وقد غَلبَهُ النومُ لِشِدَّةِ تعبه . » وبعْدَ أشهرٍ قُتِلَ ذلك الشابُّ فى أثناء الحرْبِ ، وقد وُجِدَ معلقاً صورةَ (لِنْكولْن) على قلبهِ ، كاتباً عليها ، « حفِظ اللهُ الرئيسَ لنكولْن » .

وبينَما كان (لِنكولْنُ) يزورُ جَرْحَى الحربِ إذ سَمِعَ جريحاً يَئِنُّ[1] وهو فى النَّزْعِ[2] الأخيرِ ويردِّدُ ! « أمِّى ، أمِّى » ؛ فبَكى « لِنكولْنُ » وذهبَ إليهِ ، وانْحَنَى عليهِ ، وسألهُ : ماذا أستطيعُ أن أفعلَ لك يا بُنَىَّ العزيز ؟ فأجابَ الجريحُ : « أرجُو إرسالَ هذهِ الرسالةِ إلى أمِّى » . فازدادَ بكاءً (لِنْكولنَ) ، وأقنعَهُ بصوتٍ يملؤه الحزنُ والعطفُ بتنفيذِ رغْبتهِ . وأمر بإرسالِ رسالتِه فى الحالِ إلى أُمِّهِ مع رايةٍ خاصة .

وحدَثَ أنْ رأى الرئيسُ (لِنْكولْنُ) غلاماً صغيراً ممتَقِعَ[3] اللونِ ، نحيفَ الجسمِ ، ضعيفَ القُوَّةِ ، واقفاً بجانبِ القصْرِ الأبيضِ ،

---

(١) يتوجع . (٢) النفس الأخير من الحياة . (٣) أصفر .

فدعاه الرئيسُ ، وقال له : أقبِلْ يا بُنَيَّ وأخبرْنى بما ترغبُ ، فتقدمَ الغلامُ نحوَهُ ، وَأحْنَى رأسَه احتراماً له ، وقال والخوفُ يبدُو من نَبَرَاتِ صوتِه : « مولاىَ ؛ كنتُ أشتغِلُ فى مصنعٍ ، فطردنى صاحبُـه ، فمرضتُ ، فذهبتُ إلى المستشفَى ، فمكثتُ به مدةً ليستْ بالقصيرةِ ، والآنَ لا مأوَى لِى ؛ فقدْ قُتِلَ أبى فى الجيشِ ، وماتتْ أُمِّى وأنا صغيرٌ ، وليْسَ لِى إخوةٌ ولا أخواتٌ ولا أصدقاءُ ، وليْس هُناك منْ يَعُولُنى[1] » . ثم أخذَ يبكى . فامتلأَتْ عينَا (لنكولنَ) دُموعا ، وسَرْعانَ ما فرَّحَهُ ، وأدْخَلَ السرورَ فى قلبِهِ . وأمر أحَدَ الموظفِينَ بالعنايةِ بهِ ، والقيامِ بشئونِه وتربيتِه . ولا عجبَ فقد كانَ (لنكولنُ) يُحِبُّ الفقراء ، ويعطِفُ على المساكينِ ، ويُشْفِقُ على الإنْسانيةِ ، وهُو خيرُ مَثَلٍ للمشاركةِ الوجدانيةِ .

ومِمَّنْ كان يُشارك الفقراء فى آلامِهم الأديبُ الإنكليزىُّ « صامويل جُونْسون » (١٧٠٩ — ١٧٨٤م) ؛ فقد كانَ دائماً مستعِدًّا للإحسانِ إلى المساكينِ ، والعطفِ على البائسينَ ، وكان إذا مرَّ فى طريقِهِ بالفقراء وهم نائمون فى الشارع وضعَ فى يَدِ كلٍّ منهم قطعة

(١) ينفق علىَّ .

من النقودِ ؛ كَيْ يشعرُوا بشيءٍ من السُّرورِ بعد يَقظتِهم ؛ ولا غرابةَ فقد كانَ چونسونُ فقيراً ، جرَّب آلامَ الجوع ، ولا يشعرُ بالشيءِ شعوراً قوياً إلا من يُجرِّبُه .

وقد دُعِيَ الطبيبُ « أُولِفرجُولْدسْمِث » لزيارةِ عاملٍ مريضٍ فى بيتِهِ ، فوجدَ أنَّ الرجلَ ليسَ فى حاجةٍ إلى الدواء ، ولكنَّه فى حاجةٍ إلى الغذاء . فطلبَ الطبيبُ إلى زوجِ العامل أن تأتىَ معَه لأخذِ الدواء . وأعطاها صندوقاً . وأمرَها ألا تفتحَه إلا فى منزلِها . فلما فتحتْهُ فى منزلِها وجدتْهُ مملوءاً بالنقودِ ، ووجدتْ ورقةً كُتِبَ عليها : « يُؤخذُ منه كلما دَعَتِ الحاجةُ » . وكانَتْ هذه النقودُ كلَّ ما معَ (جولْدسْمِث) فى ذلك الوقتِ . ولمثلِ هذا فليعملِ العاملون .

الفصل الخامس

٤ — الشجاعة

رُبما كانتِ الشجاعةُ أهمَّ عُنصرٍ من عناصرِ الشخصية القويةِ، فى أوقاتِ الرخاءِ والشدَّةِ على السواء. ولكن ما الشجاعةُ؟ الشجاعةُ قوةٌ بها يتمكَّنُ الإنسانُ من السيطرة على قواهُ مع ضبْطِ نفسهِ وقتَ الخطرِ الذى يُهدِّدُه، سواءٌ أكانَ ذلك الخطرُ حقيقيًّا أم وهْميًّا.

وكما أنَّ الشجاعةَ فضيلةٌ فى الجُندىِّ والمَلَّاحِ، كذلك هِىَ فضيلةٌ فى غيرِهما من بنى الإنسانِ، وهىَ خيرُ مقياسٍ يقاسُ به الإنسانُ فى أوقاتِ الشدَّةِ، حيث يُتَطَلَّبُ الثباتُ أو الإقدامُ. وبهذا المقياسِ يُمكِنُ وضعُ الشخْصِ فى مرتبتِهِ الخاصَّةِ بينَ الشُّجعانِ أو الجُبناءِ، وبينَ العظماءِ أو العاديِّينَ.

الشجاعةُ عِمادُ الفضائلِ، ومَن فقدَها فقدَ كلَّ فضيلةٍ. وتَبْدو فى ثَباتِ القلبِ، ورَباطةِ الجأشِ، وحضورِ اللُّبِّ. والشجاعُ رَجلٌ ذو بسالةٍ ونَجدةٍ، صادِقُ البَأسِ، ثابتُ الفُؤادِ، يُنازِلُ الرِّجالَ،

ويُقارعُ الأبطالَ . والجَبانُ إن أحسَّ بعصفورٍ طارَ فؤادُه ، وإن طَنَّتْ بعوضةٌ طالَ سُهادُه ، يفزَعُ من صرير الباب ، ويَقلقُ من طَنينِ الذبابِ .

وقد خرجَ المعتصِمُ يوماً للصَّيدِ فظهرَ له أسدٌ ، فقال لرجلٍ من أصحابه أعجبَه قوامُه وسلاحُه وتمامُ خلقِـه : أفيكَ خيرٌ يا رجلُ ؟ قال : لا . فضحكَ المعتصمُ وقال : قبحَ اللهُ الجبانَ .

ورأى الإسكندرُ سَمِيًّا[1] له لا يزالُ ينهزمُ ، فقال له : يا رجل ، إمَّا أن تُغيِّرَ فِعلَك ، وإما أن تغيرَ اسمَك .

وقدْ قِيلَ ، وقيلَ حقًّا : إن الشجاعةَ تتوقفُ عَلَى القوةِ الجسميةِ والعصبيةِ والعقليةِ والخُلُقيةِ التى لدَى الإنسانِ . وإنَّ المدنية الحاضرةَ قد قَلَّتْ من الشجاعةِ بينَ الأفرادِ ؛ فقد صرَّحَ أحد النُّظَّارِ السابقينَ لمدرسةِ « إيتون » الإنكليزيةِ المشهورةِ بأنه رأى غلاماً دخلتْ فى عينِهِ ذبابةٌ ، فحاولتْ أُمُّه وأخواته الثلاثُ إخراجَها بغيرِ جَدوَى ، ولمْ يكن الأمرُ فى حاجةٍ إلى أكثرَ منْ أنْ يتحملَ الولدُ الألمَ دقيقةً واحدةً ، ولـكنَّه لم يتحملْ آلامَ دقيقةٍ — إن كانت هناك آلامٌ — فأُخِذَ فى سيَّارةٍ إلى طبيبٍ فى مدينةٍ تبعدُ خمسةَ أميالٍ عن القريةِ . كلُّ هذا

(١) يقال هو سَمِيُّ فلان : إذا وافق اسمُه اسمَ فلان .

من أجلِ شيءٍ يسيرٍ كان فى استطاعة أى فرد من الأسرةِ أن يقومَ به بسُهولة .

هذه حكايةٌ عن شبانِ الأمسِ وأمهاتِ الأمسِ بانجلترة. أما اليوم فتجدُ الأمهاتِ والآباء فى الرِّيفِ يغرسون الشجاعةَ ، وخُلقَ الرجولةِ فى نفوسِ أبنائهم من الصغر ، ويعوِّدونهم الصبرَ وضبطَ النفسِ ، وكتمانَ الشعورِ ، وتحملَ الألم من الطفولةِ الأولى .

وبهذه الوسيلةِ يبثُّونَ الشجاعةَ فيهم . ولا يظهر الخُلُق المتينُ ، ولا تبدو الشخصية القوية ، إلا بهذا النوع من الشجاعةِ ، وهو القدرةُ على احتمالِ الآلامِ . وإنَّ مَنْ يستطيعُ أن يحتملَ دقائقَ أكثرَ من غيرهِ يمكنُه أن يفوزَ بالنجاح والنصرِ ، سواءٌ أكان جنديًا أم قائداً ، متعلماً أم معلماً ، غنيًّا أم فقيراً .

وبالشجاعة يظهرُ الفرقُ الكبيرُ بين الشخصية القوية ، والشخصية الضعيفةِ .

والآن نُريدُ أن نبيِّنَ مظاهرَ الشجاعةِ وأثرَها فى النجاح فى العمل ، وفى الحياة الاجتماعية فنقولُ :

مظاهر الشجاعة :

أولاً : الشجاعة فى ضبْط النفس ؛ وذلك بأن نقِفَ موقفاً طَبيعيًّا بكلِّ شجاعةٍ عند مقابلة الرؤساء أو عند الظهورِ أمام مجتمعٍ لإلقاء محاضرةٍ ، أو الاشتراكِ فى مناظرةٍ ، أو التعبير عن رأيٍ ، أو الدفاعِ عن مبدأ أو عقيدةٍ ، بحيث لا نَرْتعدُ ولا نضطربُ ، ونظهرُ بأحسن مظهرٍ فى حديثِنا وإلقائِنا ، ونُبرهنُ بأعمالِنا وآرائنا على مقدِرَتنا بكل لطفٍ وأدب . وإذا لم يكنْ لدى الإنسانِ قدرةٌ عَلَى إظهار مقدرتهِ بالعملِ وضبطِ النفس، فقد تضيعُ الفرصة الذهبية التى رُبَّما لا تصادفُه مرةً أُخرى . وكثيراً ما تَضيعُ الفرصة من الشخص ، ثم يندبُ سوءَ حظِّه ، ويَشكو الظروفَ والمقاديرَ ، مع أنه لم يكنْ فى حاجة إلى أكثر من الشجاعةِ فى انتهاز الفرصةِ حين سُنوحِها .

قيلَ[1] إن رجُلاً من أهلِ الشامِ قال : دخلتُ المدينةَ فرأيتُ رجُلاً راكباً على بغلةٍ لم أرَ أحسَنَ وجهاً ولا سَمتاً[2] ولا ثَوباً ولا دابةً منه ، فمالَ قلبى إليه ، فسألتُ عنه ، فقيل لى : هذا الحسنُ

(١) من تهذيب الكامل ج ٢ ص ٢٧٥ (٢) هيئة

ابنُ علىٍّ بنِ أبى طالبٍ رضى الله عنهما ، فامتلأ قلبى له بُغضاً ، وحسَدتُ علياً أن يكونَ له ابنٌ مثله ، فصرتُ إليه ، فقلت له :

أَ أنتَ ابنُ أبى طالب ؟

فقال : أنا ابنُ ابنهِ .

فقلت : فبكَ وبأبيك أسُبُّهما . فلما انقضَى كلامى قال لى : أحسِبُك غريباً . قلت : أجَل .

قال : فهَلْ بنا فإن احتجتَ إلى منزلٍ أنزلناك ، أو إلى مالٍ آسيناك[1] ، أو إلى حاجةٍ عاونّاك .

قال : فانصرفتُ عنه ووالله ما على الأرضِ أحدٌ أحب إلىَّ منه .

وممَّن كان يتمثَّلُ فيهم ضبطُ النفسِ جعفرٌ الصادقُ (رضى الله عنه) ؛ فقد حُكى أنَّ غلاماً له وقف يصبُّ الماء على يديه ، فوقع الإبريقُ من يد الغلام فى الإناء ، فطار الرَّشاشُ فى وجهه ، فنظر جعفرٌ إليه نظرَ مُغضَبٍ ، فقال : يا مولاىَ ، « والكاظمينَ[2] الغيظَ » قال : قد كظَمتُ غيظى . قال : « والعافينَ عن الناس » . قال : قد عفوتُ عنك . قال : « وَاللهُ يحِبُّ المحسنين » . قال : اذهبْ فأنت حرٌّ لوجه الله الكريمِ .

(١) ساعدناك (٢) كظم غيظه يكظِمه : رده وحبسه .

ولا سببَ يدعو الإنسانَ إلى الخوفِ من أبناء جنْسِه ؛ فقدْ يكون الخوفُ مبنيًّا على وَهْمٍ لا أساسَ له . وإذا وَثِقَ المتكلِّمُ بنفسه ، وعرفَ ما يُريدُ أن يقولَه ، وعرف كيف يُعبِّرُ عن خواطرِه ، وكيف يُبرْهِنُ على نظريتِه بالعقل والمنطق ، فإنه يستطيعُ أن يطمئنَّ إلى نفسه ، وَيُمسكَ بزمامِها ، ويُقابلَ من يشاء ، ويخاطبَ من يريدُ ، ما دام مُتحلِّياً بالأدبِ ، واثقاً بنفسه ، وكان عقلهُ مرتباً ، وكانت أفكارُه منطقيةً ، بحيث لا يتسرعُ فى ذكرِ شيء يدلُّ على عقلٍ مضطربٍ ، أو روح قلقةٍ ، وَلا يتظاهرُ بما ليس فيه . وإذا وَثقتَ بما تريدُ أن تقولَه ، فهذا وَحدَهُ كافٍ لأن تؤثِّرَ فى نفوس سامِعيك ، وتجعلَ قلبَك وروحَك فى إثباتِ ما تريدُ إثباتَهُ ، أو نَفْيِ ما تريدُ نفيَه ، فتتكلَّمَ بقلبك لا بلسانِك .

قيلَ مرَّ عمرُ بنُ الخطاب (رضى الله عنه) بصبيان يلعبون ، وفيهم عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ (١) ، ففرُّوا حينَ رَأَوْهُ ، وَثبتَ عبدُ الله ، فقال عُمرُ : ما لك لا تَفِرُّ مع أصحابك ؟ قال : لم أُجْرِمْ فَأَخافَك ، ولم يكنْ فى الطريق ضيقٌ فأوسعَ لكَ .

(١) هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، دعا لنفسه بالخلافة أيام يزيد ، وبايعه أهل الأقطار إلا الشام ، وقتل سنة ٧٣ هـ .

ولا شيء يَقْضِى على الشجاعة ويَخْضِدُ[1] شوكتَها أكثرُ من الهَلَع[2] ؛ فحيثما وُجِدَ وُجِدَ الألمُ ، والقلقُ النفسىُّ ، وتعبُ الضمير ، واضطرابُ العقل ؛ فتضطربُ شخصية الإنسان . وإذا كان الخوفُ ثمناً ندفعه فى سبيل المحافظةِ على الحياةِ فالإفراطُ فيه عيبٌ من العيوب الإنسانيةِ التى يجبُ تهذيبُها ، والتى تقضى بأنْ يُفكِّرَ الإنسانُ فى الشيء وفى نتائجِهِ .

ويُضاف إلى المخاوف التى تلحقُ الشخصَ فى حاضرِهِ وتحيطُ به من وقت لآخرَ ، مخاوفُ وهميةٌ يتوهمُها ، ويتخيلُ حدوثَها فى المستقبل ، فيقلقُ بالُه ، ويضطربُ فكرُه ، وتضعف شخصيتُه . وكثيراً ما تكون هذه الأوهامُ المخيفةُ مبنيةً عَلَى غير أساسٍ ، ويندرُ أن تقعَ . وكم اغتممْنا[3] لتوقع مصائبَ لم تحدثْ ، ولن تحدثَ . وتكثرُ هذه المخاوفُ عادةً لَدَى ذوى الشخصياتِ الضعيفةِ ؛ أما ذوُو الشخصياتِ القويةِ فلا يُكثِرُونَ الهمومَ ، من غير ما سببٍ ، ولأقلِّ سببٍ ، بل يستقبلون الحياةَ كما هىَ ، ويواجهونها بما فيها من مسراتٍ

(١) يقال خضد الشجر : أى قطع شوكه ، وبابه ضرب .
(٢) الهلع : أشد الجزع . (٣) اغتم : أصابه الغم والكرب .

وأحزانٍ ، وسعادةٍ وشقاء ، يبتسمون بهدوءٍ حتى فى مواطن البكاء ، ويَصبرُون فى مواقف البأساء ، وهؤلاء جديرُون بالنجاح فى الحياةِ ؛ لشِدَّةِ ثقتِهم بالله .

والحياةُ مملوءةٌ بالحوادث والمصائبِ ، ولا يقدرُ الإنسانُ أن يعرفَ ما ينتظرُه فى الغدِ من المقاديرِ . وبالصبر عَلَى الشدائد تختَبرُ رجولَتُنَا ، ويُعرَفُ مَعدِنُ الرجولةِ فينَا . وبالروحِ الذى نقابلُ به هذه الحوادثَ تظهر شخصيتُنَا أو تستترُ . ولا يَظْهر الرجالُ إلا عند الشدائدِ والمصاعب .

ومن حيثُ إن النجاحَ فى الحياةِ ليس من السهل ، فيجبُ أن يتعلمَ الإنسان كيف يبتسِمُ فى الأيام المُظلمةِ ، كما يبتسمُ عند المسراتِ فى أيام السعادةِ والهناءةِ . وينبغى أن يتعودَ الشجاعةَ والاحتفاظَ بقُواه عند الملمَّات ؛ حتى يكتسبَ إعجابَ رفقائِه واحترامَهم ، ويثبُتَ ثبوتَ الطَّودِ[1] فى مَهَبِّ الرياحِ .

وليس من الشجاعة أن تُكثِرَ شكوى الحياةِ والظروفِ والأيامِ ؛ فشكوى سوءِ الحال لن تغيِّرَ ما حدث بل تذهَب بنَضرة[2]

(١) الطود : الجبل العظيم . (٢) النضرة : الحسن والرونق

العقلِ وقوة القلبِ . وإن الخوفَ من الخذلان وَالهزيمةِ يُؤدِّى إلى الهزيمة . وَقوةُ الأمل فى النجاح مع التشجيع وَالمثابرة تحفظُ روحَ الإنسان وَهِمَّته ، وتبعثُ فيه كثيراً من الرجاء فى الفوز ، وخاصةً إذا عمل بعقله وَقلبه وَيده . وَإن الاعترافَ بالنقص فضيلةٌ ، والعملَ على علاجه شجاعة .

فنحنُ فى حَاجةٍ إلى الشَّجاعة التى بها نَستَطِيعُ مواجهةَ المخاوفِ ، ومقاومتَها بكل ثبات وصبرٍ وتفكير حتى نتغلبَ على مصاعبِ الحياةِ ، ونقلِّلَ من الخوف الذى يَهدِمُ الرجولةَ من أساسِها ، ويقتلُ الشخصيةَ فى مَهدها .

وإن أعظمَ انتصارٍ فى الحياة هو الانتصارُ على النفس بضبطِها ، وَكَبْحِ[1] جِمَاحِهَا ، وَالتغلبِ عليها . وَلَيست الشجاعةُ فى أن تنتصرَ على سبعٍ مُفترسٍ فَحَسْبُ ، ولكن الشجاعةَ فى أنْ تُسيطرَ على نفسِك التى بين جنبيك . وَأرقى مظاهر الشجاعةِ الصبرُ وَالتحملُ عند المقدرةِ . قال صلى الله عليه وسلَّم : « ليسَ الشديدُ بالصُّرَعَة[2] ،

(١) كبح الدابة : جذبها إليه باللجام لكى تقف ولا تجرى . (٢) الصُّرَعة : الذى يصرع الناس ولا يَصرعونه ، ويطرحهم على الأرض ولا يطرحونه .

إنما الشديدُ الذى يَملِكُ نفسه عند الغضَب . » فيقهرُها بحلمه ، ويتغلبُ عليها بثباتِه .

وقيل : « مرَّ المسيحُ بنُ مريمَ عليه السلام بقومٍ من اليهود ، فقالوا له شرًّا ، فقال خيراً . فقيل له : إنهم يقولون شرًّا وتقولُ لهم خيراً ؟ فقال : كلٌّ واحد يُنفِق مما عنده .

وذُكرَ عن المأمونِ أنه قال ليحْيى بنِ أكثمَ يوماً : سِرْ بنا نتفرَّجُ ، فسارا . فبينما هما فى الطَّريق وإذا مَقْصَبَةٌ (١) خرج منها رجلٌ بقَصبةٍ للمأمون يتظلَّمُ له . فنفرَتْ دابَّتُهُ منه ، فألْقَتْهُ على الأرض صريعاً . فأمرَ بضرب ذلك الرجل . فقال الرجلُ : « يا أميرَ المؤمنين ، إن المضطرَّ يركبُ الصعبَ من الأمور وهو عالمٌ برُكوبِه ، ويتجاوز الأدبَ وَهو كارِهٌ لتجاوُزِه . ولو أحسنَت الأيامُ مُطالبتى لأحسنْتُ مطالبتَكَ ، ولأنتَ على رَدِّ ما لَمْ تفعلْ أقدرُ مِنى على ردِّ ما قد فعلتُ » .

فبكى المأمونُ وقال : « باللهِ أَعِدْ عَلَىَّ ما قُلْتَ » . فأعادَه ، فالتفتَ المأمونُ إلى يحيى بنِ أكثمَ وقال : « أما تَنْظُرُ إلى مخاطبةِ

(١) أرض زرعت قصباً .

هذا الرجل بأصغَرَيْهِ[١] ، والنبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ : « المرءُ بأصغَرَيه : قلبه ولسانه » . واللهِ لا وقفْتُ لك إلا وأنا قائمٌ على قدمى » . فوقفَ ، وأمرَ له بصِلةٍ جزيلةٍ ، واعتذرَ إليه .

وقيل : دخل إبرهيمُ بنُ المهدىِّ على المأمونِ قبلَ رضاهُ عنه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين . . . قد جعلك اللهُ فوقَ كلِّ ذِى ذنبٍ ، كما جعلَ كلَّ ذى ذنبٍ دونك . فإن تأخذْ فبحقِّك ، وإن تعفُ فبفضلِك ، ثم قال :

ذنبى إليكَ عظيمٌ * وأنت أعظمُ منه
فَخُذْ بحقِّك أوْلاَ * فاصفحْ بفضلك عنه
إن لم أكن فى فعالى * من الكِرام فكُنْه

فقال المأمون : القُدرة تُذهِبُ الحفيظةَ[٢] ، والندمُ توبةٌ ، وعفوُ اللهِ بينهما ، وهو أكبرُ ما يُحاوَل . يا إبرهيم ، لقد حبَّبتَ إلىَّ العفوَ حتى خِفتُ ألاَّ أُوجَرَ عليه . لا تثريبَ[٣] عليك . يغفرُ اللهُ لك . وعفا عنه ، وأمَرَ بردِّ مالِهِ وضِياعه .

---

(١) عقله ولسانه . (٢) الحفيظة : الغضب (٣) لوم

وحُكى أنَّ جارية جاءت لأبى عبدِ الله بنِ جعفرٍ بقَصْعةٍ من ثريد تُقدِّمُها إليه وعنده قومٌ . فأسرعَتْ بها ، فسقطَتْ من يدِها ، فانكسرَت ، فأصابَهُ وأصحابَهُ مما كان فيها . فارتاعت[1] الجاريةُ عِنْدَ ذلك . فقال لها : « أنت حرةٌ لوجه الله تعالى ، لعله أن يكونَ كفَّارَةً للرَّوعِ[2] الذى أصابكِ » .

وقيل للأحنفِ بنِ قيسٍ : مِمَّنْ تعلَّمتَ الحِلْمَ ؟ قال : من قيسِ ابن عاصمٍ المِنْقَرِىِّ ؛ رأيتُه قاعداً بفِناء داره محتبياً[3] بحمائلِ[4] سيفهِ يُحدِّثُ قومَه ، حتى أُتِىَ برجل مكتوفٍ ، ورجلٍ مقتولٍ ، فقِيلَ له : هذا ابنُ أخيك قتلَ ابنَك . فواللهِ ما حلَّ حَبْوَتَه ، ولا قَطَعَ كلامَه . ثم الْتفتَ إلى ابنِ أخيه وقال له : يا ابنَ أخى أثِمتَ بربِّكَ ، ورميْتَ نفسَك بسهمِك . وقتلتَ ابنَ عمِّك ، ثم قال لابنٍ له آخرَ : قُمْ يا بُنىَّ فوَارِ أخاك ، وَحُلَّ كِتافَ[5]

(١) فزعت . (٢) الروع : الفزع . (٣) احتبى بالثوب : اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، والاسم الحَبوة ، ويضم .
(٤) حمائل السيف لا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدها مِحْمَل ، وقيل حِمالة .
(٥) الكتاف : الحبل الذى تشد به اليد إلى الخلف .

أبنِ عَمِّك ، وسُقْ إلى أُمِّه مائةَ ناقةٍ دِيةَ أبنِها ؛ فإنها غريبةٌ[1] .

وقيل لقيسِ بنِ عاصمٍ : ما الحلمُ ؟ قال : أنْ تصلَ من قطعكَ ، وتُعطِيَ من حرمك ، وتعفوَ عمَّنْ ظلمكَ . وقال لقمانُ الحكيمُ : ثلاثةٌ لا تعرفُهم إلا عند ثلاثةٍ . لا يُعرفُ الحليمُ إلا عند الغضب ، ولا الشجاعُ إلا عِنْدَ الحربِ ، ولا تعرفُ أخاك إلا إذا احتجْت إليه . وقال مورِّق العِجلى : ما تكلَّمتُ فى الغضب بكلمةٍ ندمتُ عليها فى الرِّضا . وقال حكيمٌ : لا يظهر الحلمُ إلا مع الانتصارِ ، كما لا يظهرُ العفوُ إلا مع الاقتدار .

وقال أحدُ الفلاسفةِ : الحريّةُ الحقّةُ أن يضبطَ المرء نفسَهُ . وقال آخرُ : إن جُلَّ فضائلِ الإنسان تظهرُ فى الصبر وضبطِ النفس والحلمِ . وقال سقراطُ : من كثُر احتمالُه ، وظهر حِلمُه ، قلَّ ظلمُه ، وكثرَت أعوانُه . وقال ابنُ المعتزِّ : عقوبة الغضب تبدأُ بالغَضْبان ؛ تقبِّحُ صورتَه ، وتَثْلِمُ[2] دينَه ، وتُعجِّل ندمَه .

والحلمُ دفعُ السَّيئةِ بالحسنةِ ، وهو دِعامةُ[3] العقلِ ، وعِقالُ الشرِّ ؛

---

(١) انتهى من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ج ٦ ص ٥١ ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ م .

(٢) الثَّلمة : الخلل .

(٣) الدعامة : عماد البيت وما يستند به الحائط .

قال اللهُ تعالى : « ولا تستوى الحسنةُ ولا السيِّئة ، ادْفع بالَّتى هى أحسنُ ؛ فإذا الَّذى بينَك وبينَهُ عداوةٌ كأنه ولىٌّ حميمٌ . وما يُلقَّاها إلاَّ الَّذين صبرُوا ، وما يُلقَّاها إلاَّ ذو حظٍّ عظيم . » وقد رُوىَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأشجِّ عبدِ القيس : « يا أبا المُنْذِرِ ، إن فيكَ خَصْلتين[1] يرضاهما الله ورسوله « الحِلمَ والأناة » . وقيل . الحلمُ والأناةُ توءمانِ يُنْتِجُهما علوُّ الهِمَّة . ومن كلام النُّبُوَّةِ : « كادَ الحليمُ أن يكونَ نبيًّا » .

وقيل : الحلمُ بالتحلُّم كما أنَّ العلمَ بالتعلُّم . ويَدُل على ذلك ما حُكىَ عن جعفرٍ الصادقِ أنه كان عنده رجلٌ سيِّئُ الخُلُق ، فقيل له : أمَا تأنَفُ من مثلِ هذا عندك وأنت قادرٌ عَلَى الاستبدالِ به ؟ فقال : إنما أَتْرُكُهُ لأتعلَّمَ عليه الحِلْمَ . قال الشاعرُ :

وليس يتمُّ الحلم للمرء راضياً ✲ إذا هو عند السُّخط لم يتحلَّم[2]
كما لا يتمُّ الجودُ للمرءِ موسراً ✲ إذا هو عند القَتْر[3] لم يتحشَّم[4]

ورُوِىَ عن سَرِىٍّ السَّقَطىِّ أنه قال : الحلمُ عَلَى خمسةِ أوجهٍ :

---

(١) فى الإحياء للغزالى « خلقين يحبهما . . . » ج٣ ص ١٢٣ طبع بالمطبعة الميمنية .
(٢) يتظاهر بالحلم . (٣) الضيق (٤) يتحشم : يتذمم ويستحى .

حلمٌ غَرَزِيٌّ[1] ؛ وهو هِبَةٌ من الله للعبد ، يعفُو عمَّن ظَلَمَهُ ، ويصلُ مَن قَطعه ، ويُعطى مَن حَرمَه ، ويُحسنُ لمن أساء إليه ، وحِلمُ تحالُمٍ ، يَكْظِمُ غيظَه رجاء الثَّوابِ وفى القلب كراهيةٌ ، وحِلمُ كِبْرٍ لا يَرَى المسىء أهلاً أن يجازيَه ؛ وحِلْمٌ مذمومٌ ، رياء وسُمعة وهو حاقدٌ ساكتٌ يُرائى به جلساءهُ ، وَحلمُ مَهانةٍ وذِلة وَعجزٍ وضَعف نفسٍ وَصِغَرِ همةٍ .

وَقال أبو هلالٍ العسكرىُّ : ومن أشرفِ نُعوتِ الإنسان أن يُدْعَى حليماً ، لأنه لا يُدْعَاه حتى يكونَ عاقلا وعالماً ومُصطبراً ومحتسِباً وعفُوًّا وَصافحا ومحتمِلا وكاظِماً . وهذه شرائفُ الأخلاقِ ، وَكرائمُ السّجايا وَالخِصال .

وَقال معاويةُ لابنه يزيدَ :

« عليكَ بالحلمِ وَالاحتمالِ حتّى تمكنَكَ الفرصةُ ، فإذا أمكنتْكَ فعليكَ بالصَّفْح ، فإنه يدفعُ عنكَ مُعضِلاتِ الأمورِ ، ويكفِيكَ مصارعَ المحذُورِ » .

حُكِىَ أنه لما أفْضَت الخلافةُ إلى بنى العباس[2] اختفتْ منهم

---

(١) طبيعى .

(٢) من مجانى الأدب ج ٣ ص ٢٩٩ .

جَميعُ رجالِ بنى أُمَيَّةَ ، وَكان منهم إبرهيمُ بنُ سليمانُ بنِ عبدِ الملكِ . وَكان إبرهيمُ هذا رجلا عالماً كَاملاً أديباً ، وَهو مع ذلك فى سِن الشَّبيبةِ ، فأخَذوا له أماناً من السَّفاحِ ، فأعطاه أَبُو العباسِ السفاحُ أَمانًا وأَكرمَه ، وَقال له : اِلزَمْ مجلِسى . فذاتَ يومٍ قال له أبو العباسِ السفاحُ : يا إبرهيمُ ، حدِّثنى عما مرَّ بك فى اُستخفائِك من العدُوِّ . فقال : سمعاً وطاعة يا أميرَ المؤمنينَ .

« كنتُ مُختفياً فى الحِيرَةِ[1] بمنزِلٍ فى شارعٍ عَلَى الصحراء ، فبينما كنتُ يوماً عَلَى ظهرِ ذلك البيتِ ، إذ بَصُرْتُ بأعلامِ سُودٍ قد خرجَت من الكوفة تُريدُ الحِيرَةَ — فتخيلتُ أنها تُريدُنى . فخرجتُ مُسرعاً من الدار متنكِّراً ، حتى أَتيتُ الكوفةَ وأَنا لا أَعرفُ أحدًا أَختفِى عنده . فبَقِيتُ فى حَيْرَةٍ . فنظرتُ وإذا أنا بباب كبيرٍ وَاسِعِ الرَّحبَةِ[2] ، فدخلتُ فيه . فرأيت رجلاً وسيماً[3] ، حسنَ الهيئةِ ، مُقْبلاً عَلَى الرَّحبَة وَمعه أَتباعُه ، فنزلَ عن فرسِه وَالتفتَ ، فرآنى ، فقال لى : من أنتَ ؟ وَما حاجتُك ؟

(١) مدينة بالقرب من الكوفة .
(٢) الساحة والفناء .
(٣) حسن الوجه .

فقلتُ : رجلٌ خائفٌ عَلَى دَمِهِ ، جاء يستجيرُ فى منزلِك . فأدخلَنى منزلَه ، وَصيَّرَنى فى حُجرة تلِى حرمَه . وكنت عندَه فى كل ما أُحبُّه من طعام وشرابٍ ولباس. وهو لا يسألُنى عن شىءٍ من حالى ، إلا أنه كان يركب فى كلِّ يومٍ من الفجر وَيَمْضِى ولا يرجعُ إلا قريبَ الظهرِ .

فقلتُ له يوماً : أَراكَ تُدمِنُ[1] الركوبَ كلَّ يومٍ ، ففيمَ ذلكَ ؟ فقال لى : « إنَّ إبرهيمَ بنَ سُليمانَ بنِ عبدِ الملك كان قد قتلَ أبى ظُلماً ، وقد بلغنى أنه مُختَفٍ بالحِيرَةِ ، فأنا أَطلُبه يوميًّا لعلِّى أَجدُه وأُدركُ منه ثأرى » .

فلما سمعتُ ذلكَ يا أَمير المؤمنين كثُرَ تعجُّبى وقلتُ فى نفسى : إنَّ القدرَ ساقنى إلى حَتْفِى[2] فى منزلِ مَنْ يطلُبُ دمى . فواللهِ يا أمير المؤمنين إنى كرِهْتُ الحياةَ . ثم إنى سألتُ الرجلَ عن اسمه واسمِ أبيه ، فأخبرنى ، فعلِمتُ أَن كلامَه حَقٌّ ، وانى أنا الذى قتلَ أباه ؛ فقُلتُ له : يا هذا إنه قد وجبَ عَلَىَّ حقُّك ، ولمعرُوفِك لى يلزَمُنى أَن أدلَّك عَلَى خَصمِك الذى قتلَ أَباك ، وَأُقرِّبَ عليك الخُطْوَةَ . فقال:

(١) تديم وتداوم، وتواظب وتلازم . (٢) هلاكى .

وَما ذاك ؟ فقلتُ له : أنا إبرهيمُ بنُ عبدِ الملك ، وَأنا قاتلُ أبيك ، فخذ بثأرك .

فتبسَّم منى وَقال : هل أضجرَكَ الاختفاء وَالبعدُ عن منزلِك وَأهلِك فأحببتَ الموتَ ؟

فقلتُ : لا واللهِ ، وَلـكنِّى أقولُ لك الحقَّ ، وإنى قتلتُه فى يومِ كذا ، من أجْلِ كذا . فلما سمعَ الرجلُ كلامى هذا وَعلمَ صِدْقى تغيَّرَ لونُه ، وَاحمرَّت عيناه ، ثمَّ فكَّر طويلاً ، وَالتفتَ إلىَّ وَقال : أمَّا أنتَ فسوفَ تلقَى أبى عند حاكمٍ عادل ، فيأخذُ بثأره منك ، وأما أنا فلا أخفر[1] ذِمَّتى ، وَلـكنِّى أريدُ أن تخرجَ عنِّى ؛ فإنى لسْتُ آمَنُ عليك من نفسى . ثم إنه أعطانى ألفَ دينار ؛ فأبيتُ أخذَها وَانصرفتُ عنه . فهذا يا أمير المؤمنين أكرمُ رجلٍ رأيتُه وسمعتُ عنه فى عُمْرِى بعد أمير المؤمنين .

وقيل : قُتلَ للأحْنفِ بن قَيْسٍ ولدٌ ، وكان الذى قتله أخًا للأحْنفِ ، فجىء به مكتوفاً ليُقِيدَهُ[2] ؛ فلما رآه الأحنفُ بكى ، وأنشدَ :

(١) أنقض عهدى وأغدرك .
(٢) أقاده : اقتص منه ، وقتله قوَداً ، والقَوَد : القصاص والأخذ بالثأر

أقولُ للنفس تأساءً[١] وتعزيةً * إحدى يَدَىَّ أصابتنى ولم تُرِد
كلاهما خَلَفٌ من فَقْدِ صاحبِهِ * هذا أخى حينَ أَدْعُوه وَذا ولَدِى

ويرى الفيلسوفُ الإنكليزىُّ « هِربَرت سپنْسَر[٢] » أنَّ ضبطَ النفسِ أساسُ الكمالِ الإنسانىِّ ، وأنَّهُ الغرضُ من التربية .

وقد ذكرَ المؤرِّخون أنَّ « چورچَ واشِنْطون »[٣] مُحرِّرَ أمريكا كان مثلا فى القدرةِ على كتمانِ الشعورِ ؛ إذ لم يغضبْ فى حياته إلا مرةً واحدة .

ثانياً : هناك مظهرٌ للشجاعة يتبينُ فى التغلب على الصعاب التى تَعترِض الإنسان فى الحياة ، وإصلاحِ الأخطاء التى تمرُّ بنا ، سواءٌ أكانت هذهِ الأخطاءُ منسوبةً إلينا أمْ منسوبةً إلى غيرنا . وهناك كثيرٌ من المصاعب التى يمكنُ التخلصُ منها بقليلٍ من الشجاعة والحزْمِ والثباتِ .

وكثيراً ما يكونُ الجُبْنُ سَبباً فى الإخفاق ، وعدمِ النجاح فى

---

(١) تعزية وسلوى .

(٢) كان من كبار المربين من الإنكليز (١٨٣٠ — ١٩٠٣ م) .

(٣) ولد فى ٢٢ من فبراير سنة ١٧٢٢ م . وتوفى فى ١٤ من ديسمبر سنة ١٧٩٩ . ارجع إلى ما كتبناه عنه فى كتابنا : « قصص فى البطولة والوطنية » بمكتبة المعارف .

العملِ. وكما تكونُ الشجاعةُ فى الإقدامِ على الشىء تكون فى الاحجامِ عنه عند تحققِ التَّهْلُكَةِ. ولا تقلُّ الشجاعةُ فى الإحجام والتريُّثِ[1] حينئذٍ عن الشجاعة فى الإقدام.

وممن كانُوا مثلاً للشجاعةِ واقتحامِ المخاطرِ بين العرب سيدُنا عمرُ بنُ الخطاب (رضى الله عنه)؛ فقد تربَّى على الشهامة والنَّجْدةِ[2] والجُرأةِ، وقولِ الحقِّ لا يَرى فيه هَوَادةً؛ فعند الهجرة إلى المدينةِ كان الناس يخرُجُون يتسلَّلون[3]؛ خِيفَةَ أن يَحجُزَهم أهلُوهم. أما هو فأعلنَ أنه مُهاجِرٌ، وقال: من أرادَ أن تَثكَلَه[4] أمه فليلْقنى وراء هذا الوادى! ثم خرج مهاجراً فلم يتبَعْه أحدٌ.

وكذلك خالدُ بنُ الوليدِ المخزومىُّ، وقد وُلدَ فى سنةِ خمسٍ وعشرين قبلَ الهجرةِ، وكان والدُه من سادةِ قريشٍ فى الجاهليةِ، معروفاً بالعقلِ الرَّاجحِ، والشرفِ الرفيعِ، والمنطقِ الفصيحِ، كان يكسو الكعبةَ عاما، وكانت قريشٌ بأسْرِها تكسُوها عاماً.

وقد تربَّى خالدٌ تربيةً بدويةً حضريةً، فتعلمَ ركوبَ الخيلِ،

(١) الإبطاء والإمهال. (٢) القتال والشجاعة. (٣) يخرجون.
(٤) تفقده.

وصيدَ الظِّباء والغزلانِ ، وتعلمَ الرمايةَ والفروسيَّةَ ، وقد اكتسبَ علماً واسعاً بفنونِ القتالِ ، وخبرةً دقيقةً بأساليبِ الحربِ وخُدَعِها . انتصرَ فى ثلاثين موقعةً على جيوشٍ جَرارةٍ تفوقُه عُدةً وعَدَداً .

ومما قامَ به مما يُعدُّ عملاً خطيراً فى تاريخِ الحروبِ أنه اجتازَ بجيشٍ صغيرٍ صحراءَ السَّماوةِ ، سائراً فى طريقٍ يترصَّدُه[1] الأعداءُ ، وتَنتَشِر فيه عيونُهم ، ومعَ ذلك فقد استطاعَ بعبقريتِهِ الحربيةِ أن يَتجنَبَ طرقَ المخاوفِ وَسْط ذلك المَهْمَهِ[2] الشاسعِ . وهوَ فى أعمالِه الحربيةِ العجيبةِ مَضربُ الأمثالِ بينَ عظماءِ القوادِ فى التاريخِ . وليسَ بدْعًا أن نقولَ : إنه يَفوقُ تُحوتْمِسَ فى إقدامِه ، ونابليونَ فى عزيمتِه ، وهَنِّيبالَ فى شجاعتِه ، والقَيصرَ فى همتِه ، والإسكندرَ فى إدارتِه ، وأتاتوركَ فى وطنيتِه . ومن آياتِ شجاعتِه وإقدامِه وقوةِ عزيمتِه ووطنيتِه ما كتبه إلى ملوكِ الفرسِ ، قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالدِ بنِ الوليد إلى ملوكِ الفُرسِ : أما بعدُ فالحمدُ للهِ الذى حَلَّ نِظامَكم ، ووهَنَ[3] كَيدَكم ، وفرّقَ كلمَتَكم ، ولو لم يفعلْ ذلكَ بكم كان شرًّا لكم ، فادخلوا فى أمرِنا

(١) يترقبه وينتظره الأعداء . (٢) المفازة البعيدة (٣) أضعف

ندَعْكم وأرضَكم ، ونجوزُكم إلى غيرِكم ، وإلا كان ذلك وأنتم كارِهُون عَلَى غَلَبٍ[1] على أيدِى قومٍ يحبونَ الموتَ كما تحبونَ الحياةَ .»

وَمن أقوالِه : لقد لَقِيتُ كذا وكذا زحْفاً ، وما فى جَسدِى موضعُ شبرٍ إلا وفيه طعنةٌ أو رَميةٌ ، ثم هأنذا أموتُ على فِراشى حتْفَ أنْفِى . فلا نامت أعينُ الجبناء .

قال جريرٌ :

قلْ للجبانِ إذا تأخرَ سرجُهُ * هل أنتَ من شرَكِ المنيَّةِ[2] ناجِ

والجبَانُ كثيرُ الخوفِ والرعبِ ، لو سَمَّيتَ له الشجاعةَ لخافَ لفظَها قبلَ معناها ، وذِكرَها قبلَ فحواها ، وفزِعَ من اسمِها دون مُسمَّاها ، فهو يهلك من تخوفِه أضغاثَ الأحلام ، فكيف بمسموعِ الكلامِ . إذا ذكرتَ السيفَ لمسَ رأسَه هل ذهبَ ، ومَسَّ جَبينَه هل ثُقب .

وَتقول العربُ : الشجاعةُ وقايةٌ ، والجبنُ مَقْتَلةٌ . وقال : أبُو بكرٍ (رضى الله عنه) لخالدِ بنِ الوليدِ : اِحرِصْ على الموت تُوهبْ لك الحياةُ .

---

(١) نصر واستيلاء قهراً . (٢) الموت

وفى الحكايةِ الآتيةِ تبدُو الجُرأةُ والإقدامُ :

قال ابن الجوْزِىُّ[1] : كانَ بالكوفةِ رجل حَسَنِىٌّ يُعرفُ بالأدرَع شديدُ القلب جدًّا . وكانَ فى خرائبِ الكوفةِ شىءٌ يظهَر للمُجتازِينَ ليلا ، فيه نارٌ ، يَطولُ تارةً ويقصُرُ أُخْرَى ، يقولون : هو غُولٌ يَفْزَع منها الناسُ .

فخرج الأدرعُ ليلةً راكباً فى بعض شأنِه ، قال لى الأدرعُ : فاعترضَ لى السَّوادُ والنارُ ، فطالَ الشَّخصُ فى وَجْهِى ، فأنكرتُه ، ثم رجعتُ إلى نفسى . فقلتُ أمَّا شيطانٌ وَغُولٌ فهَوَسٌ[2] ، وليس إلاَّ إنساناً ، فذكرتُ اللهَ تعالى ، وَصَلَّيتُ على نبيِّه صلى الله عليه وسلم . وجمعتُ عِنان الفَرس ، وَقرعْتُهُ بالْمِقْرَعةِ ، وَطرحتُه على الشَّخصِ ، فازداد طولُه ، وَعَظُمَ الضوءُ فيه ، فنفَر الفرسُ ، فقرعْتُهُ ، فطَرَحَ نفسَه عليه ، فقصُر الشَّخصُ حتى عادَ على قدْرِ قامةٍ . فلمَّا كادَ الفرسُ يخالِطُه ولىَّ هارباً . فحرَّكتُ الفرسَ خلفَه ، فانتهى إلى خَرِبَةٍ فدخلها .

---

(١) هو صاحب كتاب « الأذكياء » ، وهو الزاهد المحدث المؤرخ الشاعر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى عين أعيان بغداد فى القرن السادس الهجرى ، توفى سنة ٥٩٧ هـ .

(٢) الهوس : طرف من الجنون .

فدخلتُ خلفَه ، فإذا هو قد نزل سِرداباً فيها . فنزلتُ عن فرسى وَشددْته ونزلتُ ، وَسيفي مجرَّدٌ .

فحِينَ حصلتُ فى السِّرْداب أحسَسْتُ حَركَةَ الشخص يُريد الفِرارَ منى ، فطرحتُ نفسى عليه . فوقعتْ يدى على بَدَنِ إنسانٍ ، فقبَضتُ عليهِ فأخرجتُه ، فإذا هى جاريةٌ سوداءُ .

فقلتُ : أىُّ شىءٍ أنتِ ؟ وإلَّا قتلتُك الساعةَ .

قالت : قبلَ كلِّ شىءٍ أأنت إنسِىٌّ أم جِنِّىٌّ ؟ فما رأيتُ أقوَى قلباً منك قَط .

فقلتُ : أىُّ شىءٍ أنتِ ؟

قالت : أَمَةٌ لقومٍ بالكُوفةِ ، أبَقْتُ[1] مِنْهم مُنْذُ سنين ، فتغرَّبْتُ فى هذه الخَرِبة ، فولَّد لى الفِكرُ أن أحتالَ بهذه الحيلة ، وأُوهِمَ النَّاسَ أنِّى غُولٌ حتى لا يَقْرُبَ الموضِعَ أحدٌ ، وأتعَرَّض ليلاً للأحداثِ ، وربما رمَى أحدُهم مِنديلاً أو زاداً فآخذُه ، فأبيعُه نهاراً ، وأقتاتُ به أيَّاماً .

قلتُ : فما هذا الشخصُ الذى يطول ويَقْصُرُ ، والنارُ التى تظهر ؟

---

(١) هربت .

قالت : كِساءٌ معى طويلٌ أسود (وأخرجته من السِّرداب) ، وقصَباتٌ هنديةٌ أُدخِلُ بعضَها فى بعض فى الكِساء وأرفعُه فيطولُ ، فإذا أردت تقصيرَهُ دفعت من الأنابيب واحدةً فى واحدةٍ فيقصُرُ . والنارُ فتيلةُ شمعٍ معى فى يدى ، لا أُخرِجُ إلا رأسَها مقدَار ما يضىء الكِساء (وأرَتنى الشمعةَ والكِساء والأنابيب) ، ثم قالت : قد جاوزت هذه الحيلة نَيفًا وعشرين سنة ، واعترضتُ فُرسانَ الكوفةِ وشُجعانها وكلَّ أحَدٍ ، فما أقدمَ علىَّ غيرُك ، ولا رأيتُ أشدَّ قلباً منك .

فحَملها الأدرعُ إلى الكوفة ، فردّها إلى مَواليها . فكان يُحَدِّثُ بهذا الحديث ، ولم يُرَ بعدَ ذلك أثرُ غول ، فعُلِم أن الحديثَ حقٌّ .

وقيلَ لما ماتَ ملكُ الفرسِ أرادوا أن يُملِّكوا عليهم رجُلا من آلِ ساسانَ ، فوفدَ عليهم بهرامُ فقال : اعمَدُوا إلى أَسَدين جائعين ، فاطرحوا بينهُما التاجَ فمن أخذه فهُو المَلِكُ . ففعلوا ، فدَنا منهما ، فأهوَى نحوَه ، فأخذَ برأسِ أحدِهما فأدناه من رأسِ الآخرِ . ثم نطَحَه به وقتلَهما جميعاً ، وشَدَّ على التاجِ ، فأخذَه ووضعَه على رأسِه ، ومَلَّكتْه الفرسُ عليهم .

وممن اشتهر بالإقدام من الأوربيين (نابليون بونابرت) إمبراطور فرنسا ؛ فقد كان قائداً فريداً ، وسياسيًّا مُحَنَّكاً ، وكان فى حربٍ مع معظم الممالك المحيطة بفرنسا . لم يَرْضَ (نابليونُ) لنفسه أن يخضعَ حتى للعوارض الطبيعيَّة التى لا قِبَلَ للإنسان بمقاومتها ومُغالبتها ؛ فقد قيل له لما أراد أن يكتسحَ إيطاليا بجيشه الجرَّار : « إن جبالَ الألبِ الشاهقةَ تعوقُكَ عن المسير، وتحولُ دون أمانيك » . فأرسلَ فِئةً من الكشَّافةِ لرؤية طُرقٍ فى الجبال . فلما عادُوا سألهم قائلاً : هل يمكنُ اجتيازُها ؟ فهزُّوا رءوسَهُم ، فأجاب أحدُهم : يمكنُ ولكنْ . . . فقال نابليونُ : لا أريدُ أن أسمعَ أكثرَ من ذلك ، إلى الأمام ! إلى إيطاليا ! يجبُ أن تُمْحَى هذه الجبالُ من الأرضِ . فضَحك الناسُ واستغربُوا كيف يَعبُر جيشٌ مؤلفٌ من ستين ألفَ نفسٍ جبالاً لا طريقَ فيها . ولكنَّ نابليونَ انتظر حتى رتَّبوا كلَّ شىء فضُربت الأبواقُ، وأمرهُم بالمسير . وحينئذٍ تحرك الجيشُ ، وبذَل كلٌّ غايةَ جُهدِه ، وسَرْعان ما صعِدوا بأمانٍ فوق هذهِ الجبالِ الشامخةِ . وبعد أربعة أيامٍ كانُوا فى سهول إيطاليا . فقال نابليونُ : « إن الرجلَ الذى صمَّمَ على النجاحِ

لا يَعْتقِدُ أن فى الدُّنيا مُحالاً » . ولا غَرابةَ ؛ فكلُّ غايةٍ قريبةٌ فى نظرِ المِقدام ، بعيدةٌ فى نظرِ المُحْجِمِ .

ثالثاً : تظهر الشجاعة فى الإجابة وفى ابداء الرأى :

من الشجاعة أن يُجيبَ الإنسانُ بكلِّ أمانةٍ وإخلاصٍ عما يُسألُ ، وأن يُبدىَ رأيَهُ بكلِّ صراحةٍ ، ويُدافِعَ عنه من غير تغييرٍ للحقائقِ ، ومن غيرِ اضطرارٍ إلى الإنكارِ ، أو ذكْرِ نصفِ الحقيقةِ خوفاً من أن يظهرَ بنفسه الحقيقيَّةِ كما هى . وإذا اعترفنا بكلِّ إخلاصٍ بأننا فعلْنا كذا ، ولم نسمعْ روايةَ كذا ؛ أو لم نقرأْ كتابَ كذا ، أو أننا لا نحبُّ فلاناً ، فقد يَعْجَبُ المستمعُ العادِىُّ ، ولكنَّنا لو ذكرْنا السببَ ، بطلَ العجبُ . وهذا أفضلُ من تشويهِ الحقائقِ بالتغييرِ والزخْرفةِ ، وتضليلِ الناسِ . وهناك أسئلةٌ شخصيةٌ تدُلُّ على تطفُّلِ السائلِ ، وتدخُّلِهِ فى شئونِ غيرِهِ ، فمِثْلُ هذه الأسئلةِ يَجب أن تُحارَبَ برفضِ الإجابةِ عنها بكلِّ أدبٍ ؛ عِقاباً لذلك المتطفِّل .

وتبدُو الشجاعةُ فى ضرارٍ الصُّدائىِّ[1] ؛ إذ قال له معاوية (رضى الله عنه) : يا ضِرارُ صِفْ لى عليًّا .

(١) نسبة إلى صداء ، حى من مذحج من اليمن .

فقال : أَعْفِنِي يا أَميرَ المؤمنين .

قال : لتصِفَنَّهُ .

فقال : أما إذْ أَذِنْتَ فلا بُدَّ من صِفتِه . كَانَ واللهِ بعيدَ المدَى[١] شديدَ القُوَى ، يقول فصْلًا[٢] ، ويحكُمُ عدلاً ، يتفجَّرُ العلمُ من جوانبِهِ ، وتنطقُ الحِكمة من نواحيه ، يستوحشُ[٣] من الدُّنيا وزَهرتِها[٤] ، ويستأنِسُ بالليل وظلمتِهِ . كَانَ واللهِ غزيرَ الدَّمعةِ ، طويلَ الفكرةِ ، يُقلِّبُ كفَّه[٥] ويُخاطِبُ نفسه ، يُعْجِبه من اللباس ما قَصُر[٦] ومن الطعام ما خَشُن . وكَانَ فينا كأحدِنا ؛ يُجيبُنا إذا سألناه ، ويُنبئُنا إذا استنبأناه . ونحنُ مع تقريبِهِ إيانا ، وقربِه منا لا نكادُ نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته . يُعظِّمُ أهلَ الدينِ ، ويُحِبُّ المساكينَ . لا يَطمعُ القويُّ فى باطلِهِ[٧] ، ولا ييئَسُ الضعيفُ من عدْله . وأَشهد لقد رأَيتُه فى بعض مواقِفه ، وقد أَرخَى الليلُ سُدولَه[٨] ، وغارت[٩] نجومُه ،

---

(١) الغاية ، بعيد النظر . (٢) حقًّا . (٣) يبتعد . (٤) حسنها .
(٥) يحاسب نفسه ويندم . (٦) لما فى ذلك من طهارة الثياب والقصد فى المال .
(٧) أى فى باطل يجامل به القوى . (٨) جمع سدل كقفل وحمل : الستر .
(٩) غربت فى وقت السحر .

وقد مثَلَ[١] فى محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ[٢] تململَ السليم[٣] ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غُرِّى غيْرى ! أَلِى تعرَّضتِ ؟ أم إلىَّ تشوَّقتِ ، هيهاتَ هيهات ، قد باينتُكِ[٤] ثلاثا لا رَجعةَ فيها ؛ فعُمرُكِ قصير ، وخَطرُكِ[٥] حقير . آهِ من قلة الزاد[٦] ، وبُعدِ السفر ، ووحشة الطريق .

فبكى معاويةُ حتى أخضلَت[٧] دموعُه لحيتَه . وقال : رحمَ اللهُ أبا الحسن ؛ فلقد كان كذلك . فكيف حُزنُكَ عليه يا ضِرارُ ؟ قال : حُزْنُ من ذُبح واحدُها فى حِجرها ؟

وفى القصَّة التَّاريخيَّة الآتية يبدُو حِلمُ معاويةَ ، وشجاعةُ الزرقاء . قيلَ : إنه لما وَلِىَ معاويةُ الخلافةَ وانتظمتْ إليه الأمورُ ، وامتلأت منه الصدورُ ، وأذعنَ لأمره الجمهورُ ، وساعده الله فى مُراده ، استحضرَ ليلةً خواصَّ أصحابِه ، وذاكرَهم وقائعَ أيامِ صِفِّينَ . ومن كان يتولَّى كبرَ الكريهةِ من المعروفين . فانهمكُوا فى القول الصحيح والمريض ،

---

(١) وقف منتصب القامة .
(٢) أى لا يكاد يستقر كأن به وجعاً .
(٣) الملدوغ كأنهم تفاءلوا له بالسلامة .
(٤) طلقتك .
(٥) قدرك .
(٦) أى الزاد للآخرة .
(٧) بلت .

وآلَ حديثُهم إلى من كان يجتهدُ فى إيقادِ نارِ الحربِ عليهم بزيادة التحريضِ. فقالوا: امرأةٌ من أهلِ الكوفةِ تُسَمَّى الزرقاءَ بِنْتَ عَدِيٍّ، كانت تتعمَّدُ الوقوفَ بين الصُّفوفِ، وترفعُ صوتَها صارخةً: يا أصحابَ عليٍّ، تُسْمِعهم كلاماً كالصَّوَارِمِ؛ مُسْتَحِثَّةً لهم بقولٍ لو سمِعَه الجبانُ لقاتَلَ، والمُدْبِرُ لأقْبلَ، والمسالمُ لحاربَ، والفارُّ لكَرَّ، والمتزلزلُ لاستقرَّ.

فقال لهم معاويةُ: أيُّكم يحفظُ كلامَها؟

فقالوا: كلنا نحفظُه.

قال: فما تشيرونَ عَلَيَّ فيها؟

قالوا: نشير بقتلها، فإنها أهلٌ لذلك.

فقال لهم معاويةُ: بِئْسَ ما أشَرْتُم به؛ وقُبْحًا لما قُلتم. أيَحْسُن أن يَشْتهرَ عنى أنَّى بَعد ما ظَفِرْتُ وقدَرت قتلتُ امرأةً قد وفَتْ لصاحبها؟ إنى إذاً لَلئيمٌ. لا واللهِ لا فعلتُ ذلك أبداً.

ثم دَعا بكاتبه فكتب كتابا إلى واليهِ بالكوفةِ أنْ أنفِذْ إلىَّ الزرقاء بنتَ عَدِيٍّ مع نَفر من عشيرَتِها، وفُرْسانٍ

من قومها ، ومَهِّدْ لها وِطاءً[١] لَيِّناً ، ومَرْكَباً ذَلُولاً[٢] .

فلما وردَ عليْهِ الكتابُ ركِب إليها وقرأه عليها . فقالت بَعدَ قراءةِ الكتاب : ما أنا بزائغةٍ[٣] عن الطاعةِ ، فحملها فى هَوْدَجٍ[٤] ، وجعل غِشاءَهُ خَزّاً[٥] مُبَطَّناً ، ثم أحسنَ صُحْبتَها .

فلما قَدِمَت على معاويةَ قال لها : مرحباً وأهلاً خيرَ مَقدَمٍ قَدِمَهُ وافدٌ . كيفَ حالُك يا خالةُ ؟ وكيف رأيتِ سَيْرَكِ ؟

قالت : خيرَ مَسيرٍ .

فقال : هَلْ تعلمين لِمَ بعثتُ إليكِ ؟

قالت : لا يعلمُ الغيبَ إلا اللهُ سبحانه وتعالى .

قال : ألستِ راكبةَ الجملِ الأحمرِ يومَ صِفِّينَ ، وأنت بين الصفوفِ تُوقِدِينَ نارَ الحربِ ، وتُحَرِّضِينَ على القتالِ ؟

قالت : بَلَى !

قال : فما حَمَلكِ على ذلك ؟

قالتْ : يا أميرَ المؤمنينَ ، إنه قدْ ماتَ الرأسُ ، وبُتِرَ[٦] الذَّنَبُ ،

---

(١) الوطاء : ضد الغطاء .
(٢) لينا سهلاً .
(٣) مائلة .
(٤) مركب للنساء .
(٥) نسيج من وبر .
(٦) قطع .

والدهرُ ذُو غِيَرٍ[١]، ومنْ تفكَّر أبصرَ، والأمرُ يحدُث بعدَه الأمرُ.

فقال: صَدقتِ، فهلْ تعرِفينَ كلامك، وتحفظِين ما قُلتِ؟

قالت: لا واللهِ. قال: للهِ أبوكِ، فقد سَمِعْتُكِ تقُولين:

« أيُّها الناسُ، إن المصباحَ لا يضيء في الشمس، وإن الكواكبَ لا تُضيء مع القمرِ. وإن البغلَ لا يسبقُ الفرسَ. ولا يُقطعُ الحديدُ إلا بالحديدِ. ألاَ من استرشدَنا[٢] أرشدْناه. ومن سألَنا أخبرْناه. إنَّ الحقَّ كان يَطلبُ ضالَّةً فأصابَها. فصبراً يا معشرَ المُهاجرينَ والأنصارِ. فكأنَّكم وقد ألتأمَ شَملُ الشَّتاتِ[٣]، وظهرتْ كلمة العدلِ، وغلبَ الحقُّ باطلَه، فإنَّهُ لا يَستوِي المحِقُّ والمبْطِلُ. أفمنْ كان مُؤمناً كمنْ كان فاسِقاً؟ لا يَستوُون. فالنِّزالَ[٤] النِّزالَ، والصبرَ الصبرَ؟ ألاَ وإن خِضابَ النساءِ الحِنَّاءُ، وخِضابَ الرجالِ الدِّماءُ. والصبرُ خيرُ الأمورِ عاقِبةً. ائتُوا الحربَ غيرَ ناكصينَ[٥]، فهذا يومٌ له ما بعدَه».

يا زرقاءُ أليسَ هذا قولَكِ وتحريضَكِ؟

قالتْ: لقد كان ذلك.

---

(١) تغيرات ونوائب. (٢) طلب منا الهداية (٣) التفرق.
(٤) المحاربة والمضاربة. (٥) راجعين ومحجمين.

قال : لقد شاركتِ عليًّا فى كل دمٍ سفكه .

فقالت : أحسنَ اللهُ بِشارتَكَ يا أميرَ المؤمنين ، وأدامَ سلامتَك ، مِثْلُكَ من يُبَشَّرُ بخير ، ويَسُرُّ جليسَهُ .

قال معاويةُ : أَوَقَدْ سَرَّكِ ذلك ؟

قالتْ : نعمْ ، واللهِ لقد سرَّنى قولُك ، وَأَنَّى[1] لى بتصْدِيقِهِ ؟

فقال لها معاويةُ : واللهِ لوفاؤُكم له بعدَ موتِهِ أعجبُ إلىَّ من حُبِّكم له فى حياتِه . فاذْكُرِى حوائجَكِ تُقْضَ .

فقالتْ : يا أميرَ المؤمنينَ إنى آليتُ[2] على نفسى ألاَّ أسألَ أحداً بعد عليٍّ حاجةً .

فقال : قد أشارَ علىَّ بعضُ من عرفَكِ بقتلكِ .

فقالت : لؤمٌ من المُشِير . ولو أطعتَه لشاركْتَه .

قال كلاَّ ، بل نعفُو عنكِ ، ونُحْسنُ إليك ونرعاكِ .

فقالت : يا أميرَ المؤمنينَ ، كَرَمٌ منك . ومِثْلُكَ مَن قدرَ فعَفا ، وتجاوزَ[3] عمن أساءه ، وأعطَى من غيرِ مَسألةٍ . فأعطاها كسوةً ودراهمَ ،

(١) من أين . (٢) أقسمت . (٣) صفح .

وأقطعها ضَيْعةً[1] تُغِلُّ لها فى كل سنةٍ عشرةَ آلاف دِرهمٍ. وأعادَها إلى وطنها سالمةً، وكتب إلى والِى الكوفةِ بالوصية بها وبعشيرتها.

وقد خطبَ الحجَّاجُ يوماً فأطالَ. فقال رجلٌ من الحاضِرينَ: «الصلاة»؛ فإن الوقتَ لا ينتظرُك، والربَّ لا يعذُرك. فأمر بحبْسِه. فأتاه قومُه وزعمُوا أنَّه مجنونٌ.

فقال الحجَّاجُ: إن أقرَّ بالجنون خلَّصْتهُ. فقال الرجلُ: لا يسوغُ لى أنْ أجحدَ[2] نعمةَ اللهِ التى أنعَم بها علىَّ، وأُثبتَ لنفسى صفةَ الجنون التى نزَّهنى الله عنها. فلما رأى صِدْقَه خلَّى سبيلَهُ.

---

(١) أرضا. (٢) أنكر.

الفصل السادس

٥ — الحكمة

إنّ شخصيةَ الإنسانِ لا تكونُ متينةً إلا إذا زانتْها الحكمةُ والعلمُ والحزمُ، ووضعُ الأشياءِ في مواضعِها، وقدْرُها حقَّ قدرِها. والرجلُ الحكيمُ هو السديدُ الرأيِ، البعيدُ النظرِ، الحسَنُ التقديرِ، الذي يعرفُ الحقَّ فيتمسَّكُ به، ويفعلُ ما يجب أن يُفعلَ، ويتركُ ما ينْبغي أن يُتركَ، ويقولُ ما يجبُ أن يُقالَ. يرى الفرصةَ فينتهزُها، ويشعرُ بالطريقِ المستقيمِ فيَسْلُكُه، يُحِسُّ نتيجةَ الشيءِ حتى قبلَ حدوثِها، ويعاملُ غيرَه بما يحبُّ أن يُعامَلَ به، ويحكمُ على غيره بما يَودُّ أن يُحكَمَ به عليه، يُحبُّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه. وإذا حكمَ على غيره كان حكْمُهُ بعيدًا عن الأهواءِ والأغراضِ، تتمثَّلُ فيه النزاهةُ والعدالةُ. كلُّ هذه الصفاتِ نتيجةُ الحكمةِ وحسنِ التَّقْديرِ. قال جلَّ شأنهُ: «وَمَنْ يُؤتَ الحكمةَ فَقَدْ أُوتِيَ خيرًا كثيراً». وقال صلى الله عليه وسلم: «الحكمةُ ضالّةُ المؤمن».

والحكمة صفةٌ أساسيَّةٌ فى تكوينِ الشخصيةِ الساميةِ تحملُ الإنسانَ على العمل وَفْقَ العقل . وهى خلاصةُ الأخلاقِ ، وأساسُ كلِّ فضيلة ، بها يتدبَّرُ الإنسانُ عواقبَ الأمورِ ، ويُميِّزُ الخيرَ من الشرِّ ، والحقَّ من الباطلِ .

قال أبن مسكويه الفيلسوفُ الإسلامىُّ فى كتابه : « تهذيبِ الأخلاق » : « الحكمة وَسطٌ بين السَّفَه وَالبلَهِ » . ويَعنى بالسفهِ هنا أستعمالَ القوةِ الفكريةِ فيما لا ينبغى ، وكما لا ينبغى . ويَعنى بالبلهِ تعطيلَ هذه القوة الفكريةِ وإهمالَها قصداً . أما إذا انْتفَت الحكمةُ فإن الإنسانَ يكونَ واهِنَ[1] الرأيِ ، مضطربَ البصيرةِ ، سَيِّئَ الحَظِّ ، عاثرَ[2] الجدِّ ، ضعيفَ الشخصيةِ ، يعجزعن تقدير الأشياء ، ويفعل ما يجب أن يُترَك ، ويُهمل أمورًا تجب العنايةُ بها ، وَيهتم بأشياء لا قيمةَ لها . يحب ما ينبغى أن يُكرَه ، ويَكرَهُ ما ينبغى أن يُحَبَّ ، فيُصبح ضحيةً لوجدانهِ وأقوالهِ وأفعاله ، وَيصير مكروهاً لدَى من يعرفونه .

قيل لرجل من بَنى عَبْسٍ : ما أكْثرَ صوابَكم . قال : نحن ألفُ رجلٍ وَفينا حازم ، وَنحن نطيعُه ، فكأننا ألفُ حازم .

(١) ضعيف . (٢) سيء الحظ .

ومن الحكمةِ أن تجتهدَ فى إرضاء الناس — وإن كان إرضاؤهم جميعاً غايةً لا تدرك — من غير أن تضحّىَ بمبدأ من مبادئك، أو مظهر من مظاهرِ رجولتك؛ حتى تمتلكَ قلوبَهم . وهذا دليل على وجود الشخصيةِ القويةِ الجذابةِ . ومنها أن تكونَ ذا أناةٍ[1] عند القدرة، وذا حلمٍ عند الغضب، وذا سَطوةٍ[2] عند المغالبة .

ومن الحزمِ ألا يَحتقرَ الرجلُ عدوَّه وإن كان ذليلا، ولا يَغفلَ عنه وإن كان حقيراً، فكم برغوث أسهرَ فيلاً، ومنعَ الرقادَ ملكا جليلاً .

وكثيراً ما تفسُد الحكمةُ وتُشوَّهُ بالفخر، أو التكبر، أو الحقد، أو الغَيرة، أو الغِش . فينبغى أن يهذِّبَ الإنسانُ نفسَه، ويترك الفخرَ جانباً ولا يتكبر، ولا يحقد على غيره، ولا يَغُش أحداً أو يُضِله؛ حتى تكونَ علاقتُه بغيره حسَنةً، وتكونَ شخصيتُه محبوبة لدى من يتصلون به أو يعرفونه .

وليس من الحكمةِ الغضبُ فى غير غضب، والكلامُ فى غير نفع، والعطيةُ فى غير مَوضع، والثقةُ بكل أحد، وعدمُ معرفةِ الصديق من العدو . وفى كليلة ودمنةَ: « ليس من الحكمة أن تصدّقَ

(١) تأن . (٢) قوة وسلطان .

ما ينبغى أن يُكذَّب . وتكذِّبَ ما ينبغى أن يُصَدَّق ، وتلتمس تقويمَ من لا يستقيمُ ، وتعالجَ تأديبَ من لا يتأدبُ ، وتتدخلَ فيما لا يعنيك ، وتعملَ غير عملك ؛ فإنّ الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا عَلَى شىء ؛ كالذى يَضع الرمادَ موضعاً ينبغى أن يَضَعَ فيه الرملَ ، والرجلِ الذى يَلبَسُ لباسَ المرأةِ ، والمرأةِ التى تلبَسُ لباسَ الرجل ، والضيفِ الذى يقول : أنا ربُّ البيتِ ، والذى ينطق بين الجماعة بما لا يُسْأَل عنه » .

قيل لعنترةَ العبسىِّ : أأنت أشجعُ العربِ وأشدُّهم بطشاً ؟ فقال لا . فقيل له : كيف شاع لك هذا الاسمُ بين الناس ؟

فقال : إننى أُقْدِمُ إذا رأيت الإقدامَ عزماً ، وأُحجِم إذا رأيت الإحجامَ حزماً ، ولا أدخل مدخلاً إلا إذا رأيتُ لى منه مَخْرجاً ، وأعمِد إلى الضعيف الساقط فأضربُه ضَرْبةً يطير بها قلبُ الشجاع ، فأثنى عليه فآخُذه ، والحربُ خَدعة[1] .

وقد ذَكرَ أعرابى قوماً فقال : أدَّبتْهُم الحكمةُ ، وأحكَمَتْهم التجاربُ ، ولم تَغُرُّهم السلامةُ المنطوِيةُ على الْهَلَكةِ ، فأحسَنُوا المقالَ ، وشفعوه بالفعال[2] .

(١) يقال خدعه : خَتله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم . والحرب خُدعة وخَدعة بالضم ، والفتح أفصح . (٢) انتهى من الأمالى لأبى على القالى ص ٢٣ ج ٢

قيل لعربيّ : مَن أحزمُ الناسِ ؟ فقال : من أخذَ[١] رقابَ الأمور بيديه ، وجعلَ العواقبَ نُصْبَ عينيه ، ونَبذَ التَّهيُّبَ[٢] دَبْرَ[٣] أُذُنيه .

وقيل له : ومن أخرقُ الناس ؟ فقال : من ركبَ الخِطارَ[٤] ، واعْتَسَفَ[٥] العِثارَ ، وأسرعَ فى البِدارِ قَبْلَ الاقتدارِ .

والحكيمُ : الحِلمُ طبيعتُه ، والرأىُ الحسَنُ سَجيَّتُه ، إن سُئِلَ أجاب ، وإن نطَقَ أصاب ، وإن سَمِعَ العلمَ وَعَى[٦] . وأما الأحمقُ فإن تكلم عَجِلَ[٧] ، وإن حدَّثَ أخطأ ، وإن اُستُنْزِلَ عن رأيه نَزَلَ .

ومما مُدح به ذو الرأى[٨] قولُ بعض الشعراء :

بصيرٌ بأعقاب الأمور كأنّما * يُخاطبه من كل أمرٍ عواقبُه

وأين مَفَرُّ الحزمِ منه وإنما * مَرَائِى الأمورِ المشكلاتِ تجاربُه

وقال البُحترى فى سليمانَ بنِ عبد الله :

كأن آراءه والحزمُ يَتبَعُها * تُريه كلَّ خفِيٍّ وهْو إعلانُ

ماغاب عن عيْنه فالقلبُ يَكلؤُه * وإن تَنَمْ عينُه فالقلبُ يقظانُ

---

(١) الأمالى ج ٢ ص ٢٨١ طبعة بولاق سنة ١٣٢٤ هـ . (٢) التخوف .
(٣) خلف . (٤) الأمور التى لا تؤمن عاقبتها . (٥) اعتسف : ركب الطريق على غير هداية ، والعثار : ما يوقع فى السقوط . (٦) حفظ .
(٧) أسرع . (٨) راجع نهاية الأرب ج ٦ ص ٨٠ طبعة دار الكتب

وقال آخر :

يَرى العواقبَ فى أثناءِ فِكرتهِ ✲ كأَنَّ أفكارَه بالغيب كُهَّانُ

وتتطلب الحكمةُ قبل الشروع فى الفعل :

(١) التروِّىَ فى الأمور ؛ لأن العَجَلة كثيراً ما تؤدِّى إلى الخطأ . وإذا قلنا بالتروِّى فإننا لا نقولُ بالإغراقِ فيه ؛ لأنه يحُولُ دونَ النجاحِ فى كثير من الأعمال ، ويفوِّت الفرصةَ .

(٢) وَفرة العلمِ والتجربةِ ؛ فإنها سبيلُ الحكمةِ .

(٣) توافر الفطنة ؛ إذ لا سبيلَ لصحةِ الفكر بغيرها .

(٤) توافر الثباتِ وكَبحِ النفس .

ومما يحول دونه الحكمة :

(١) العجلةُ فى الفعل .

(٢) الإغراقُ فى التروِّى .

(٣) قلةُ التجربة والعرفانِ .

(٤) سُقْمُ الفكرِ أو خطؤُه .

(٥) التشبث والجمودُ .

وتتضمن الحكمةُ حسنَ التدبير، وجودةَ الذهن، وثقابةَ[١] الرأى، وصوابَ الظنّ. قال معاويةُ بنُ أبى سفيانَ[٢]: « إنى لا أضعُ سَيفى حيث يكفينى سَوطى، ولا أضع سَوطى حيث يكفينى لسانى، ولو أن بينى وبين العامّة شعرةً ما انقطعَتْ أبداً، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا جذَبوها أرخيتُها، وإذا أرْخَوْها جَذبتُها ».

وفى هذا القولِ تتمثلُ الحكمةُ والحلمُ.

ولا عَجَبَ فقد كان معاويةُ يلبَسُ لكلِّ حالةٍ لبوسَها، لا تُبطرُه النِّعمةُ، ولا تحزنُه النقمةُ، لا يَغتمُّ لحوادثَ لم تحدثْ، ولا يَضيقُ[٣] ذَرعاً بما حدثَ، قال:

قد عِشتُ فى الدهر ألوانًا على خُلُقٍ
شتَّى وقاسيتُ فيه اللِّينَ والطَّبَعا
كُلاً لبستُ فلا النَّعماءُ تُبطِرُنى
ولا تَعوَّدْتُ من مَكروهها جَشَعا

---

(١) اتقاد واشتعال.
(٢) انتهى من نهاية الأرب ج ٦، ص ٤٤ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ م.
(٣) يقال ضاق بالأمر ذَرْعاً أى لم يُطقه ولم يقوَ عليه.

لا يملأُ الأمرُ صدرِى قبلَ مصدره

ولا أضيقُ به ذَرعاً إذا وقعـــا

وقد سألَ الإسكندرُ الأكبرُ يوماً جماعةً من حكمائه ، وكان قد عزمَ على سَفر، فقال : « أَوْضِحُوا لى سبيلاً من الحكمةِ أُحْكِمُ فيه أعمالى ، وأُتقِن به أشغالِى » .

فقال كبيرُ الحكماءِ :

أيها الملكُ . أَعمِلِ الفكْرَ واتَّخِذْه وزيراً ، واجعلِ العقلَ صاحباً ومُشيراً ، واجتهد أن تكونَ فى ليلك مُتيقِّظاً ، ولا تَشرَعْ[1] فى أمر بغيرِ مَشُورَةٍ ، وتجنَّبِ الميلَ والمحاباةَ فى وقت العدلِ والإنصافِ ، فإذا فعلتَ ذلك جَرَتِ الأمورُ على إيثارِك[2]، وتصرَّفتْ باختيارِك .

---

(١) تبدأ . (٢) ما تحب وتختار .

٦ — التفـــاؤل

من العناصر التى لا تقلُّ أهميةً فى تكوين الشخصية الممدوحة : التفاؤلُ والتيمنُ[١]، والنظرُ إلى الأشياء بمنظارِ الفأل الحسَنِ ، ويُمنِ الطالع ، لا بمنظار التشاؤم والتطيّر[٢] ؛ ذلك المنظار الأسود ، منظار الشؤمِ والطِّيَرَة ؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يحب الفألَ ، ويكرَه الطِّيَرَة . وفى الحديث : « ليس منّا من تَطيّر » . قيل :

لما قدِمَ رسول الله المدينةَ نزل على رجل من الأنصار ، فصاح الرجل بغلاميه : ياسالمُ ويايَسارُ ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « سَلِمتْ لنا الدارُ فى يُسرٍ » . وفى هذا تتمثل روحُ التفاؤل لدى الرسولِ الكامل .

ولا نقصد بالتفاؤل أن نُغمِّضَ أعيننا عن الحقائقِ ، ونتائج الأمور ، بل نقصدُ أن نعتادَ فى تفكيرنا النظرَ إلى الأشياء بعين الأملِ والرحمة ،

---

(١) رجاء الخير ، والتبرك . (٢) يقال تطير من الشيء وبالشيء ، والاسم الطيرة وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء .

لا بعين اليأس والقنوط ، وننظر إليها فى نور الأمل ، لا فى ظلام اليأس ، من الناحية المضيئة من الطريق ، لا من الناحية المظلمة الحالكة .

والمتفائل يَرضَى بالماضى خيره وشره ، ويثق بالمستقبل ثم يؤدى الواجب ويترك النتيجة لله سبحانه وتعالى . وتعدّ هذه العادة العقلية — وهى عادة التفاؤل — من الأمور الجوهرية فى تقوية الشخصية . وكثيراً ما ينشأ التفاؤل عن نشاط الشخص ، وقوته العقلية والعصبية ، وعن نوع الأفكار التى يَسمحُ لها بالدخول إلى العقل . وإذا تعود الإنسان أن يُزوِّد نفسه بالأفكار الصحيحة السارّة فإنه لا يتجنبُ التشاؤم والحزنَ فحسْبُ ، بل قد يُطِلُّ من نوافذ العقل على الناحية السارّة المضيئة من الحياة .

وينشأ التشاؤم عن ضعف النشاط وضعف القوة العصبية ، وَوَهْن[1] الرقابة العقلية (Mental Control) فى الإنسان ، فيسمحُ لنفسه بأن تسبَحَ فى جوّ مظلم من الأوهام ، حتى يُصبحَ عقلُه متلبداً بغيوم لا حقيقة لها ، ودخانٍ لا أصلَ له ، هى غيومُ التطيرِ ، ودخانُ التشاؤم .

---

(١) ضعف .

وإن ضبطَ النفسِ والنظرَ إلى الناحيةِ السعيدة دائماً ، مما يُزيل عن أولئك المتشائمين ، وهؤلاء المتطيّرينَ هذه الهمومَ والأحزانَ التى يسيطرُ على نفوسهم .

وإذا كان التفاؤل مُوقظاً للعقل ، ومَدعاةً للنشاط ، وباعثاً على الإقدام ، ومحرِّرًا للإنسان ، ومنشِّطاً لجميع قواه العقلية ، فالتشاؤمُ سببٌ فى الخمول والكسَل ، وكثرةِ التردد والإخفاق ، والشقاء والضعف ، لا فى التفكير فَحسْبُ ، بل فى الشخصيةِ كذلك .

فالشخصيةُ الحيةُ القويةُ ، ينبغى أن تتمسكَ بالتفاؤل ، وتلتزمَ الناحيةَ السارة ، يقودُها الأمل ، ويُحييها الرجاء ، تُفكر فى النجاح أكثرَ من الخيبةِ ، وفى التقدمِ أكثرَ من التأخرِ ، وتميلُ إلى جانب الثقةِ أكثر من الميل إلى جانب التردد ، وتثقُ بما تقول وما تفعل ، ولديها كلُّ علاج ، وهى مَنبعُ النشاط والقوةِ .

ومن الحكمة أن ترجِّحَ جانبَ الخيرِ على جانب الشر ، واللينَ على الشدة ، والتعقلَ على الطيش ، والأملَ على اليأس ، والنورَ على الظلامِ .

قال صلى الله عليه وسلم : « إذا رأى أحدكم الطيرَ ، فقالَ : اللَّهُمَّ لا طيرَ إلا طيرُك ، ولا خيرَ إلا خيرُك ، ولا إلهَ غيرُك ، لم تضره » .

وكان الرسول الكريم يتفاءلُ ولا يتطيّر ، ويحبُ الاسمَ الحسنَ . وقال[1] : « ثلاثة لا يَسلم منهنَّ أحد : الطِّيَرةُ والظنُّ والحسدُ . قيل له : فما المخرجُ منهنَّ يا رسولَ الله ؟ قال : إذا تَطيَّرتَ فلا تَرجعْ ، وإذا ظَننت فلا تُحقِّقْ ، وإذا حسَدْتَ فلا تَبغِ . »

قال الشيبانيُّ : لما قَدِمَ قتيْبةُ بن مسلم والياً على خراسان قام خطيباً ، فسقطت المِخصرةُ[2] من يدهِ ، فتطيَّر به أهلُ خراسان ، فقال : « أيها الناسُ ليس كما ظننتُم . ولكنه كما قال الشاعر :

فألقَتْ عصاها واستقرَّ بها النوَى ✲ كما قرَّ عيناً بالإيابِ المسافر

وهنا يبدو حضورُ الذهنِ ، وروحُ التفاؤل لدَى قُتيبةَ .

وفى الأدب العربى كثير من النوادر عن التطير والتشاؤم ، ولا عجبَ ؛ فقد كانت العربُ تتطيّر من بعض الأقوال والأفعال ، وأصواتِ البُومِ والغربان . قال أبو الشِّيص :

---

(١) انتهى من العمدة لابن رشيق ، ج ١ ص ٣٩ ، طبعة سنة ١٩٠٧ للخانجى .

(٢) كالسوط ، أو كالعصا مما يمسكه الإنسان بيده فيتوكأ عليه أو يشير به .

وفى نَعباتِ[١] الغراب اُغترابٌ * وفى البانِ[٢] بَيْنٌ[٣] بعيدُ التدانى

وقال آخر فى السَّفرجَل :

أُهدى إليـــه سَفرجلاً فتطيّرا * منه فظلَّ مُفكِّرًا مُستعبِرًا

خوْفَ الفِراقِ لأن شَطرَ[٤] هِجائه * سَفَرٌ وحقَّ له بأن يتطيَّرا

ويتنافى التشاؤُم مع العقل السليم ، ويدل على قِصَر النظر ، والوسوسة ، وضعفِ العقيدة ؛ ففى التطير ظنٌّ بمعرفة الغيب ، « وما يعلمُ الغيبَ إلا الله » . « وعسَى أن تكرهوا شيئاً وهوَ خيرٌ لكم » .

وكان ابنُ الرومىِّ[٥] كثيرَ الطِّيَرَةِ ، ربما أقام المدَّةَ الطويلة لا يتصرف ؛ تطيراً بسوء ما يراه ويسمعه ، حتى إن بعضَ إخوانه من الأمراء افتقدَه[٦] ، فأُعلم بحاله فى الطيرة ، فبعثَ إليه خادماً اسمه إقبال ، ليتفاءل به . فلما أخذ أُهبتَه[٧] للركوب ، قال للخادم : انصرف إلى مولاك ؛ فأنت ناقص ، ومَنكُوسٌ[٨] أسمك « لا بقاً[٩] » . وأبن الرومى

---

(١) أصوات الغراب ، يقال نعب الغراب أى صوّت وصاح . (٢) غصن البان الذى ينوح عليه الغراب . (٣) البين : الفراق . (٤) شطر الشىء : نصفه .

(٥) ابن الرومى هو أبو الحسن على بن العباس المعروف بابن الرومى ، وهو من الشعراء العباسيين ، عرف بالهجاء والعتاب فى شعره ، وهو مولى يونانى ولد ببغداد سنة ٢٢١هـ ، ومات مسموماً سنة ٢٨٣ هـ . (٦) افتقده وتفقده : طلبه عند رغبته .

(٧) عدته . (٨) معكوس حروفه . (٩) يريد « لابقاء » .

هو القائل : الفأل لسانُ الزمان ، والطيرَةُ عنوانُ الحِدْثان[١] ، وله فيه احتجاجاتٌ وشعر كثير .

وعجيبٌ أن آثارَ تلك الروح ، روحِ التطير والتشاؤم لا تزال سائدة فى خُرافاتِ الأمم المتمدينةِ والمتوحِّشةِ ؛ فالمشىُ تحت السلَّم ، ورقم ١٣ ، والحُلة الخضراء للعروس ، وكسر الآنية ، ورمى القلل القديمة وراء المبغَضين ؛ كلها تؤدى إلى السوء والشرِّ فى نظر المخرَّفين المتشائمين . وما أبعدَ هذه الترَّهاتِ[٢] عن الحقيقة والواقع .

---

(١) حدثان الدهر : نوبه . (٢) الترّهات : الطرق الصغار غير الجادّة تتشعب عنها الواحدة (ترّهة) فارسى معرب ثم استعير فى الباطل .

الفصل الثامن

٧ — التواضع وعدم التصنع

العنصر السابع من عناصر الشخصية التواضعُ وعدمُ التصنع ؛ وذلك بأن يكونَ لدى الإنسانِ استِعدادٌ به يقدر نفسَه ومركزَه تقديراً يدل على التفكيرِ والحكمةِ من غير تصنُّعٍ ، أو تظاهرٍ بما ليس فيه .

فإذا تصنع المرءُ وادَّعَى صراحةً أو ضِمناً ما ليس فيه ؛ كأن يقدرَ نفسَه فوق قدرِها ، ويُعطيَها أكثرَ من حقها ، ويتعظم وما هو بالعظيم ، ويَدّعيَ العلمَ وماهو بالعالم ، والثروةَ وما هو بالثريّ ، والقوةَ وما هو بالقويّ — إذا ادَّعَى شيئاً من هذه الأشياء فقد يتضحُ أمرهُ لدَى الناس ، ويتبينُ جهلُه أو فقرُه أو ضعفُه على عكس ما ادَّعَى ، فيعلمون كذبه ، فيحتقرونه ويَزدَرونه ، ويَنفِرون منه ، ويتباعدون عنه ، ويصيرُ ممقوتاً عندهم جميعاً .

وإن مدْحَ الإنسانِ نفسَه ثقيلٌ لا يُقْبَل ، وإذا قُبلَ فإنه يجب

أن يُؤسَّسَ على حقائقَ . والأولى أن يَترُكَ الإنسانُ عملَه ليدلَّ عليه ، ويتحدثَ عنه ، بدلا من أن يتحدثَ هو عن نفسه . وإذا كان المرءُ جديراً بالمدح فسَرعانَ ما تظهرُ حقيقتُه ، ويقدرُ الناسُ كفايتَه ، ويزِنون أعمالَه ، ويعترفون بشخصيتِه ومقدرته .

فالتواضع فى غير ذِلةٍ سبيلُ النجاحِ والرفعة ، والتصنعُ سبيلُ الإخفاق والمهانة .

وإننا وإن كنا ضدَّ التصنُّعِ والتظاهر ، لا نمنع أن نُنزِلَ أنفسَنا منزلتَها ، ونَعُدها وحدةً من المجموع ، لها ما له ، وعليها ما عليه ، ونستحسن أن نتركَ لغيرِنا الحكمَ لنا أو علينا ، وأن نتحلَّى بالتواضع فى غير ضَعفٍ أو ضَعَة . فالتواضع أساسُ للشخصيةِ المحبوبةِ الجذابة . وإننا نجتذب غيرَنا ، بقدر حبِّ غيرِنا لنا .

وإذا كانت الشخصية مظهراً لقوةِ النفس ، فهى عدوةُ الكذبِ والتضليل . فليس المهمُّ أن يدَّعِيَ الإنسانُ كذباً ، ولكن المهمَّ أن يعملَ حتى يُثبتَ لنفسه العظَمةَ إن كان عظيما ، والزعامةَ إن كان زعيماً . ويَبْدُو المتكبر وكأنَّ كسرى حاملُ لوائِه ، وبلقيسَ دايةٌ له ،

وكأنه يوسفُ جمالا ، ولقمانُ حكمةً ، والشمسُ لم تطلعْ إلا من جبينه ، والغمامُ لم يَبْدُ إلا من يمينهِ ، وكأنه امتطى السِّماكين ، وملك الخافقين ، وما هو بهذا ولا بذاك .

عن أبي أُمامةَ قال : خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) متوكئاً على عصا ، فقمنا له ، فقال : « لا تقوموا كما يقومُ الأعاجمُ يُعظمُ بَعضُهم بعضاً » . ودخل عليه رجل فأصابته من هَيبتِه رِعدَة . فقال له : « هَوِّن عليك فإني لستُ بملك ، إنما أنا ابنُ امرأةٍ من قريش كانت تأكلُ القديد[1] » . وكان يَعُودُ المساكين ، ويجالسُ الفقراء ، ويُجيبُ دعوةَ العبدِ ، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حيثما انتهى به المجلسُ جلس . وكان يُدْعَى إلى خبز الشعير والإهالة[2] السَّنِخة[3] فيجيب .

وكان عليُّ بنُ أبي طالب يعملُ على الدوامِ عَلَى أن يُحسِنَ إلى الفقراء في الخفاء ، حتى لا يعلمَ بذلك أحدٌ ، فرماه بعضُ العربِ بالبخلِ . فلما تُوفِّيَ خرجت النساءُ الفقيراتُ باكياتٍ يُردِّدْنَ « مَن يُنفقُ

(١) القديد : اللحم المقدد .
(٢) الدسم : الزيت والشحم .
(٣) يقال سنخ الدهن : زنخ .

علينا بعدَكَ يا علىّ ؟ » وهذا خير إحسانٍ بعيدٍ عن الظهورِ ، وهو أجملُ إحسان عِند اللهِ .

وأصبح النجاشىُّ يوماً جالساً على الأرض والتاجُ عليه ، فأعظمتْ بطَارقتُهُ ذلك ، وسألوه عن السبب الذى أوجبَه . فقال : « وجدت فيما أنزل الله على المسيح : « إذا أنعمتُ على عبدى نعمةً فتواضعَ أتممتُها عليه ، وإنه وُلد لى هذه الليلةَ غلامٌ ، فتواضعتُ شكراً لله » .

وقد كان التواضعُ يتمثلُ فى سيدنا عمرَ بن الخطاب (رضى الله عنه) ؛ فقد قال : أريدُ رجُلا إذا كان فى القومِ وهو أميرُهم كان كبعضِهم ، وإذا لم يكنْ أميرَهم فكأنه أميرُهم . وفى ذاتِ مرة خاطبه رجل بقوله : « اتقِ الله يا أميرَ المؤمنين » ، فهالَ ذلك رجلاً كان حاضراً ، وقال : أتقولُ لأمير المؤمنين اتَّقِ الله ؟

فقال له عمر : « دَعْه فليقلْها لى . نِعْمَ ما قال . لا خيرَ فيكم إذا لم تقولوها . ولا خيرَ فينا إذا لم نتقبَّلْها » . وإلى مثل هذا ينتهى الأدبُ والتواضعُ ، ورقةُ الجانبِ ، ولطفُ المعاملةِ .

وقيل إن السراجَ هَمَّ ليلةً بأن يُخمدَ ، فوثب إليه أحدُ الحاضرين

مع عمرَ بنِ عبد العزيز ليُصلِحَه ، فأقسم عليه عمرُ فجلس . ثم قام فأصلحه : فقيل له أتقومُ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قمتُ وأنا عُمَرُ ، ورجعتُ وأنا عمرُ .

قال أبو تمّام :

مُتَبذِّلٌ[1] فى القومِ وَهْوَ مُبَجَّلٌ[2] * متواضعٌ فى الحىِّ وَهْوَ مُعَظَّم

وقال آخر :

متواضعٌ والنُّبلُ يحرُسُ قدرَه * وأخو التواضعِ بالنَّباهةِ يَنْبُلُ

وكان الرشيدُ يتواضَعُ للعلماء ؛ قال أبو معاويةَ الضريرُ ، وكان من العلماء :

أكلتُ مَعَ الرشيدِ يوماً ، فصَبَّ على يَدَىَّ الماء رجلٌ ، فقال لى ، يا أبا معاويةَ ، أتدرِى من صَبَّ الماء على يدك ؟ فقلتُ لا يا أميرَ المؤمنين .

قال : أنا . فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، أنت تفعل هذا إجلالاً للعلم . قال : نعم[3] .

---

(١) من لا يصون نفسه عن القبيح . (٢) محترم . (٣) انتهى من الفخرى .

ومما يحكى عن تواضُع « لُويس پاستُور[١] » العالم الفرَنسىّ وهو من أعظمِ العلماء نفعاً للبشرية — فهو من الذين خدَموا العلمَ ورقَّوْه، وعالج الكلَبَ والجمرةَ وآفاتِ الكُروم والخنازير . مما يحكى عنه أنه دخل مرة فى مؤتمر طبىٍّ دولىٍّ عُقد فى سنة ١٨٨١ م . فقام الأطباء، وحيَّوْه بهتاف عال، فنظر إلى جارِه قائلا : « أظن هذا الهتافَ لأن ولىَّ العهدِ قد حضر . كان يجب علىَّ أن أبكِّر » .

وممن يعدون مُثلا عليا للتواضُع ، « المهاتما غاندى الزعيمُ الهندىُّ » ؛ فقد سئل مرة : لماذا تركب فى الدرجةِ الثالثةِ من قُطرِ السكة الحديدية ؟ فقال : « لأنى لا أجد فيها درجة رابعة » .

وقيل: دخل أبو العتاهيَة على ابنهِ محمد، وقد تكلَّفَ التصوفَ فقال: ألمَ أكنْ قد نهيتُكَ عن هذا ؟ فقال : وما عليك أن أتعودَ الخير وأنشأ عليه ! فقال : يابُنَىَّ : يحتاج المتصوفُ إلى رقةِ حال، وحلاوةِ شمائل ، ولطافةِ مَعنى ، وأنتَ ثقيلُ الظل مظلمُ الهواء ، راكدُ النسيمِ ، جامدُ العينينِ . فأقبل على سُوقِك ؛ فإنها أعودُ عليك — وكان بزازا .

(١) Louis Pasteur (ولد سنة ١٨٢٢ ، وتوفى سنة ١٨٩٥ م) .

والتصنعُ والتظاهرُ والجعجعةُ من علامات الضعف ؛ فالرجل الذى يَشعرُ بنقص فى ناحية من النواحى يعملُ على أن يَسُدَّ ذلك الفراغَ ، ويُكمِّلَ ذلك النقصَ بالادعاء حيناً ، والإعلانِ أحياناً .

قَال المأمونُ : ما تكبَّر أحدٌ إلاّ لنقصٍ وجَده فى نفسِه ، ولا تطاوَلَ إلاَّ لوَهْنٍ أحسَّه مِن نَفْسِه . وأظنك قرأتَ فى كليلةَ ودمنةَ أن ثعلباً أتَى أَجَمةً[1] فيها طبلٌ معلقٌ على شجرة . وكلما هَبَّت الريحُ عَلَى قُضبانِ تلك الشجرةِ حَرَّكتها . فضربت الطَّبل ، فَسُمِعَ له صوتٌ عظيم ، فتوجَّه الثعلبُ نحوه لأجل مَا سمِعَ من عظيمِ صوته . فلما أتاهُ وجدَه ضخماً ، فأيقَنَ فى نفسه بكثرةِ الشَّحمِ واللحمِ . فعالجه حتى شقَّه . فلما رآه أجوفَ لا شىء فيه قَال : لا أدرى ! لعلَّ أكثرَ الأشياء إخْفاقاً أجهرُها صوتاً ، وأعظمُها جُثَّة .

فليس من الحكمة أن يغترَّ الإنسانُ بالمظاهر ؛ فقد دخل كثير عَزةَ على عبد الملك بنِ مروانَ ، فقال عبدُ الملك : أأنت كُثيِّرُ عَزّة ؟ قال : نعم . قَال : أَن تسمع بالمُعَيدىِّ خيرٌ من أن

(١) الشجر الكثير الملتف .

تراه . قال يا أمير المؤمنين : كلٌّ عند محلِّه رحبُ[١] الفِناء ، شامخُ[٢] البِناء ، عالِي السَّناء[٣] ، ثم أنشأ يقول قصيدة ، من أبياتها .

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدريه[٤] * وفى أثوابه أسـد هَصُورُ[٥]
بُغَاث[٦] الطَّيرِ أطولُها رقَاباً * ولم تطُلِ البزاةُ ولا الصُّقُورُ
ضعافُ الأُسْدِ أكثرُها زئيراً[٧] * وأصْرَمُها[٨] اللَّواتى لا تَزِيرُ[٩]
فما عِظَمُ الرِّجالِ لهم بزينٌ * ولكنْ زينُهم كرَمٌ وَخِيرُ

فقال عبدُ الملك لجلسائه : لله دَرُّه . ما أفصحَ لسانَه ، وأضبطَ جَنَانَه[١٠] ، وأطولَ عِنانَه . والله إنى لأظنُّه كما وصفَ نفسَه .

وقد اجتمع عامرُ[١١] بنُ الظَّرِب العَدوَانىّ وحُمَمَةُ بن رافع الدَّوسىّ عند ملك من ملوك حِمير . فقال : تَسَاءَلا حتى أسمعَ ما تقولان . فقال عامرٌ لحُمَمةَ : من أحقُّ الناسِ بالمقتِ ؟

قال : الفقيرُ المختالُ ، والضعيفُ الصَّوَّال[١٢] ، والعَيِيُّ[١٣] القوَّال[١٤] .

---

(١) واسع . (٢) عالى . (٣) من الرفعة (٤) تحتقره . (٥) كاسر .
(٦) طائر أغبر ضعيف . (٧) صوتاً وصياحاً . (٨) أقواها . (٩) تصيح .
(١٠) قلبه وعقله . (١١) وفى رواية عمرو . (١٢) الصوال : المعتدى على غيره .
(١٣) العيي : من عنده لكنة . (١٤) الكثير القول .

ووقف عُيينةُ بنُ حصن بباب عُمَرَ بنِ الخطاب (رضى الله عنه)، فقال: أستأذنوا لى عَلَى أميرِ المؤمنين، وقولوا: « هذا ابنُ الأخيارِ بالباب. » فأَذِنَ له، فلما دخل عليه قال له: أأنت ابنُ الأخيارِ؟ قال: نعم. قال له: بل أنت ابنُ الأشرار، وأما ابن الأخيارِ فهو يوسف بنُ يعقوبَ بن إسحق بنِ إبرهيمَ.

وقال يحيي بنُ حيَّان: الشريفُ إذا تقوَّى تواضعَ، والوضيعُ إذا تقوَّى تكبَّر.

وقال كسرى: احذروا صولةَ الكريمِ إذا جاع، واللئيمِ إذا شَبِع.

وقيلَ مَنْ وضَع نفسَه دُونَ قَدْرِهِ رَفَعهُ الناسُ فوقَ قدرِه. ومن رفَعها عن حدِّه وضَعَه الناسُ دونَ حدِّه.

وقال عبد الملك: أفضلُ الرجالِ من تواضعَ عن رِفعةٍ، وعفَا عن قُدْرَة، وأنْصفَ عن قوَّة.

الفصل التاسع

٨ — حسن مَظهرِ الإنسان وقوامه

لمظهرِ الإنسانِ أثرٌ فى شخصيته ؛ فالرجل الصحيحُ الجسمِ ، الحسَنُ القامةِ ، ربما لا يحتاج فى إظهارِ شخصيتِهِ والتأثيرِ فى غيره إلى ما يحتاج إليه الشخصُ النحيفُ الجسمِ ، المشوَّهُ الخِلقةِ ؛ فبينما تجد الأولَ طبيعيًّا فى معاملته ؛ لأنه لا يشعرُ بنقص خارجىٍّ يريد أن يكمله تجدُ الثانىَ محبًّا للتظاهر ، متكلِّفاً فى أقوالِه وأفعاله ، منتهزاً كلَّ وسيلةٍ يستطيعُ أن يُظْهرَ بها نفوذَه ، فيتظاهر بالعلمِ تارة ، ويفخر بحسَبِه ونسَبِه تارةً أخرى . وقد يتخذ أحياناً وسائلَ ثُعبانيةً أو ثَعلبية ، ليُظهرَ بها نفسَه أمامَ من يبغِى الظهورَ بينهم ، فيلجأ إلى الوشاية حيناً ، وإلى الملَق حيناً آخرَ . وقد يُضْطَر إلى التجمل فى جسمِه ولبسه ، أو المداعبةِ فى حديثه ؛ كلُّ ذلك ليكملَ ما فيه من نقص جسمىّ .

فالإنسان حينما يُحِسُّ نقصاً من الناحيةِ الجسمية مثلاً ، تراه يعمل

على أن يملأ هذا الفراغَ ، ويكملَ ذلك النقصَ من الناحيةِ العقلية أو الخلقية أو العلمية ؛ حتى يُظهرَ شخصيتَه للملأ .

فسقراط[١] مثلاً شيخُ الفلاسفةِ من اليونان ، كان أفطسَ الأنفِ ، غليظَ الشَّفتين ، جاحظ[٢] العينين ، قبيحَ المنظرِ ، ولكنهُ قد وَصَل بمواهبهِ العقليةِ والخُلقية الأخرى إلى ذِرْوةِ المجد . ويكفيه فخراً أنه أستاذُ أفلاطون ، وأنه أكبرُ فلاسفةِ اليونان .

والجاحظُ[٣] كان أديبَ العلماء ، وعالمَ الأدباء ، وما لُقِّبَ بهذا اللقب الذى كان مُبغَّضاً إليه إلا لأنه كان جاحظَ العينين (بارزهما) ، دميمَ[٤] الخِلقةِ ، حتى قيل : إن الخليفةَ المتوكلَ سمِعَ بمنزلتِه من العلم والفهم ، فاستقدمه إليه (بِسُرَّ منْ رَأَى) ليؤدبَ ولدَه . فلما رآه أستبشع منظرَه ، وصَرَفهُ بعشرةِ آلافِ دِرهمٍ . ولكنهُ بجانب ذلك كان خفيفَ الروحِ ، ذكيَّ الفؤادِ ، واسعَ الاطِّلاع . وكان يُعَدُّ دائرةَ معارف فى الآدابِ والعلومِ واللغةِ والتاريخ ؛ حتى أصبح لقبُه — الذى

---

(١) ولد بأثينا سنة ٤٦٩ ق . م . وحكم عليه بالقتل ظلماً سنة ٣٩٧ ق . م

(٢) جحظت عينه : عظمت مقلتها ونتأت. (٣) ولد بالبصرة سنة ١٦٠ هـ ، وتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، وعاش نحو ٩٥ سنة . (٤) قبيح .

كان يكرهه — دليلًا على التبحُّر فى العلم والأدب ، والفوقِ فى فنون البلاغةِ والبيان . سُئل كيف حالُك يا أبا عثمان ؟ فقال : « حالى أنَّ الوزيرَ يتكلمُ برأيى ، وينفذُ أمرى ، ويُواترُ[1] الصِّلاتِ إلىَّ . . »

ومما يُروَى عن ابن الأثيرِ صاحبِ الكاملِ فى التاريخ أنَّه كان يجلسُ فى صُفةٍ على بابِ داره ، يُطالعُ الكتُبَ ، ويُسَلِّى نفسه بمنظرِ السَّابلةِ فى الطريق وكان له جارٌ رثُّ الثِّياب ، أشعثُ أغبرُ ، تفوحُ منه رائحةٌ كريهةٌ ، وكان يحلو لهذا الجارِ القذرِ أن يركبَ أكتافَ ابنِ الأثيرِ حينَ يراهُ يُطالعُ كتُبَه . وكان ابنُ الأثيرِ يستحيى منه ، ويتململُ تحتَ هذا الحملِ الثقيل ، كما كان يتأذَّى من رائحته الكريهةِ المُثيرةِ للنَّفس ، وكان يدفعُ عنه أذَى الرجُلِ بشىءٍ من اللُّطفِ وحُلوِ الحديثِ . فلما رجعَ إلى فعلِه قال له يوماً : أما تَستحيى أيُّها الرجلُ من الركوبِ على كَتِفى وأنتَ لا تدرى ما أطالعُه من علمٍ نافعٍ يَشرحُ الصَّدرَ ، ويُعلِّمُ النفسَ ؟

فلما أخجلَه بهذا التَّعنيفِ قال له الرجلُ : وماذا تُطالعُ يا شيخَنا ؟

---

(١) يتابع العطايا .

فقالَ له : أُطالِعُ شيئاً من علمِ الاقتباسِ .

فقال له : أنشِدْنى مما تقولُ ، فأنشدَه بيتينِ لم يَسْتَحْسِنْهُما الرجلُ ، وعندئذٍ ارتجلَ الرجلُ عِدَّةَ أبياتٍ هى من أجودِ الشِّعرِ وأبلغِه ، فقامَ ابنُ الأثيرِ إجلالاً له ، واعتذرَ إليه .

فقال الرجلُ لابنِ الأثيرِ : إياكَ وأن تحتقرَ إنساناً أو تستخفَّ بمخلوقٍ مهما يكن شأنُه ؛ فإنَّ مواهبَ اللهِ تعالى فى الصُّدورِ لا فى الثيابِ والظُّهورِ .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ لا يَنظرُ إلى أجسامِكم ، ولا إلى صُوَرِكم ، ولكنْ يَنظرُ إلى قلوبكم . » . وأشارَ بأصابعِه إلى صَدرِه .

والتاريخ حافل بكثير من العظماء المشوهةِ أجسامُهم ، الساميةِ أرواحُهم وعقولُهم . فلا تَسْتَهِنْ برجلٍ قبيحِ المنظرِ ، ولا تغترَّ بشخصٍ حسَنِ المظهرِ ؛ فقد تجد فى الأول عظمةً وبُطولة ، وقد تجد فى الثانى نقصاً أو ضَعفاً فى أىِّ ناحية من النواحى ، ولا حاجةَ بنا إلى التطويل . وكل ما نريد أن نقوله : هو أنه إذا نَقصَ الإنسانُ من جهة حاولَ أن يُكمِّلَ نفسَهُ من جهة أخرى . وإذا حُرِم الإنسانُ صفةً من الصفات وُهبَ صفةً أخرى تحُلُّ محلَّها .

الفصل العاشر

٩ — قوةُ البيان

إن قوةَ البيانِ ، وفصاحةَ اللسانِ ، وحسنَ المنطق ، والقدرةَ عَلَى التأثير فى السامع مع رَجاحةِ العقل ، تُكسبُ الإنسانَ شخصيةً قويَّة ، وتجعل له منزلةً بين سامِعيه ، ولذلك لما أمرَ اللهُ تعالى سيدَنا موسى (عليه السلام) أن يذهبَ إلى فرعونَ ، شكا موسى العِيَّ فى القول ، وطلب من الله أن يُرسلَ معهُ أخاه هرونَ لفصاحتِه ، قائلاً : « وَأَخِى هرونُ هو أفصحُ مِنِّى لسانًا فأرسلْهُ مَعِىَ رِدْءًا[1] يُصَدِّقُنِى » يريد فرعون .

وإننا لا نريد بالفصاحةِ الثَّرْثرةَ والتشدُّقَ ، والتوعُّرَ فى الكلام ، كما لا نريدُ بها أن يزيدَ كلامُ الإنسانِ على عقله ، بل نريدُ حسنَ التعبيرِ عما فى النفس ، وقوةَ التأثيرِ فى المستمِع ، والتكلمَ من غير تهيُّب أو تخوف ، بحيث يكون الكلامُ حلوًا رشيقًا ، سهلاً عذبًا مؤثراً .

---

(١) عونا ومساعدا .

أما العِىُّ[١] والحَصَرُ[٢] واللجلجةُ[٣] والتَّمتمةُ[٤] والفأفأةُ[٥] وكثرة التردد فى القول ، والخجلُ فى أثناء التكلم فتقلِّلُ من تأثيرِ الشخصِ فى سامعِيه .

وإنّ حسنَ التعبيرِ عما فى النفس شرطٌ أساسىٌّ لقوةِ الشخصيةِ ، وهو يتطلبُ العلمَ بالشىء الذى نريد التكلمَ عنه ؛ لأن أفكارَنا إذا عُرِفَتْ كان من السهلِ التعبيرُ عنها .

وكما يجب أن نعرفَ ما نريدُ أن نقولَ ، وما نريدُ أن نفعلَ ، كذلك يجبُ أن نُحسنَ القولَ . ونحسنَ العملَ . وما أجملَ الكلمةَ الصائبةَ فى اللحظةِ المناسبةِ . وكما ينبغى حسنُ التكلمِ والخطابِ ، كذلك ينبغى حسنُ الإصغاءِ والاستماعِ للمتكلم . وقد تكون لدينا الأفكارُ الساميةُ ، ولكننا نحتاجُ إلى شجاعةٍ فى إظهارِها حتى ينتفعَ بها غيرُنا .

ولقوةِ البيانِ أثرٌ كبيرٌ فى نفسِ المستمعِ ؛ فقد تنجّى من القتل ؛ قيل : زَينُ المرءِ اثنان : اللسانُ البليغ ، والشعر الجيّد . وقيل :

---

(١) البطء فى الكلام .
(٢) العى وضيق النفس .
(٣) التردد فى الكلام .
(٤) رد الكلام إلى التاء والميم .
(٥) ترديد الكلام كثيراً .

أُتِيَ مُصعَب بنُ الزُّبيرِ [1] بأسرَى من أصحابِ المختار، فأمرَ بقتلهم بين يديه، فقام إليه أسيرٌ منهم، فقال: «أيها الأمير، ما أقبحَ بك أن أقومَ يومَ القيامةِ إلى صورتِك هذه الحسنةِ، ووجهك المليحِ الذى يستضاءُ به. فأتعلقَ بك وأقول: «يا ربِّ، سَلْ مُصعباً فِيم قتلنى؟»

فاستحيا مُصْعَبٌ، وأمرَ بإطلاقه.

فقال الأسير: أيها الأمير، اُجعلْ ما وهبْتَ من حياتى فى خَفضٍ ودَعَةٍ من العيش.

قال الأمير: قد أمرتُ لك بثلاثين ألفَ دِرهم.

قال الأسير: إنى أُشهِدك أيها الأمير أن شَطرَ هذا المالِ لعبد الله ابنِ قيس الرُّقيّات. قال: ولِمَ ذلك؟

قال: لقوله:

إنما مُصعَبٌ شهابٌ من اللَّـ*ـه تجلَّت عن وجهِه الظَّلْماء

فضحكَ مُصْعَبٌ. وقال: اُقبضْ ما أمرنا لك به. ولابن قيسٍ عندنا مثله. فما شعر عبدُ الله بنُ قيس إلا وقد وافاه المال.

---

(١) انتهى من العمدة لابن رشيق جـ ١، ص ٤٢ طبعة الخانجى سنة ١٩٠٨ م.

وإن الرجلَ الفَصيحَ تكون الأعناقُ إليه أميلَ ، والعقولُ عنه أفهمَ ، والنفوسُ إليه أسرعَ . وقد ذكر اللهُ لنبيه (صلى الله عليه وسلم) حالَ قريش فى طلاوةِ عباراتهم ، وخلابة ألسنتِهم ، واستمالتهم الأسماعَ بحسن مَنطِقهم . فقال : « وإن يَقولُوا تَسمعْ لقولهم » . وكلَّما كان اللسانُ أبينَ كان أحمدَ .

قال الجاحظُ فى كتابه « البيان والتبيين[1] » :

والبيانُ اسمٌ لكل شىء كشفَ لك عن قِناع[2] المعنى ، وهتكَ[3] الحُجبَ دونَ الضمير ، حتى يُفضِىَ السامع إلى حقيقته ، ويهجُمَ على محصوله[4] ، كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أىِّ جنسٍ كان ذلك الدليل ؛ لأن مدارَ الأمرِ — القصد الذى إليه يجرى القائلُ والسامع — إنما هو الفهمُ والإفهامُ . فبأىِّ شىء بلغتَ الإفهامَ ، وأوضحتَ عن المعنى ، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع .

قيل لجعفر بنِ يَحيَى البرمَكىِّ : ما البيان ؟

قال : أن يُحيطَ لفظُكَ بمعناك ، ويكشِفَ عن مغزاك ، ويُخرجَه

---

(١) جـ ١ ص ٤٢ طبعة « محب الدين الخطيب »
(٢) حجاب ، والمراد خفى .
(٣) كشف
(٤) بقيته .

من الشركة ، ولا يستعان عليه بالفكرة ، ويكون سليماً من التكلُّف ، بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنيًّا عن التأويل .

وذكر سهل بنُ هارون[1] جعفرَ بنَ يحيى فقال :

قد جمعَ فى كلامِه وبلاغتِه الهذَّ[2] والتمهل ، والجزالةَ والحلاوة ، وكان يُفهِم إفهاماً يُغنيه عن الإعادةِ للكلام . . . فإنه لا يتحبَّس ، ولا يتوقف فى منطِقه ، ولا يتلجْلَجُ ، ولا يتسعَّلُ ، ولا يترقبُ لفظاً قد اُستدعاه من بُعد ، ولا يلتَمِسُ معنًى قد عصاه بعد طلبه له .

فمثلُ جعفرِ بنِ يحيى يُقالُ إن لديه قوةَ بيانٍ .

وقيل : البيانُ بَصرٌ ، والعىُّ عَمًى ، كما أن العلمَ بَصَرٌ ، والجهلَ عمى . والبيانُ من نتاج العلم ، والعىُّ من نتاج الجهل . قال سهل بن هرون : العقلُ رائدُ الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيانُ تَرجُمان العلم . وقيل : حياةُ المروءةِ الصدقُ ، وحياةُ الروح العفافُ ، وحياةُ الحلمِ العلمُ ، وحياةُ العلمِ البيانُ .

وقال يونسُ بنُ حبيبٍ : ليس لعيٍّ مروءةٌ ، ولا لمنقوصِ

(١) كان خطيباً شاعراً توفى سنة ١٧٣ هـ . (٢) الهذ : السرعة .

البيانِ بهاءٌ ، ولو حك بيافوخه عنان السماء . وقال أبن التوام : الروح عمادُ البدن ، والعِلمُ عمادُ الروح ، والبيانُ عمادُ العلم .

وقال الجاحظ : وأحسنُ الكلام ما كان قليلُه يُغنيك عن كثيره ، ومعناه فى ظاهر لفظه ، فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظُ بليغاً ، وكان صحيحَ الطبعِ ، بعيداً عن الاستكراه ، ومُنزَّهاً عن الاختلال ، مَصُوناً عن التكلُّف — صَنَعَ فى القلبِ صَنِيعَ الغيثِ فى التربةِ الكريمةِ ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذتْ من قائلِها عَلَى هذه الصفة ، أصحبَهَا اللهُ من التوفيقِ ، ومنحَها من التأييد ، ما لا يمنعُ من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقولُ الجهلة .

وقد قال عامرُ بنُ عبد القيس : « الكلمة إذا خرجتْ من القلب وقعتْ فى القلب ، وإذا خرجتْ من اللسانِ لم تجاوز الآذان » .

وقال الحسَنَ (رضى الله عنه) — وقد سَمع متكلِّماً يَعِظُ ، فلم تقعْ موعظتُه بموضع من قلبه ، ولم يَرِقّ عندها — : يا هذا إنَّ بقلبِك لشرًّا أو بقلبى .

وقيل[١] : إن أولَ ما عُرِف من تقدمِ الأحنفِ بنِ قيس أنه وَفَدَ على عمرَ بنِ الخطاب (رضى الله عنه)، وكان أحدثَ القومِ سنًّا، وأقبحَهم مَنظرًا. فتكلم كلُّ رجلٍ من الوفدِ بحاجته فى خاصَّته، والأحنفُ ساكتٌ، فقال له عمرُ : قلْ يا فتى، فقال :

يا أميرَ المؤمنين، إن العرَبَ نزلتْ بمساكنَ طيِّبةٍ، ذاتِ ثمار وأنهارٍ عذبة، وأكِنَّةٍ ظليلةٍ، ومواطنَ فسيحةٍ، وإنا نزلنا بسبَخةٍ[٢] نشاشةٍ[٣]، ماؤها ملحٌ، وأفنيتُها ضيقةٌ. وإنما يأتينا الماءُ العذبُ فى مثلِ حَلقِ النعامةِ بالأنزار. كنا يا أميرَ المؤمنين نحفِر نهراً يقدر ماؤه، حتى تأتىَ الأمَة فتغرفَ بجرَّتها وإنائها، ونوشك أن نهلِك.

قال : ثم ماذا ؟

قال : تزيد فى صاعِنا[٣] ومُدِّنا. وتثبت من تلاحق فى العطاء من ذُرِّيتنا.

قال : ثم ماذا ؟

---

(١) من زهر الآداب ج ٣ ص ٦٠ طبعة مصطفى محمد. (٢) أرض سبخة أى ذات ملح ونز. (٣) سبخة نشاشة. يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها.
(٣) الصاع الذى يكال به.

قال : تخفف عن ضعيفِنا ، وتنصف قويَّنا ، وتتعاهد ثغورَنا ، وتجهز بعثنا .

قال : ثم ماذا ؟

قال : إلى هنا أنتهت المطالب ، ووقف الكلام .

قال : أنت رئيسُ وفدِك ، وخطيبُ مِصْرِك ، قُمْ عن موضعِك الذى أنت فيه ، فأدناه حتى أقعدَه إلى جانبه ، ثم سأله عن نَسَبه ، فانتسب له ، فقال أنت سيدُ تميمٍ ، فبقيتْ له السيادةُ حتى مات .

فبحُسنِ البيانِ كَان للأحنف بنِ قيسٍ منزلةٌ سامية بين الخلفاء والأمراء ، مع أنه كَان دميمَ الخِلقة ، أصلعَ الرأس ، متراكمَ الأسنان ، مائلَ الذقن ، ناتيَ الوجنتين ، ماحقَ[1] العينين . وكَانت العيونُ تقتحمه[2] لدمامته[3] ، وقلة رُوائه[4] ، ولكنه كان إذا وقف ليتكلمَ أَصْغَت القبائلُ إليه ، واُنثالَتْ[5] عليه ، وخشعت الأبصارُ لكلامِه . وقال الناس : هذا أبو بحر ، هذا خطيبُ بَنى تميم .

وقيلَ أَمرَ الحَجَّاجُ صاحبَ حَرَسِهُ أن يطوفَ بالليل ، فمن رآه بعد

(١) غائر . (٢) تحتقره . (٣) لقبح منظره ، وصغر جسمه .
(٤) حسن شكله . (٥) اجتمعت . انثال الناس عليه من كل وجه : اجتمعوا .

العِشاء سكرانَ ضربَ عُنقَه . فطاف ليلةً من الليالى ، فوجد ثلاثةَ فِتيانٍ يتمايلون وعليهم أماراتُ السُّكر . فأحاطت بهم الغِلمانُ . وقال لهم صاحبُ الحرسِ : مَن أنتم حتى خالفتم أمرَ أميرِ المؤمنين ، وخرجتم فى مِثلِ هذا الوقتِ ؟ فقال أحدهم :

أنا ابنُ من دانت الرقابُ لهُ * ما بينَ مَخزومها وهاشِمها
تأتيه بالرغمِ[1] وهْىَ صاغرةٌ * يأخذُ من مالِها ومن دمِها

فأمسكَ عنه وقال : لعلَّه من أقاربِ أميرِ المؤمنين .

ثم قال للآخر : وأنتَ مَن تكون ؟ فقال :

أنا ابنُ مَنْ لا تَنزِلُ الدّهرَ قدرُهُ * وإن نزلتْ يوماً فسوف تعودُ
تَرى الناسَ أفواجاً إلى ضوءِ نارِه * فمنهم قيامٌ حولَها وقعودُ

فأمسكَ عنه ! وقال : لعلَّه ابنُ أشرفِ العربِ .

ثم قال للآخرِ : وأنتَ مَن تكون ؟ فأنشدَ على البديهةِ :

أنا ابنُ الذى خاضَ الصُّفوفَ بعَزمِه * وقَوَّمها بالسّيفِ حتى اُستقامَتِ
وَرَكْباه لا يَنفكُّ رِجلاه منهما * إذا الخيلُ فى يومِ الكريهةِ[2] وَلَّتِ

(١) بكره وذلة وانقياد . (٢) الشدة فى الحرب .

فأمسكَ عنه ، وقال : لعلَّه ابنُ أشجعِ العربِ ، وحافظَ عليهم جميعاً.

فلما كان الصَّباحُ رَفعَ أمرَهم إلى أميرِ المؤمنين ، فأحضرَهم ، وكشَفَ عن حالهم ، فإذا الأولُ ابنُ حجَّامٍ ، والثانى ابنُ فوَّال ، والثالثُ ابنُ حائكٍ . فتعجَّب من فصاحتهم ، وقال لجلسائه : « علِّموا أولادَكم الأدبَ ؛ فوالله لولا فصاحتُهم لضَرَبْتُ أعناقَهم » .

وذُكِر أن البادية قحِطَتْ أيامَ هشامِ بنِ عبدِ الملك ، فوفَد عليه رءوسُ القبائلِ . فجلسَ لهم وفيهم صبيٌّ ابنُ أربعَ عشْرَةَ سنةً يُسَمَّى دِرْوَاسَ بنَ حبيبٍ ، فى رأسه ذؤابةٌ[1] ، وعليه بُرْدَةٌ يَمَنِيَّةٌ ، فاستصغره هشامٌ وقال لحاجبه : « ما يشاءُ أحدٌ أن يَصِلَ إلينا إلاَّ وَصَل حتى الصبيانُ » .

فقال دِرْوَاسٌ : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ دخولى لم يُخِلَّ بك ، ولا انتقصك ، ولـكنه شرَّفنى . وإن هؤلاء قدِمُوا لأمرٍ فهابُوكَ دونَه . فأعجَبَه كلامُه ، وقال : « اذكرْ ما تشاء ، لا أُمَّ لك »[2] .

فقال : « إنَّا أصابَتْنا سِنونَ ثلاثٌ : فسَنَةٌ أكلَت اللحمَ ، وسَنَةٌ

(١) شعر فى منبت الناصية من الرأس . (٢) يوضع هذا موضع المدح .

أذابَتِ الشحمَ، وسَنَةٌ أَنْقَتِ[1] العَظْمَ. وفى يديكم فضولُ أموالٍ، فإن كانت لله عزَّ وجَلَّ ففرِّقوها على عباده، وإن كانت لهم فلا تَحْبِسوها عنهم، وإن كانت لكم فتصدَّقوا بها عليهم؛ فإن الله يَجْزِى المتصدِّقين، ولاَ يُضِيعُ أجرَ المحسنينَ. وإن الوالىَ من الرعيةِ كالرُّوحِ منَ الجسدِ لا حياةَ له إلاَّ به».

فقالَ هشام: «ما تركَ الغلامُ فى واحدةٍ منَ الثلاثِ عذراً». وأمرَ بمائةِ ألفِ دينار ففُرِّقَتْ فى أهلِ الباديةِ. وأمرَ له بمائةِ ألفِ دِرْهم.

فقال درواسٌ: أُرْدُدْها فى جائزةِ العربِ، فما لِى حاجةٌ فى خاصَّة نفسى دونَ عامَّة الناس».

---

(١) أخذت.

الفصل الحادى عشر

١٠ — الثقة بالنفس والاعتماد عليها

من العناصر الأساسيةِ فى تكوين الشخصيةِ الثقةُ بالنفس أولاً ، والاعتمادُ عليها ثانياً . ومتى وُجدت الثقةُ بالنفسِ فمن السهلِ الاعتمادُ عليها فى كل عملٍ ممكنٍ من الأعمال ، وفى التغلبِ على مَشاقِّ الحياة . والسببُ فى كثرةِ الاعتمادِ على الناس أن الغريزةَ الاجتماعيةَ قويةٌ فى الجنسِ البشرىِّ ، متأصلةٌ فيه ، وأننا اعتدنا التفكيرَ الجمعىَّ لا التفكيرَ الاستقلالىَّ .

فينْبغى أن نُعوِّدَ الأطفالَ الاعتمادَ على أنفسهم ، والاستقلالَ فى تفكيرِهم من غير اتكالٍ على أحدٍ ؛ كى يستطيعوا فى المستقبلِ أن يَعيشوا مستقلِّين بأنفسهم .

ولا يُرادُ بذلك أن يَعتزلَ الإنسانُ العالمَ ، ويَنقطعَ عن الناس ، ويُفكرَ فى نفسه فحسْبُ ، فليسَ هذا من الإنسانيةِ فى شىء ، بل إنه باعتزالِه غيرَه يَفقِدُ كثيراً ، ولا يَربحُ إلا قليلا . ولكننا نريد تعويدَ

الأطفالِ الاستقلالَ الشخصىَّ ، والقدرةَ على القيامِ بأعباءِ الحياة من غير اتكال على غيرهم فى كلِّ شىء ؛ حتى يُمكنَهم أن يقوموا بواجبهم نحوَ أنفسهم ، ونحوَ المجتمعِ . وكثيراً ما يحتاجُ الإنسانُ إلى مُعاوَنةِ صديقهِ ، ومُساعدةِ رئيسهِ ، ومَعُونةِ خادمِهِ . فالتعاوُن ضرورىٌّ للجماعة التى تربُطُ أفرادَها روابطُ وثيقةٌ من الحُبِّ والإخاء .

والاعتمادُ على النفس يتطلبُ أن يكون لدينا شىءٌ جوهرىٌّ يمكن الاعتمادُ عليه هو الثقةُ بالنفس ، والدقةُ فى العمل ، والتحققُ منهُ ؛ حتى تكونَ أحكامُنا صائبةً ، وأمورُنا نافذةً ، وأقدامُنا ثابتة . أما إذا انتفت الثقةُ بالنفس أو الدقةُ فى العمل أو التثبتُ منه ، فالاعتمادُ على النفسِ حينئذ يكون عَبثاً ومن قبيلِ الأحلام .

والاعتمادُ على النفس أمرٌ ضرورىٌّ ، يجبُ أن يُحلَّهُ المرءُ من نفسهِ محلاً رفيعاً فى كلِّ عَمَلٍ يُقْدِمُ عليهِ ، وأن يَنْتفِعَ بقواهُ الشخصيةِ ، ويَثِقَ بقُدرتِهِ على القيامِ بِمَا يحتاجُ إليهِ ، مِنْ غيرِ أن يَلْجأَ إلى سِواهُ ، أَوْ يَعْتَمِدَ على غيرِهِ .

والرجلُ الواثقُ بنفسهِ ثقةً بعيدةً عن الغرور والاستبداد ،

الواثق بقوله وفعله — يستطيع أن يقفَ وحده مُنادياً برأيه ، مبرهناً على سدادِه وصوابه . وَليس من يستقِلُّ برأيه فى أمرٍ من الأمورِ يكونُ مخطِئاً دائماً ، بل قد يكون مصيباً فى رأيه ، وقد يسبق فى آرائِه المجتمعَ الذى يعيش فيه بعشَراتِ السنين ، كأمثالِ المصلحين ؛ فإنهم غالباً يكونون فى وادٍ ، وَالمجتمعُ فى وادٍ آخرَ ، لا يُقدرُ رأيهُم إلا بَعد مماتِهم . وبالمصلِحين الذين يثقون بأنفسهم يَحيا المجتمعُ .

وقد قامَ (دِزْرائيلى) حينَما كانَ رئيساً للوزارةِ بانجلترة بشراء كلِّ ما أمكنَه شراؤه من أسهمِ قناةِ السويس ، فى وقتٍ كَان يُعارضُه فيه مجلسُ العمومِ — وهو يُمثِّل الأُمةَ كُلَّ التمثيل — ومديرُ مَصرفِ انجلترة ، وكانَ بيدِه ما يحتاجُ إليه من المالِ ، ولـكنَّ (دِزرائيلى) قامَ بتنفيذِ فِكرتِه التى كانَ يُؤمِنُ بها ، ولمْ يُفكِّرْ فى مُعارضيه . وقد بَرهنتِ الأيامُ على أنه كانَ أبعدَ نَظراً ، وأصدقَ فراسةً . ويَعترفُ الإنكليز اليومَ بفضلِه ، ويَعُدُّون هذه مأثرةً من مآثِره ، ويَذكرونها له بالفخرِ والإعجابِ .

وَلعلَّك سمِعْتَ قصةَ ذلك البحَّارِ الجرىء (روبنسُن كرُوزُو) ، الذى تحطَّمتْ سفينتُهُ قُربَ شواطئِ أمريكا الجنوبيَّةِ ، فتعلقَ

بلَوْحٍ من الخشبِ ، وَجعَلَ يُصَارِعُ الموْتَ ويُغَالِبُهُ ، حتّى استطاعَ بعد جُهدٍ وَمشقّةٍ أن يصِلَ إلَى شاطئِ إحدى الجزائرِ ، التى لم تَطأْها قدمُ إنْسَانٍ قَبْلَهُ .

نَزلَ الجزيرَةَ ، وَأخذَ يجوسُ خلالَها ، حتى اهْتدى إلى بُقعَةٍ بِهَا كثيرٌ من أشْجارِ الفاكهةِ ، ويَجرى عن كثَبٍ منهَا جدوَلُ ماءٍ عذبٍ ، فعوَّلَ على البقاءِ بقُرْبِهَا ، وَأخذَ يَعْمَلُ فى جِدٍ وَنشَاطٍ ، حتّى بَنى كوخاً جميلاً ، حولَهُ سورٌ من أغْصانِ الأشجارِ ، التى اقتطعَها من غاباتِ الجزيرَةِ ، ليَحْمِيَهُ مِنْ هَجماتِ الوُحوشِ الضَّاريَةِ فى أثْناءِ اللَّيْلِ ، وَصنعَ لنفْسِهِ مقعَداً يجلس عليهِ ، ونَضَداً يضعُ عليهِ الطعَامَ ، وَصِحَافاً مُختَلِفةَ الأشكالِ ، اتخذَها من جُذوعِ الأشْجَارِ ، كما أعَدَّ لنفسِهِ حَشِيَّةً ينَامُ عَليها ، وصنَعَ مِغْزَلا وَمِنسجاً يَنْسِجُ عليهِ ثِيَابَهُ ، وَاقتَطَع منَ الحجَارةِ طاحُونَة يطحنُ عليها الحبوبَ التى استَنبَتَها فى تِلْكَ الجزيرَةِ ، وأخيرًا أعَد لِنَفْسِهِ زَوْرَقاً كبيراً ؛ كى يركبهُ وَيَعُودَ بهِ إلى وطَنِهِ ، بَعد أن عاشَ فى تِلك الجزيرَةِ زَمناً طَوِيلاً بمفردِهِ ، أعَد فِيهِ لِنَفسِهِ كلَّ ما احتاجَ إليْهِ .

ذٰلِكَ مثَلٌ مِنْ أمثِلَةِ الاعتمادِ على النَّفْسِ ، ولَنْ يستطيعَ المرءُ أنْ يَعْمَلَ عَمَلَ (رُوبنسُن كرُوزُو) إلاَّ إذا اعتادَ منْذُ الصِّغرِ الاعتمادَ على نفسهِ ، وقام بِكلِّ ما يستطيعُ القيامَ بهِ ، بدُونِ أن يكونَ كَلاًّ على غَيْرِهِ ، وَعِبئاً ثَقيلاً على من يتّصِلُ بِهِ .

فاعْمَلْ على أنْ تَخدُمَ نَفسكَ بنَفسِك ، واستعْمِل قُواكَ فى تدبيرِ شُئونِك ، ولا تَلْجأْ إلى غَيرِكَ ما دُمْتَ قَادِراً على عملِكَ ، وَأعِدَّ نَفسَكَ للنُّزولِ فى مُعتركِ الحياةِ ؛ كى تخرُجَ إلى المجْتمعِ رَابطَ الجأْشِ ، قَوىَّ العزيمة ، ثابتَ القلبِ ، قَوىَّ الإيمَانِ بنفسكَ .

وإذا مدحْنا الثقةَ بالنفس فإننا لا نمدحُ الإفراطَ فيها ؛ لأنه قد يكون علامة على الضعفِ لا على القوة ، كما لا نمدحُ ضعفَ الثقةِ ؛ فإنه دليلٌ على ضعف الشخصية .

قال « چوستاف لوبون » : « من وَثق بنفسه لا يحتاج إلى مدحِ الناس إياه . ومن طلب الثناء فقد دَلّ على ارتيابهِ فى قيمةِ نفسه » .

الفصل الثانى عشر

١١ — اعتدال المزاج

من العناصر الهامَّةِ المؤثِّرةِ فى الشخصية : المزاجُ . وقد تكلمنا عنه بالتفصيل فى الجزء الثالث من كتابنا « فى علم النفس » . فارجع إليه إن شئت .

وقد اختلفَ العلماءُ فى تعريفِ المِزاجِ ؛ فكدُوجُل يَرى أنه مجموعةُ الآثارِ التى تُحدثها فى الحياةِ العقليةِ التغيراتُ الغذائيةُ والكيمياويةُ التى تَحدثُ باستمرار فى جميعِ أنسجةِ الجسمِ . و (شاند) يقولُ إن المزاجَ هو الشخصية الفِطرية الطبيعية . و (مَكَّن ووِلتُون) يَريانِ أنه هو نتيجة امتزاجِ العناصِرِ المكوِّنةِ للطبيعةِ البشريةِ بنسبةٍ خاصةٍ .

وكلُّ ما نريد أن نقولَه هنا بالإيجاز هو أن الناسَ يختلفون فى أمزجتِهم ، كما يختلفون فى شخصياتِهم ؛ فهذا متفائلٌ ، وذاك متشائم . وهذا سريعُ التأثر ، وذلك بليدٌ لا يَكاد يتأثر . وهذا كثيرُ التردِدِ ، وذلك كثيرُ الإقدام . كلٌّ له مِزاجٌ خاصٌّ وسلوكٌ يختلف باختلاف ذلك المِزاج .

ولكن ما السببُ فى اختلافِ هذه الأمزجةِ ؟ وللإجابة عن هذا السؤالِ يجب أن نذكرَ رأىَ العلماء قديماً ، والعلماء حديثاً ؛ حتى تتضحَ لنا الأسبابُ التى من أجلها اختلفَت الأمزجة ، فنقول :

إن العلماء قديماً حاولوا تقسيم الأمزجة إلى أربعة أقسام : دَمَوِىٌّ ، وصفراوىٌّ ، وبَلْغمىٌّ ، وسَوْداوىٌّ ، وبَنوْا هذا التقسيمَ على السوائل والإفرازاتِ الجسمية[١] ؛ فالشخصُ الاجتماعىُّ المتفائلُ ، الواثقُ بنفسه ، الغيورُ على عمله ، الصافى الذهنِ ، الحادُّ الذاكِرَةِ ، كانوا يعدونه كثير الدَّمِ ، وبعبارة أخرى دَموىَّ المِزاجِ[٢] .

والشخصُ العنيدُ ، السريعُ الانفعالِ ، القوىُّ الإرادةِ ، كانوا يقولون إن لديه كمِّيَّةً زائدةً من الصفراء أو المِرَّة ، ويَدْعُونه صفراوىَّ المِزاجِ[٣] .

والشخصُ الهادئُ الذى يغلبُ عليه الكسلُ ، وتلوحُ عليه البلادةُ ، الذى لا يُبالى ولا يكترثُ كثيراً ، ولا يتأثرُ بسهولة ، كانوا يَظنُّون أن عنده مقداراً من البَلغَم ، ويُسمُّونه بلغميًّا[٤] .

---

(١) The Fluids of the body.
(٢) Sanguine
(٣) Choleric
(٤) Phlegmatic

أما الشخصُ الذى تنتابُه الأحزانُ ، وتلعبُ به الوساوسُ ، وتتقاسمه الهمومُ والمخاوفُ من غيرِ سبب ، ولأقلِّ سبب — فكانوا يَخالُون أن لديه زيادةً فى المِرّةِ السوداء أو الطِّحال ، ويَعُدُّونه سَوْداويًا[١] .

وقد زاد بعضُهم مِزاجًا خامساً وهو المزاجُ العصبىُّ الناشئُ عن وَفرةِ السائلِ العصبىِّ[٢] .

أما المُحدَثون من العلماء فيَرَوْن أن هذا التعليلَ لا قيمةَ له من الوجهةِ العلمية ؛ لأنه مبنىٌّ على الجهلِ بعلم وظائفِ الأعضاء ، وعلى نقصٍ فى المباحثِ العلمية قديماً . وهم وإن أنكروا هذا التعليلَ فى اختلافِ الأمزجة ، لا ينكرون اختلافَها ، ويُسلِّمون بتعدد أنواعها ، ويعتقدون أن هناك أسباباً أخرى لاختلافِ الأمزجةِ كالوِراثةِ ، والمناخِ ، والبيئةِ ، والغذاء ، والمرضِ ، وضَعفِ الأعصاب ، كما يعتقدون أن إفرازاتِ الغُدد لها أثرٌ كبيرٌ فى اختلافِ الأمزجة ؛ فمِزاجُ الشخص يختلف باختلافِ قوة إفرازِ الغُـدد أو ضَعفه . فلهذه

(١) Melancholic (٢) The Nerve fluid

الإفرازاتِ تأثيرٌ كبيرٌ فى الجسم والعقل ، وعنها وعن الأمور السابقةِ ينشأ الاختلافُ فى الأمزجة.

فالمِزاجُ فى رأى المحدَثين يتأثر بالموادِّ الكيميائية وإفرازاتِ الغُدَد المختلفةِ التى يحمِلها الدمُ إلى المخِّ والعضَلات ، لا بوفرةِ الدم ، أو الصفراء أو البلغمِ ، أو السوداء كما يقول القُدامَى من العلماء . ومن هذه الغدد :

١ — الغُدَّتان الخاصتان بالكُلْيتين[1] . ولهما صلةٌ بالانفعالات والعواطفِ ؛ فإذا كان إفرازُهما قويًّا كان الشخصُ سهلَ التأثرِ ، سريعَ الغضبِ . وإذا كان إفرازُهما ضعيفاً كان حليماً بطىء التأثرِ ، قليلَ الغضب .

٢ — والغددُ النكفية وهى غددٌ صغيرةٌ أسفل العنقِ ، ولها صلةٌ بالذكاء ؛ فإذا كانت قويةَ الإفرازِ كان الشخصُ ذَكيًّا ، وبالعكس . ويَرى (مَكْدُوجُل) — وهو حُجةٌ فى علم النفس — أن الضعفَ العقلىَّ ينشأ عن قلةِ إفرازِ الغُدَدِ النكفيةِ أو عن عَدمِ وجودها .

---

(١) Adrenal glands

٣ — وغدةُ تفاحةِ آدمَ ولها صِلةٌ بنشاط الشخصِ ومثابرتِهِ على العمل . وبالتجربةِ رأى بعضُ الأطباء وعلماء وظائف الأعضاء أن للغددِ تأثيراً قويًا فى الإنسان . وقالوا — ونرجو أن تُثبتَ التجاربُ قولهم — إن بالعمليات الجراحيةِ يمكنُ تنظيمُ إفرازِ غُدَّتى الكُليتينِ ، وتغييرُ سلوكِ الشخصِ وطباعِه .

وإذا ثبت أن للغددِ تأثيراً كبيراً فى ذكاء الشخص ومِزاجه ، وجَبَ التفكيرُ فى معالجةِ الضعف العقلىِّ وحِدَّةِ الطبع من الوجهتين: الطِّبيةِ والنفسية معاً . ومجملُ القول أن الشخصيةَ القويةَ يجب أن تحققَ فيها العناصرُ الآتية : —

(١) الجاذبيةُ . (٢) النشاطُ العقلىُّ أو الذكاء .

(٣) المشاركة الوجدانيةُ . (٤) الشجاعة .

(٥) الحِكمة . (٦) التفاؤل .

(٧) الاعتدال وعدمُ التظاهر. (٨) حُسن مَظهرِ الإنسانِ وقوامه .

(٩) قُوة البيان . (١٠) الثقة بالنفس والاعتمادُ عليها .

(١١) اعتدالُ المِزاج .

الفصل الثالث عشر

أنواع الشخصية

الشخصية نوعان : عمليةٌ ، وفكريةٌ ، ولْنتكلمْ عن كُلٍّ منهما بالتفصيل فنقول :

(١) الشخصية العملية

كثيرًا ما يُسألُ الإنْسَان : أيُّهما أفْضلُ : الأمور النظريةُ أم العمليةُ ؟ وبعبارة أخرى أيُّهما أفضل : الأفكارُ أم الأعمال ؟

وجوابُنا عن ذلك أننا لا نَسْتطيع التفضيلَ أو التفرقةَ بين النظَريات والعمليات ؛ فنحن فى حاجةٍ إليهما معاً ، وكلاهُما متوقفٌ على الآخر ، ومُكَمِّلٌ له ، لا ضِدُّه ونقيضُه كما يظنُّ بعضُ السائلين ؛ فالأفكارُ أمهاتُ الأعمال ، ومن الممكنِ اجتماعُهما فى شىءٍ واحد .

وكما أنّ للأمورِ ناحيتين : إحداهما نَظَرية ، والأخرى عمليَّة ، فللشخصية كذلك ناحيتان : نظرية ، وعمليَّة ؛ فالرجلُ مثلاً قد يكون موضعَ الإعجاب ؛ لأفكارِهِ أو لأعماله ، ولو أن الأعمالَ فى النهاية

نتيجةٌ للأفكار. ومع ذلك فقد تغلبُ على الإنسان إحدى الناحيتين: النظرية أو العملية، تبعاً للميلِ والعادة؛ فهذا قد يميلُ إلى الجهةِ العملية، وذلك قد يميل إلى الناحية الخيالية، فتُنَمَّى فيه بطريقة التعودِ هذه الناحية أو تلك.

ولا شكَّ أن الشخصيةَ العمليـةَ التى تَظهَرُ بالعمل والتنفيذ أكثرُ أثرًا وظُهوراً فى الحياةِ العملية من الشخصيةِ الخيالية البعيدةِ عن هذه الحياة. والأولى كممثلٍ يقومُ بتمثيل دَوره عمليًّا عَلَى المسْرَح أمام الناس، والثانيةُ كمَن يقوم بتمثيل دَوره فى الخفاء أو وراء الستار، بعيداً عن الأنظار. فأثرُ الأُولَى أكثرُ وُضوحا وظهوراً من أثر الثانية.

وتتمثَّلُ هذه الشخصيةُ العمليـةُ فى المصلحين وقادةِ العمل والمستكشِفين الذين نرى آثارَهم فى أعمالهم التى قاموا بتحقيقها وتنفيذِها خدمةً للإنسانية. وتَتمثَّلُ الثانيةُ فى الشعراء والفلاسفةِ الخياليّين الذين يقومون بتصويرِ الأشياء وَوَصْفِها؛ فيَغُوصون تارةً فى بحارِ الحقيقة، ويَسْبَحون طَوراً فى عالمَ الخيال، ولا يُنكرُ فضلَهم أحد، ولـكنَّ أثرَهم فى هذا العالمَ المادِّىِّ أقلُّ ظهوراً؛ ففى اليومِ الذى

اُجتاز فيه بليريوت (Bleriot) القناةَ الإنكليزيَّةَ بطائرته كانت الأفكارُ كلُّها ، وأحاديثُ الفخرِ والإعجاب مُوَجَّهةً إليه ، لا إلى العالِمِ الذى فكَّرَ فيها عدةَ سنواتٍ حتى اخترعها .

وَإِننا لا نقصدُ بذلك أن نقلّلَ من قيمة العلماء والمفكِّرين أو قادةِ الفكر ، ولكننا نقصدُ الاعترافَ بأن تأثيرَ رِجالِ الأعمالِ أظهرُ من تأثير رجالِ الفِكْر ، وأننا نَتأثرُ بالأعمالِ النبيلةِ أكثرَ من تأثرنا بالأفكار مهما تَكنْ سديدةً . ولا ننكر أن الفكْرَ والوجدانَ ينتهيان بالعمل .

ومنذ زمنٍ ليس بالبعيد كانت التربيةُ تفكر فى العلم أكثرَ من العمل ؛ فكان الإنسانُ إذا اُخْتُبِرَ سُئل عن « مقدار ما يعرفه » ، أما اليوم فقد تَبدلت الحال ، وانعكسَ الأمر فأصبحت التربيةُ تُعنَى كلَّ العنايةِ بالعمل والأعمال ، وصارتِ الأسئلةُ : « ماذا فعلَ الإنسان ؟ وماذا يستطيعُ أن يفعل ؟ وما مقدارُ ما يَفعل ؟ » .

ولم تكن الجامعاتُ فيما مضى لِتُعنَى بالجانب العمليِّ من الحياة ، ولم تكن لتعملَ على تربيةِ رجال ليعملوا ، بل كانت عنايتها موجهةً إلى تكوين رجالٍ مُثقَّفين حبًّا للثقافة ، معلمين حبًّا للعلم ؛ ليكونوا

كزينةٍ لها أينما وُجدوا فى الأسرة أو فى المجمع الدينىّ ، أو فى المجمع الأدبى . وكان الرجلُ الجامعىُّ المثقَّف لا يُنتظر منه أن يعملَ شيئاً بيده؛ فكان كأداةٍ من أدوات الزينة . وكان المجتمعُ يزدريه ويحتقره إذا حاولَ أن يعملَ عملاً يَدَوياً ؛ أما الأعمالُ اليدويةُ ، وأما الصناعاتُ فكانت خاصةً بالطبقةِ الفقيرة التى تدعَى الطبقةَ العاملةَ . وكان يُظَنُّ خطأً أن هذه الطبقةَ خُلقتْ لتعمل ، أما الطبقةُ الأخرى فَخُلقَتْ لتفكرَ .

وقد انقضَت — ولله الحمدُ — تلك الأيامُ ، وذهبَ ذلك العهدُ ، وصارتِ الفكرةُ السائدةُ أن التفكيرَ غيرُ مقصور على طبقةٍ من الطبقات ، وأن العملَ لاتختصُّ به طائفةٌ دونَ أخرى ، وصار التعليمُ عاماً بين الفقراء والأغنياء على السواء ، لا يمتاز به هؤلاء من أولئك ، وجُعل وسيلةً لإعدادِ الجميع للقيام بواجبهم العلمىِّ والعملىِّ والأدبىِّ فى الحياة . وأصبحت الفرصة — فرصة العمل — سانحةً أمامَ الجميعِ من غيرِ ما تفريق ؛ فالعِلمُ الآن فى هذا العالمَ المادىِّ لا يصلح فى نظر الماديِّين — وما أكثرَهم — لأن يكونَ غايةً مستقِلة ، بل يجب أن يكونَ وسيلةً للعمل .

ولسنا فى شكٍّ مطلقاً من أن العلمَ قوةٌ ، لا ، بل أكبرُ قوةٍ فى يد الإنسان . وهو قوةٌ اليومَ كما كان قوةً بالأمس ، وسيكونُ قوةً إلى الأبد ، ولكننا فى حاجةٍ إلى العلم الذى يؤدِّى إلى العمل ، العلم الذى يمكن تنفيذُه والانتفاعُ به عمليًّا بتحويله إلى عملىٍّ ؛ فالعلم بلا عمل لا خير فيه ؛ مثَلُه مثلُ شجرةٍ بغير ثمر .

هذا هو المقياسُ الذى يقاسُ به العلم ، ويُحكَمُ به على العلوم اليومَ . ولا عجبَ ؛ فبعد أن كان العلمُ يُطْلَبُ للعلم ؛ حبًّا للعلم ذاته ، أصبحنا لا نفكرُ إلا فى الماديَّاتِ ؛ نَسأل عن مقدار ما يمكنُ أن يُستفادَ به عمليًّا فى الحياة من تعلمِ هذا العلم ، أو هذه المادةِ ، وأصبحت العلومُ التى لا تؤدِّى إلى أكلِ الخبز ، أو الخبز والزُّبد ، يُنْظرُ إليها نظرةَ تشكك فى الإقبال عليها . ويَكثر الإقبالُ على العلمِ أو المِهْنَةِ بقدرِ ما يمكنُ أن تُدِرَّه من المال فى أقصرِ وقت .

هذا هو مقياسُ الإقبال على العلم الآن ، وهذا هو الرأىُ السائدُ بين الأكثريةِ من المربين والمتعلِّمين فى الأمم المتمدينة . فالعالمُ أصبح تجاريًّا ، والعلمُ كذلك أصبح يُنْظَر إليه بنسبة ما يستطيعُ صاحبه أن يكتسبه بوساطته من وظيفةٍ أو ثروةٍ أو مركزٍ أو نفوذٍ .

ويكاد هذا العصر المادىُّ يقضِى — أو هو قد قَضى بالفعل — على العالَمِ الروحىِّ وعلى تعلُّمِ العلمِ حبًّا للعلم ، والاشتغالِ بالفنِّ حبًّا للفن . وإننا لا نكرَه ولا ننادى بكرهِ المادة أو احتقارِها ، ولكن يؤلمنا أن تُسيطرَ المادةُ على كل شىء ، حتى على أفكارِنا وتعليمِنا . ولا ننكرُ أن النجاحَ فى الحياةِ هو غايةُ الحياةِ وهو الفوز . وحبَّذا الأمرُ لو أمكننا أن ننجحَ النجاحَ المادىَّ مع المحافظةِ على الروحِ العلميةِ الخالصة ، فنجمع بين عالَمِ المادة وعالَمِ الروح .

فالحياةُ اليومَ نزاعٌ بين القديم والجديد ، بين عالَمِ الروح وعالَمِ المادة ، وهو نزاعٌ لا نهايةَ له ، ولكنهُ ليس نزاعاً عِدَائيًّا ، بل هو نزاعٌ وُدِّىٌّ تكميلىٌّ . لا غرضَ منهُ سوى النجاحِ فى الحياة . ولكنْ ما النجاحُ الذى نَبغيه ؟ وما الرقىُّ الذى نريد الوصولَ إليه ؟ هو نجاح الشعب ورقيُّه روحيًّا وماديًّا ، قوةً ونفوذاً ، علماً وعملاً ، مبدأً وإنسانية .

ولكن هل يمكن الجمعُ بين الروحِ والمادةِ فى آنٍ واحد ؟ ولِمَ لا ؟ إن الإنسانَ يستطيعُ أن يكونَ روحيًّا إلى حدّ ما ، وماديًّا إلى حدٍّ ما ، بحيثُ لا تتغلبُ الروحُ على المادة ، ولا تُسيطرُ المادةُ

على الروح ؛ فيأخذُ من كل منهما نَصيبَه ، ولا يُعنَى بناحية ويهملُ الأخرى .

قال جَلَّ شأنُه : « وابتغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرةَ ، ولا تنسَ نصيبَكَ من الدنيا . » وقال صلى الله عليه وسلم : « اعمل لدنياكَ كأنك تعيشُ أبداً ، واعملْ لآخرتِك كأنكَ تموتُ غداً » وقال : « ليس خيرُكم مَن تركَ الدنيا للآخرةِ ، ولا الآخرةَ للدنيا ، ولكنَّ خيرَكم مَن أخذَ من هذه وهذه . »

والنجاحُ هو الفوزُ بعدَ الجِدِّ والتعبِ ؛ التعب الجسمىّ والعقلىّ ، سواء أكان ذلك النجاحُ فى التأليف ، أم فى نسج القطن وغزله ، أم فى بيعهِ وشرائه ، أم فى صُنع السياراتِ أو الطائرات ، أم فى كتابةِ الروايات . . . الخ .

ومن الضروريات الأساسيةِ للشخصيةِ العمليةِ العلمُ بالشىء الذى تُريد القيامَ به ، والرغبة فى النجاح فيه . ولا فائدةَ من العلم والرغبةِ إذا لم يُصحبا بقوةٍ تنفيذية ، معنوية أو حِسية ، داخليةٍ أو خارجية ، تعمل على التنفيذ .

فكما أن السيارةَ لا تستطيعُ السيرَ إلا إذا كانت مُعَدَّةً للسير تمامَ الإعداد ، وكان بها المقدارُ الضرورىُّ من زيتها ، وكان الطريق مُعبَّداً صالحاً لسَير السيارات ، كذلك الإنسانُ لا يمكنهُ أن يقومَ بعملٍ عظيم إلا إذا كان هناك علمٌ به ، ورَغْبةٌ فيه ، وذكاءٌ وحُسنُ تقدير. لكن المتَّصِفين بهذه الصِّفاتِ فَقدوا صفةً واحدةً من أهمّ الصفاتِ الضروريةِ للنجاح ، تلك هى قوة العزيمةِ والتنفيذ ، فلم ينجحوا فى أعمالهم ؛ لأنهم يميلون إلى كثرة النقد والتحليلِ ، والتشكُّكِ فى كلِّ شىء حتى فى أنفسِهم ، فيمنعهم ذلك الشَّكُّ من رؤيةِ فائدةِ الشىء ، فيترددون فى الإقدام ، ويرجعون إلى الوراء ، فتضيعُ منهم فرصةُ النجاح . والفرصةُ — إذا أتت مرةً — ربما لا تعود مرةً أخرى . فالعزيمةُ الصادقة تُعَد سرًّا عظيما من أسرار الشخصيةِ العمليةِ ، والنَّجاح فى العمل والحياة .

الفصل الرابع عشر

وسائلُ تقويةِ الشخصيةِ العملية

هناك وسائلُ لتقوية هذا النوع من الشخصية نذكر منها ما يأتى :

(١) تحديد الغرض ومعرفة الطريق الموصِّل :

إن تحديدَ الغرضِ فى أىِّ عملٍ من الأعمالِ مع معرفةِ السبيلِ الموصِّل إلى ذلك الغرضِ من أهمِّ الوسائلِ المشجِّعةِ للإنسان على الاجتهادِ فى العملِ ، والسيرِ فيه إلى النهايةِ من غير تردد ، وخاصةً إذا صحِبَ العملَ إرادةٌ قويةٌ ، وثقةٌ به .

فمعرفةُ الغرضِ لها أثرٌ كبيرٌ فى نفوسنا ، سواء أكان ذلك الغرضُ عاديًا أم عظيماً . وإن نظرةً واحدةً إلى العالَمِ تبيِّنُ لنا أن لكلِّ إنسانٍ غرضاً يَسعَى ليُدركَه ، مهما تَختلف هذه الأغراضُ ، ولكن المهمَّ أن يكون الغرضُ محدداً ساميا .

كلٌّ له غرضٌ يَسعَى ليدركَه * والحُرُّ يجعلُ إدراكَ العُلا غَرضَا

فالصيادُ يقف عَلَى شاطئِ البحرِ وعَصاه فى يدهِ ، ينتظرُ بصبرٍ

كبير، وملاحظةٍ دائمة؛ أملًا فى اصطياد السمك، وما فيه من لذةٍ، وإرضاءٍ للنفس. وسائقُ السيارةِ يَسيرُ فى طريقِه وإنْ لاقى فيه من مطرٍ أو ثلجٍ أو ضَباب أو غُبار، رغبةً فى الوصولِ إلى مكانٍ معين. ورُبَّانُ الماخرةِ العظيمة، فى البحرِ الخِضَمِّ، يقود ماخِرَتَه فى خطٍّ مُعين نحو ميناءٍ أو موانٍ معيَّنة، فى جهاتٍ خاصة. وهنا يتمثلُ تحديدُ الغرضِ، ومعرفةُ الطريقِ الصالح، والاستيثاقُ منه، والثقةُ به، والصبرُ والمثابرةُ؛ للوصول إلى الغرض إن لم تحدثْ حوادثُ أو عوائقُ غيرُ مُنتَظَرة. وَإذا تمثلتْ هذه الأحوالُ العقلية فى الشخصيةِ الإنسانيةِ كانت من أعظم القُوَى العمليةِ فى العالَم.

فينبغى أن يكونَ للشخصِ غرضٌ معيَّن من العمل يَسْعَى لإدراكه وتحقيقه بِكُلِّ ما أُوتِىَ من عزيمةٍ، وقوةٍ، ومثابرة، وثقةٍ بالنفس، حتى ينتفعَ بقواه العقلية، ويقومَ بواجبِه فى الحياةِ العملية.

قال (وِرْدِسْورْث)[1] شاعرُ الطبيعةِ من الإنكليز عن الأفراد الذين يسيرون فى الحياة نحوَ أغراضٍ معينة: «إن اجتهادَهم ناشئٌ عن

(١) William Wordsworth (١٧٧٠ — ١٨٥٠ م) شاعر إنكليزى يتمثل فى شعره الإجادة فى وصف الطبيعة وحب الإنسانية.

وازع نفسيّ ، يُنيرُ الطريقَ أمامهم دائما ، فيقدرون جمالَ الطبيعة ، ويعملون بما يَعلَمون ، ويُثابرون على التعلم » .

وبَعْدَ الوصولِ إلى الغرض الأوّل أو المرحلةِ الأولى من الحياة ، يمكن التفكيرُ فى مرحلةٍ أخرى وتحديدُها ، والعملُ للوصول إليها ، وهكذا إلى نهاية الحياة .

قال عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز : « إنَّ لى نفساً تواقةً ، لم تزل تَتُوقُ[1] إلى الإمارةِ ، فلما نِلْتها تاقَتْ إلى الخلافة ، فلما نِلْتُها تاقت إلى الجنة » . وقيل : « ذو الهمةِ إن حُطَّ فنفسُه تأبَى إلاَّ علوًّا ، كالشُّعلةِ من النار يوجهها صاحبُها ، وتأبَى إلاَّ ارتفاعاً » .

(٢) الرغبة فى العمل :

بعد تحديدِ الغرض من العمل يجبُ أن تكونَ هناك رغبةٌ فيه ، وميلٌ إليه ؛ لأنَّ الرغبةَ :

ا — ترفعُ من شأنِ العملِ الذى تقوم به .

ب — وتُؤَدِّى إلى الإقدامِ والنشاط (وهما القوة الطَّبيعية

(١) تاقت نفسه إلى الشيء : اشتاقت إليه .

للشخصية)، وتكون كوازع نفسيّ أو باعث داخليّ ، يستنهضُ هِمَّتنَا ، وَيستحثُّنا على العناية بالعَمل .

جـ — وتُمِدنا بالقوة التنفيذية ، والإرادة الحَقَّة الضروريةِ للوصول إلى أغْراضنا . فالرغبة هى الدافعُ الطَّبيعِىُّ للإنسان على العَمل ، وإن لاقَى فى سبيل ذلك العملِ كثيراً من المصاعبِ والمتاعبِ .

فالرغبة الحقَّة هى تلك القوة الروحيةُ التى توحى إلى العقل القيامَ بالشىء بقوةٍ لاتعرفُ الكلالَ، ولا تقفُ دونَها أىُّ عَقَبة . فإذا وُجدت الرغبة ثم وُجِدت الإرادة ، سَهُلَ الطريقُ مهما يكنْ شاقًّا . والحاجة تفتقُ الحيلة .

فإذا رغبتَ فى معرفةِ صناعةِ غزل القطن ونسجه كَان الذهابُ إلى مَعمل الغزلِ والنسجِ أحبَّ الأشياءِ إليك ، وأخذْتَ تشعر بأنه يجب أن تعرفَ كلَّ شىء يتعلق بالقطن ، وأين يُزرع ، وكيف يُزرع ، وكيف تُتقَى الآفاتُ السماوية ، وما الأحوالُ الجوية التى يتطلبها وكيف يُجنى ، وكيف يوضعُ فى الأكياس ، وكيف يخزن ، وكيف يُرسَل إلى السفُن ، وكيف يُحلَج ، وكيف يُغزل ، وكيف يُنسَج ؟

وإن رغبة (أبراهام لنكولن) فى تحرير العبيدِ يومَ أن ذهبَ مع

بعضِ العمال إلى السُّوق ، فوجد جاريةً تُباعُ وتُشْرَى ، فتألم لبيع الإنسانيةِ وشرائِها الألمَ كلَّه ، فتمنى أنْ لو أُعطِىَ سُلطةً كى يضربَ على الاسترقاقِ بيد من حديد. فأُعطِىَ السُّلطةَ بعد زُهاء ثلاثين عاماً بانتخابه رئيساً لجمهورية الولاياتِ المتحدة بأمريكا — تلك الرغبة جعلتْ من أوائل أعمالِه العملَ على تحريرِ العبيد . وقد أدَّى ذلك إلى حربٍ داخلية ، ولـكنَّ النصرَ كان أخيراً فى جانب (لِنكُولن) . وبذلك يُعدُّ محرِّراً للعبيد ، مُدافعاً عن الإنسانيةِ المظلومة .

وإن الرغبةَ فى الإصلاحِ الاجتماعىّ هى التى جعلتْ (شارلزْ دكِنْز)[1] أكبرَ كاتبٍ ، وأعظمَ مُصلحٍ اجتماعىٍّ بانجلترة فى القرن التاسعَ عشرَ .

وإن الرغبةَ فى شراءِ أسهم قِناةِ السويس بعد التحقُّق من فائدتِها هى التى خلدتْ ذكرَى (دِزْرَائيلى) بين الإنكليز ، وجعلته يعمل بكلِّ ما أوتِىَ من قوةٍ على تنفيذ الشراء ، مع شدةِ ما لقِىَ من معارضةٍ فى مجلس الأمة ، ومن معارضةِ مُديرِ مَصْرف انجلترة .

---

(١) (Charlès Dickens) ولد سنة ١٨١٢ م . وتوفى سنة ١٨٧٠ م . وله منزلة كبيرة فى عالم الأدب الإنكليزى ، ومعظم رواياته حول الفقراء وبؤسهم ، وحول الإصلاح الاجتماعى . وتدين انجلترة له بكثير مما فيها اليوم من مدنية وإصلاح . ارجع إلى ما كتبناه عنه فى كتابنا « أروع القصص » لشارلز دكنز بمكتبة المعارف بالقاهرة .

وإن الرغبةَ فى الأعمال (الميكانيكية) هى التى قادت (إديسون Edison) إلى أن يكونَ أكبرَ مخترِعٍ (ميكانيكى) فى القرن العشرين .

وقد بدأ « تُوماس إديسون »[1] حياته بائعَ صُحُفٍ ، ثم تعلَّمَ طريقَ إرسالِ الإشاراتِ البَرْقيَّةِ وتسلُّمها . وهو مُخترِعُ المصباحِ الكهربىِّ الذى نستضىء بنورِهِ . قيل إنَّه أنفق نحوَ عشرينَ ألفَ «جنيه» فى التجاربِ التى عملَها لاختراعِ هذا المِصباحِ ، وكادَت تضيعُ تجاربهُ بغيرِ ثمرةٍ لولا دأبُه وجَلَدُه وقوةُ إرادَتِهِ وعزيمَتِهِ .

وقيل إنه بَقِىَ مرَّةً فى مَعملِهِ أربعةَ أيامٍ بلَيالِيها لا ينامُ ولا يَستريح إلا قليلا يُتابع تجاربَه، ويُراقِبُ نتائجَها ، ويَقول: «الفوزُ أو الموتُ». وقدْ قُدِّرَ له الفوزُ ، وتَمَّ له اختراعُ هذا المِصباحِ ، فكسبَ الشُهرَةَ والمجْدَ . وقد أفادَ العالَمَ بكثيرٍ منَ المخْتَرَعات غيرِ هذا المصباحِ . والحاكِى الذى نَتَسلَّى به هو واحدٌ من مُخترعاتِهِ .

وسِيرَةُ « إديسون » تَشهد بفَضلِ الدَّأبِ ، وصِدقِ العَزْمِ ، وتَنطِقُ بما يُحقِّقهُ الجِدُّ من الخيرِ والمجْدِ للأُمَّةِ والفردِ .

والأمثلةُ كثيرةٌ لا حصرَ لها .

---

(١) انظر كتابنا المطالعة العربية « القسم القصصى » ج ٢ . للسنة الرابعة الابتدائية بمكتبة المعارف .

فبغيرِ الرغبةِ لا يستطيعُ الإنسانُ أن يقومَ بعملٍ عظيمٍ فى الحياة . فإذا أردتَ القيامَ بعملٍ من الأعمال سواءٌ أكان ذلك العملُ دينيًّا أم اجتماعيًّا ، أدَبيًّا أم علميًّا ، فنيًّا أم حربيًّا فأوْجِد الرغبةَ الصادقةَ وهى كفيلةٌ بالتنفيذ والنجاحِ فى ذلك العمل ، ما دامت تلك الرغبةُ مصحوبةً بالإرادةِ القويَّة ، والعزيمةِ الثابتة .

والرغبةُ نوعان : مُباشِرَةٌ ، وغيرُ مباشِرَة : فالمؤلِّف الذى يؤلِّف كتابًا ، أو يكتبُ مقالةً لصحيفةٍ يومية يجب أن يكونَ تأليفُهُ وكتابتهُ عن رغبَة حقيقيةٍ إذا أراد أن يكونَ لعملهِ قيمةٌ علميةٌ أو أدبية . فالرغبةُ فى العمل هى الشرطُ الأساسىُّ للتقدم والفوزِ فى هذا العمل . ولكنْ هل الرغبةُ وحدَها تكْفِى للنجاح ؟ الحقُّ أنها ربما لا تكفى ، بل ينبغى أن يكون هناك بعضُ التشجيعِ الأدبىِّ أو المادىِّ ؛ لأن المؤلفَ أو الكاتب ربما لا يكتب حبًّا للكتابة فحسْبُ ، بل قد يكتب ليعيشَ ، أو ليحصُلَ على ضروريات الحياةِ أو كماليَّاتها ، فهو ينتظرُ تشجيعاً ، ويجب أن يُشجَّعَ بقدرِ عمله ، وإعطائهِ ما يستحق . وبجانب التشجيعِ يجب أن يتحققَ فيمن يريد النجاحَ — الاستعدادُ للعمل ، ثم القُدرةُ عليهِ .

وحينما توجد الرغبةُ المباشرةُ الطَّبيعيَّةُ فى العمل ، ثم تُصحبُ برغبة أخرى غيرِ مُباشرة كالربح المادىِّ أو المركز الأدبىِّ ، فإن النشاطَ يتضاعف ، والاجتهادَ يستمر ، والعملَ يزداد حسناً ، ودواعىَ النجاحِ تكونُ أقوَى وأشد ؛ لأن الرغبةَ متوافرةٌ من كلتا الناحيتين : المباشِرَة وغير المباشِرَة .

أما المثلُ الأعلَى ففى أن نعمل حبًّا للعمل ، ونؤدىَ الواجبَ رغبةً فى أداء الواجب ، ونقومَ بالشىء من غير أن ننتظرَ جَزاءً ولا شُكوراً . ولكن من حيث إن الإنسانَ إنسانٌ فهو يفكر دائماً فى النتيجة ، وفيما يعودِ عليه من المنفعةِ والمكافأة على العمل . وهذه المكافأةُ نوع من التقدير يشجعه على العمل ، ويَدفعه إلى أدائهِ كما ينبغى وكما يجبُ أن يكون . وكلما كانت المكافأة قيِّمةً زادت الرغبةُ فيها ، وكثرَ التلهفُ عليها ، والعملُ للوصول إليها . ومعظمُ الأعمالِ التى نقوم بها يوميًّا من قبيل الأعمال التى نُؤجَر عليها . ويجب أن نُصَرِّحَ بأنه لولا الأجورُ والمرتباتُ التى يتقاضاها العمالُ والموظَّفون ما قام أحدٌ منهم بعمل .

ولا تكفي الرغبةُ غيرُ المباشرة — كالرغبة فى الأجر — للنجاح فى العمل ، والحصولِ على شخصيةٍ قوية فى ذلك العمل بالظهورِ والتبريزِ فيه ، بل لا بُدَّ أن تُصْحَبَ برغبةٍ طَبيعيَّة ، وميل حقيقيٍّ إلى العمل نَفسِه ، وإلَّا كان مكْروهاً لدى النفس ، تُبغِضه وتنتظر بفارغ الصبر التخلصَ منه ، كالعامل الذى لا يجد لذةً فى عمله ، فيترقبُ انتهاء اليومِ ومجيء موعدِ الانصرافِ بكل ملل . ونحن لا نَبغِى ذلك النوعَ من العملِ الممقوت ، بل نَبغى عملاً مصحوباً بلذةٍ ورغبة وسرور ؛ كى ننجحَ فيه ونُجيدَه ، ونجدَ شوقاً إلى العودة إليه ، ونُظهِرَ فيهِ فَوقاً ومهارةً . ومن الصعب أن تنبغَ فى عملٍ يَكون غيرَ محبوبٍ لدينا .

(٣) الشعور بالواجب : The sense of duty :

من الوسائل التى تساعدُ على التنفيذ ، وعلى تقويةِ الشخصيةِ العملية تلك الصفة الحية وهى الشعورُ بالواجب ، وإجابةُ نداء الضمير ؛ فالإنسان حينما يَشعرُ بوازعٍ نفسىّ بأنهُ يجب عليه أن يفعلَ كذا ، أو بأنهُ يجب عليهِ ألا يفعَلَ كذا ، فإن هذا الشعورَ وحدَه يَرمِى إلى

مَغزًى خُلُقيّ، وَيستدعِى نشاطاً عقليًّا لِفعلِ الشيءِ أو محاربتِهِ ؛ فهو بمثابةِ مؤثِّرٍ داخليّ يُؤَثِّرُ فيه تأثيرًا قويًّا، وإن إجابةَ هذا المؤثرِ أو الباعثِ النفسيِّ خيرُ كفيلٍ لاستنهاضِ الهِمّة، ومُضاعَفةِ العزيمة.

قال (إمَرْسُون)[١] : « إن الإنسانَ إذا اُستحثَّه الواجبُ على أن يقومَ بعملٍ ما، قام به . » وليس الشعورُ بالواجب، أو إجابةُ الضميرِ أو الصوتِ الداخليِّ مقصورًا على طبقةٍ دُونَ أخرى، ولا على جيلٍ من الأجيال، ولا سِنٍّ من الأسنان.

وإذا تذكَّرنا أن الشعورَ بالواجبِ يتضمنُ التهذيبَ[٢] النفسيَّ، وضَبْطَ النفسِ[٣] — أمكننا أن ندركَ العلاقةَ بين الشخصيةِ والشعورِ بالواجب وإجابةِ الداعِى النفسى ؛ فى كلِّ أمرٍ من أمور الحياةِ نجدُ أن هدوءَ البالِ أوراحةَ الضميرِ والاطمئنانَ، ثمرةٌ من ثمراتِ الطاعة، ومراعاة القوانين العلميةِ والفنية. فآثار بدْرَوِسْكى) و (كُرزْلَر) من الموسيقيِّين المعاصِرين، و (تِنِسُون)[٤]،

(١) Emerson : (١٨٠٣ — ١٨٨٢ م.) من أكبر الكتاب الأمريكيين الذى لهم أثر واضح فى الأدب الأمريكى. وله موضوعات قيمة، ومقالات ثمينة مطبوعة، فى كثير من الأمور الهامة.

(٢) Self-discipline.

(٣) Self-control.

(٤) Tennyson (١٨٠٩ — ١٨٩٢ م).

و (وِرْدِسْوِرْث) من شعراء الإنكليز فى القرن التاسعَ عشرَ ، وروحُهم وجاذبيتهم نستطيعُ أن نَشعرَ بها ونُلاحظَها فى جمال الموسيقا ، ورَوْعةِ الشعر ، وتأثيرِ الفنِّ ، ومُلاءمة قوانين العاطفةِ فى الموسيقا والشِّعر ، والقوانين الفنِّية والتهذيبية . وبالشعورِ ، والجِدِّ ، وإرضاء الضمير ، وسلامةِ التفكيرِ قد اُكتسبَ الفنِّيون والأدباء مراكزَهم الروحيةَ فى عالمِ الموسيقا والأدب ، وفى مملكةِ النبوغ والعبقرية .

وحينما نبحثُ فى تاريخ العظماء والأدباء والفنِّيين نجد أن ذَوِى الشخصياتِ الخالدةِ فى التاريخ كانوا من ذَوِى الضمائرِ الحيَّةِ الحساسةِ الذين يُجيبون نداء الضمير ، ويُصغونَ إلى نداءِ الله ، فَيسيرون بِهَدْيه . كانوا يُحِسُّون الواجبَ فيقومون بهِ ، ويعملون على تنفيذهِ . وكثيرًا ما يكون الضميرُ والشعورُ بالواجبِ سبباً فى إنقاذِ الإنسانِ من صُروف الحَياة ، ومن السقوطِ إلى الهاوية ، فلا يكونُ فريسةً للنفس الشريرة . فكل إنسانٍ تُفتَح أمامه السبُل المختلفة ، ولكن الروحَ الطاهرةَ لا تفكر إلا فى الطرقِ الشريفةِ الساميَة ، أما الروحُ

الشريرة فلا تنظرُ إلا إلى الطُّرق الدنيئة ، وبين هذين الطريقين : المستقيم ، والمعوج ، تسير البقيةُ وهى الأكثرية .

وإن الشعورَ بالواجب ، وحُبَّ الفضيلةِ والتمسك بالخيرِ تُكسِب الشخصَ قوةً ورَوعةً ووقارًا ، وتَبعثُ فى نفسهِ الحياةَ ، وَتقودُه إلى الطريق السَّوىِّ ، وَتُعوِّده الصبرَ والمثابرةَ ، وَتُقوِّى الإرادةَ فيهِ ، وَهى التربةُ الصالحةُ التى فيها تَنبُتُ وَتُثمرُ الشخصيةُ القويَّةُ الغنية . قال المرحوم سعد زغلول باشا — وَقد كان يمثل العظمةَ الإنسانيةَ ، والبطولةَ المصريةَ ، والمَثَل الأعلى للشخصيةِ :

« إنَّنى رجلٌ قد وَضَعْتُ تحت تصرُّفِ أُمَّتى عقلى واختبارى وَبيانى ، فإن اُستفادت الأمةُ من عَملى فذلك ما يجعلُنى سعيداً ، وإلَّافهو واجب قد أَخَذْتُهُ على نفسِى، فأنا أقومُ بهِ لأُريحَ ضميرى».

(٤) قوة الوازع الدينى :

إننا فى البحثِ عن الشخصية الإنسانية لا يمكننا أن نَنْسَى الدينَ وأَثَرَه ، والوازعَ الدينىَّ وقوتَه فى التأثيرِ فى حياةِ الإنسان . فكثيرًا ما يُوَاجَهُ الإنسانُ بأزَماتٍ وشدائدَ لا قِبلَ له بها ، ولولا

الثقة بالله والإيمانُ بهِ لجزِعَ وتملَّكهُ اليأسُ ، واستولَت عليهِ الهمومُ من كل جانب . ولكن الوازعَ الدينيَّ هو الذى ينتشله من وَهْدَةِ القُنوط ، ويبعثُ الأملَ فى نفسهِ ، ويُحييهِ من يأسهِ ، ويُنيرُ الطريقَ أمامهُ بعد أن كان مُظلماً ، ويَهديه بَعْدَ الضَّلال ، وَيُسلِّيه عند الشدائد .

فالعنصرُ الوجدانىُّ قويٌّ فى الدين ، يَستحثُّ الشخصَ عَلَى أداء الواجب ، وَإرضاءِ الضمير ، والصبرِ والمثابرةِ — وكلُّها من الصفات الهامَّة فى الشخصيةِ القوية — ويُوحى إليهِ فعلَ الخيرِ ، وَاجتنابَ الشر ، ويَدعوه إلى الحركة وَالعملِ فى الحياة ، وَيُرْشِدُ عقلَه وَوجدانَه ؛ فيعملُ العملَ وَكلُّه أملٌ وثقةٌ بالله . يؤدِّى وَاجبَهُ وَيَتركُ النتيجةَ لخالقهِ . لا يفكرُ فى الماضى لأنهُ قد فات ، وَينظرُ فى الحاضر ، وَيترُكُ المستقبلَ لله يفعلُ ما يشاء . وَبهذه الوسيلةِ يَهدأُ بالُه ، وَيطمئنُّ خاطرُه ، وَيكونُ سعيداً فى الحياة .

قال تعالى : « ومَنْ يَتَوَكلْ على اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » . وقال صلى الله عليه وسلَّم : « لو توكَّلتم على الله حقَّ توكُّلِهِ

لرزقكم كما يرزقُ الطير تغدُو خِماصًا[١]، وتعودُ بِطانًا[٢]. »

وقيل لراهب : مِن أين تأكلُ ؟ فأشارَ إلى فيه ، وقال : الذى خلقَ هذه الرَّحَى يأتيها بالطحين .

ومن السهلِ أن تعتمدَ على الدينيِّين ، الذين يَثِقون بالله تمامَ الثقة ، ويفعلون ما يفعلون ابتغاء مرضاةِ الله . أما الرجل الذى لا دينَ له فلا ضميرَ له ، ولا يمكنُك أن تطمئنَّ إليه أو تثِقَ بهِ .

ومعظمُ المصلِحينَ فى العالَمِ كان الوازعُ لهم فى الإصلاح دينيًّا : أمثال الخلفاءِ الأربعة . والأئمةِ الأربعة ، والشيخ محمد عبده من المسلمين ، و(هِليل)[٣] ، والرَّبانىِّ (عَقِيبة)[٤] من الإسرائيليين ، ومَارتِن لُوثر[٥] ، وكارلَيْل[٦] ، ورَسْكِن[٧] من المسيحيين . فالدينُ هو الذى أمَدَّهم

(١) خِماصاً : جياعاً ، والمخمصَة : المجاعة . (٢) البطنةُ : الامتلاء الشديد من الطعام . بطاناً : ممتلئة من الطعام . (٣) هليل : إمام من أئمة الإسرائيليين كالإمام أبي حنيفة لدى المسلمين . (٤) عقيبة : أحد علماء اليهود المصلحين ، كان يثق بالله ثقة لاحد لها . (٥) Martin Luther : (١٤٨٣ — ١٥٤٦ م) . زعيم ألمانى ، ومصلح دينى . (٦) Carlyle : (١٧٩٥ — ١٨٨١ م) : كاتب إنكليزى ، ومصلح اجتماعى ، وفيلسوف ومؤرخ ، وهو أول من اعترف من الإنكليز لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالبطولة والإخلاص ، فى كتابه : « الأبطال » . ومن أحسن كتبه : « الثورة الفرنسية » .

(٧) Ruskin (١٨١٩ — ١٩٠٠ م .) كاتب إنكليزى ، ومصلح كبير ، ومحسن عظيم ، محب للطبيعة ، والفن الجميل .

بثروةٍ فى العقل ، وقوةٍ فى الروح ، وعظمةٍ فى الخُلُق ، فاثَّروا فى جيلهم ، وفى الأجيال التى أتَتْ من بعدهم .

ولسنا اليومَ فى حاجة إلى رجال يقومون بالواجب فحَسْبُ ، ولكننا فى حاجة إلى رجال يمكنهم أيضاً أن يحملوا غيرَهم على القيام بهِ . قال أحدُ الفلاسفة : « كنْ كما شاء القدرُ أن تكون : مسيحيًا أو مسلماً أو إسرائيليًا أو بوذيًا ، ولكن لا تنسَ أنَّ لكَ ديناً تنزع إليهِ ، وعقيدةً تحرِصُ عليها ، وواجباً نحو اللهِ يجب أداؤه » .

الخلاصة :

وصفوة القول أننا فى الشخصيةِ العملية نحتاج إلى ما يأتى :

(١) أن يكون لنا غرضٌ معيَّن فى الحياة ، نعملُ للوصول إليهِ ، بحيث نعتمدُ على أنفسِنا ، ولا نكونُ صَدًى لأصوات غيرنا ؛ نكرِّر ما يقولون ، ونفعلُ ما يفعلون . ولا نتأثرُ بهؤلاء المترددين الذين لا يعرفون لهم غرضاً فى الحياة ، ولا يَثْبُتون على حال . ولا نَشغَل أنفسَنا بكثير من المشروعاتِ التى لا يمكن تنفيذُها ، بل نَكْتفى بمشروع واحد ، فى وقت واحد ، ثم نعملُ على إجادتهِ وتنفيذِه ، ثم الابتداء بغيره وهكذا .

(٢) أن يكون لدينا حبٌّ شديد لأعمالنا، ورغبةٌ كبيرةٌ فيها، ونَعملَ عَلَى ألاّ نفقدَ تلك الرغبةَ فى العمَل، وعَلَى تهذيبها ومضاعفتِها.

(٣) الشعور بالواجب والقيامُ به فى الحال عَلَى أكملِ وجه، من غيرِ تأخيرِ عملِ اليوم إلى الغد، وبدونِ تفكير فيما سنحصُل عليه من الجزاء عند القيامِ بالعمل، بل نجعلُ الجزاء أمراً ثانويًا، ونؤدِّى العملَ لا لشىء، إلا لأنه يجبُ أن يؤدَّى، ونَثِقُ بغيرِنا كما نَثِقُ بأنفسنا، ولا نهزأُ بالمُثُلِ العُليا التى يتخذها سِوانا.

(٤) قوة الوازعِ الدينىِّ مع التمسكِ بالدين. بحيث لا نفكرُ فى الماضى، ونعملُ عَلَى الانتفاعِ بالحاضر، ونقومُ بواجبنا كما ينبغى، ونترك المستقبل لله. وبهذهِ الوسيلةِ نستريحُ، وتستريحُ نفوسُنا، ونكُونُ سعداء فى حياتنا.

الفصل الخامس عشر

(ب) الشخصيةُ الفكريةُ أو الخُلُقية

بعد أن تكلمنا عن الشخصية العملية نريد أن نتكلم عن الشخصية الفكرية أو الخُلقية ؛ فالفكرُ هو مَصدرُ الجاذبيةِ والقوةِ الشخصيةِ للإنسان . وأقوالُ الإنسانِ وأفعالُه تتوقفُ عَلَى ما يفكر فيه وما يَشعرُ به فى روحِه الحقيقى . وَتظهر أفكارُ الآنسانِ فيما يقوله وما يفعله . وما أعمالُنا فى الغالب إلا مَظاهرُ خارجيَّةٌ لأحوالِنا الداخلية ؛ ففى العملِ الإنسانىِّ تبدُو الشخصيةُ العمليةُ والشخصيةُ الفكريةُ للإنسان ؛ فالرجل الفنِّىُّ مثلاً يُعبِّرُ بالصوتِ أو الرسمِ أو الشكلِ أو اللون عن الأفكار التى يفكر فيها ، والمُثلِ العُليا التى يُدركها بعقله .

وَمن الخطأ أن نظنَّ أن كلَّ ما نحتاجُ إليه للمهارة فى الموسيقا والحفر وَالرسم مثلاً هو معرفةُ القواعدِ الأساسية لهذه الفنونِ ؛ فالمعرفةُ وَحدَها لا تكفى ، بل لا بدَّ من أن تُصحَبَ بمقدارٍ كبير من الروح الفنىِّ ، والميل الفطرىِّ .

وبالتعلّم وَالتربيةِ وَالتهذيب مع الميلِ وَالرغبةِ وَمُحاكاةِ الفنّيين ، وَالتمرّنِ وَالمثابرةِ يمكن كسبُ المهارةِ الفنية .

ومن الواجبِ تربيةُ الوجدانِ والفكرِ والخيال والإرادةِ وإحياؤها بالاتصال دائماً بقادَةِ الفكرِ فى الماضى والحاضر .

وإن الشخصيةَ الفكريةَ هى التى تُكسِبُ العملَ قوةً جاذبية . وفى العمل تتمثلُ روحُ صاحبه وأفكارُه وأخلاقُه . وليست الشخصيةُ الفكريةُ مقصورةً عَلَى طبقةٍ دون أخرى ؛ فكما تكونُ بين الأغنياء تكونُ بين الفقراء ، ولكنها تختلِفُ قوةً وضعفاً من غير نظرٍ إلى طبقةٍ أو جنسية .

وقد وصفَ الشاعر الإنكليزىُّ « رُوبَرْت برَوْننج » شخصيةَ امرأةٍ فقيرة ، سعيدةٍ قانعةٍ تُدعَى « پيبا » فى قصيدته « پيبا تمرّ » . وفيها يصفُ هذه الشخصيةَ الفكرية ، والسعادة الفطرية ، والروحَ القوىَّ فى « پيبا » ؛ تلك المرأةِ العاملة الفقيرة التى تشتغل طولَ عامِها فى غزلِ الحرير بمصنع من مصانع (أسُولُو) لتكسِبَ قوتَ يومها ، وتعيشَ معيشةَ الكفافِ . وفى اليوم الذى تجعله للراحة ، تخرج

« بِيبا » والسعادةُ تبدو عليها ؛ تُغنِّى أُغنِيَّتَها العَذبةَ الجميلةَ ، التى تتمثل فيها تلك الروحُ السعيدة :

« نحن الآنَ فى فصلِ الربيع ، فى الصباحِ ، اللهُ فى ملكوته ، والعالمُ جميل » .

ففى تلك المرأةِ الفقيرةِ تتمثل تلك الروحُ القوية ، السعيدةُ فى فقرها ، السعيدةُ فى عملِها المُضْنِى ، الراضيةُ بالكَفاف ، الهانِئةُ بحياتها وهى مَثَلٌ للروحِ السامِى ، والعَظمةِ الفكرية ، والشخصيةِ القوية ، تَستطيع أن تؤثرَ فى غيرها ليرضَى رِضاها ، كما يؤثرُ عظماءُ الرجال وشُجعانُهم فى غيرهم من ناحيةِ العظمةِ والشجاعة . وَبينَ الفقراء من الفلاحين أمثلةٌ كثيرةٌ للرِّضا والقناعةِ فى الحياة .

والروحُ القويةُ قد تجدُها هنا وَهناك ممثَّلةً فى كلِّ مدرسة ، وَفى كل وسط ، فى فردٍ هو الرئيسُ الذى يُوحِى إلى غيره أفكارَه وأَخلاقَه ، ويُؤثِّر فى المتصلين به تأثيراً كبيراً . وَإن وجودَ تلك الروح القويةِ فى رياسةِ أىِّ عملٍ من الأعمال يَكفِى أن يسيرَ هذا العمل بكل هدوء ونجاح . وإذا اختفتْ تلك الشخصيةُ وهذه الروحُ من الرياسةِ

أبتدأ سوء التفاهم ، وكَثُرت المنازعاتُ والمشاجراتُ والتحزُّباتُ والمؤامَرات ، فيختلُّ نظامُ العمل ، ويتحققُ الإخفاقُ .

فالرئيسُ قد يكون ضَخمَ المرتَّبِ ، قليلَ العمل ، فنظنُّ أنه لايستحقه لأنه لا يتكافأُ مع العملِ الذى يقوم به . ولكننا نقول: إذا كان الرئيسُ قويَّ الشخصيةِ كان وجودُه وحدَه كافياً لإيجادِ روح فى ذلك العمل ، ووضع نظامٍ أومقياسٍ يسير عليه الجميع . ومن أجلِ هذه الشخصيةِ ، وتلك الروحِ القويةِ ، والأخلاقِ القويمة ، يَستحقُّ ذلك المرتبَ الضخمَ ، لا من أجلِ مقدارِ ما يقومُ به من العمل .

والشخصيةُ القويةُ بأفكارها وأخلاقِها لا تَستدعِى جَلبةً ولا ضوضاء ، ولا تَدعو إلى طَبلٍ وَلا زَمْر . وإذا بحثنا وجَدْنا أن القُوَى العظيمةَ فى الطبيعةِ هى تلك القُوَى الهادئةُ التى تعملُ ، وَتعملُ كثيرًا ، ولا تسمعُ لها طنيناً . وَمن السهل وجودُ الهدوء وَالرَّزانةِ حتى فى الحياةِ المضطربة .

الفرقُ بين الشخصيتين العَمليةِ والفِكريةِ

بعد أن تكلمنا عن الشخصيتين العَمليةِ والفكريةِ نريدُ أن نَذْكرَ الفرقَ بينهما ، فنقول : إن الأولَى تُوجَّه قوتُها نحو عملِ الأشياء العظيمة ، فى حينِ أنَّ الثانيةَ تُصرَفُ قوتُها فى أن يكونَ الإنسانُ قويًّا فى روحِهِ ، عظيماً فى خُلقه . وإن العالمَ الذى نراه بما فيه من مدنيةٍ وحضارةٍ وتقدُّمٍ فى العِلم والاختراع مَدِينٌ لتلك الشخصياتِ القويةِ التى فكرتْ وتخيَّلتْ وجرَّبتْ ونفَّذتْ .

وقد يُظَنُّ أنه لا أثرَ للشِّعرِ والفلسفةِ والفنونِ الجميلةِ فى الأعمالِ الهامَّةِ العظيمةِ فى الحياةِ ، والحقُّ أنَّ لها أثراً كبيراً فى تلك الأعمال ؛ لأنها لا تُزوِّدُ الشخصَ النشيطَ العاملَ بالمُثُلِ العُليا فَحَسْبُ ، ولكنها تَبُثُّ فيه أيضاً القوةَ والنشاطَ والروحَ الضروريَّ لتنفيذِها والوصولِ إليها .

الصفاتُ التى يجب أن تتحقَّقَ فى الشخصية الفكريةِ أو الخلُقية

هناك صفاتٌ تُعدُّ عناصرَ للشخصيةِ الفكريةِ الصامتةِ ، تلك هى :

(١) الهدوء العقلى .
(٢) الرضا بالحياة مع العمل .
(٣) حُسْنُ الطبع .

ولنشرحْ كلاً منها فنقول :

(١) الهدوء العقلى :

يُرادُ بالهدوء العقلىِّ اطمئنانُ البالِ ، وهدوءُ الخاطر ، وعدمُ التفكيرِ فى أشياء تؤدِّى إلى القلَقِ أو الاضطرابِ النفسىِّ . وهذا الهدوء قد يكون فِطريًّا ناشئاً عنْ طبيعةِ المِزاج ، وقد يُكتَسَبُ بالتربيةِ والتهذيبِ ، وضبطِ النفس ، وضبطِ العواطف ، والوِجدانات التى تتأثر بالأحوالِ الخارجية للحياة . والخوفُ أكبرُ عدوٍّ مُزعِجٍ للعقل ، وأقوى سبب فى الاضطراب العقلىِّ . وما دام العقلُ متأثراً بالمخاوفِ فالهدوء محال .

وقد يَنشأُ الاضطرابُ عن الغيرةِ أو الحِقد ، أو عن طلَبِ المحال والتعلقِ به ، نعم يجبُ أن تكونَ آمالُنا كبيرةً ، ولكن يجب أن يكونَ من الممكنِ تنفيذُها[1] . وقد ينشأ الاضطرابُ العقليُّ عن كثرةِ الرغباتِ التى لا نهايةَ لها ؛ فالإنسانُ منا يريدُ أن يذوقَ الحياةَ ، ويتمتعَ بما فيها من لذّاتٍ فى لحظةٍ واحدةٍ ، من غير تفكيرٍ فى تركِ شىء للتمتُّع به فى المستقبل . يريد أن يَقطِفَ الحياة كما يقطفُ عنقودَ العنب ، وليْتَهُ ينتفعُ بما يقطفُ ؛ فقد يَضْغَطُ العنقودَ لشدةِ حرصهِ فيُتلفُه ، ويبقَى جائعاً كما كان من قبلُ . وإن كثرةَ الرغَباتِ لا تتركُ أثراً للمسرّاتِ القلبية ، وكثيراً ما تؤدّى إلى التألمِ أو الحِرمان ؛ فالحريصُ محرومٌ لو بلَغَ الرزقُ فاه ، لولّاه قفَاه ، كما قال بديعُ الزمان الهمذانى[2] .

---

(١) قد صرّح (وليام هَازْلِت) : William Hazlitt (١٧٧٨ — ١٨٣٠ م) . الكاتب الإنجليزى المعروف بقوة النقد ، وقد حضرته الوفاة ، بأنه عاش سعيداً فى نفسه . ولكن القارئ لتاريخ حياته يجدها مملوءة بالأحزان ، فقد كان يتأثر ويهيج ويثور لأقل شىء ؛ فكانت حياته تتغير تغير الجو فى البلاد الإنكليزية ؛ لا يثبت فيها الجو على حال . وكان يعرف أنه مكروه لدى معاشريه ، ولا يدرى لذلك سبباً . أما السبب فقد كان سرعة تأثره ، وعجزه عن ضبط نفسه ؛ فنفَرَ منه عارفوه ، مع أنه كان كريماً مخلصاً ، أديباً ذكيا .

(٢) ولد سنة ٣٥٨ هـ . وتوفى سنة ٣٩٨ هـ . وهو كاتب من كتاب العربية فى القرن الرابع الهجرى . ونثره خير من شعره . وهو أول من اشتهر بكتابة المقامات ، وله ولع كبير بالمحسنات والزخرفة اللفظية والبديعية .

(٢) الرضا بالحياة مع العمل :

ليس مَعنَى الرضا أن يقبلَ الإنسانُ كلَّ شيء كما هو، وَلو كان خطأً ؛ فهذا يُعد ضَعفاً وجُبناً ؛ بل معناه أن يكون الإنسانُ حيًّا ، يفعل ما يجبُ أن يُفعَلَ ، ويَرضَى بما يجب الرضا به . ويحتجُّ على ما ينبغى الاحتجاجُ عليه ، ويرُدُّ على ما يقتضِى الردَّ . هذا هو الرضا ، وهو معنى الحياة . وفى اللحظةِ التى ينقطعُ فيها الردُّ أو الاحتجاجُ تَنقطع الحياة ، ويتلوها الموتُ والفَناء . أما الرضا المصحوبُ بالكسلِ والخمول فليس بِرِضاً ، وإنما هو الموت فى الحياة . فالرضا بالحياة يجب أن يُصْحَبَ بالجِد والعمل والمثابرةِ مع الاقتناعِ بما يجب الاقتناعُ به . وفى البيئةِ والحياةِ أمورٌ بَرْهنت التجاربُ على خَطَئِهَا . فهذه يجبُ ألا نقتنعَ بها ، بل نعمل بكل قوة على علاجِها وإصلاحها ، وإلَّا وقفَ العالمَ فى مكانه ، وتأخَّر الفكرُ والحضارة .

وينبغى أن نقتنعَ القناعةَ التى بها تستريحُ نفوسُنا ، ونكون سُعداء ، بحيث نَرْضَى من جهة ، ونعملُ للرقىِّ والكمال من جهة أخرى . وتتمثلُ تلك الروحُ الراضيـة « فى الروح العظيمة بالكوخ الصغيرِ » .

ألا ترى البدوىَّ فى بيتٍ من قطعةِ خيشٍ ، لِباسُه شَملةٌ[١] من وَبرٍ أو شعرٍ ، وطِيبُه القَطِرانُ ، وحلىُّ زوجتِهِ الودَعُ ، وثمارُه المُقْلُ[٢] وصيدُه اليَربوعُ ، وهو فى مَفازةٍ[٣] لا يُسمعُ فيها إلا صوتُ بومةٍ ، وعواءُ ذئبٍ ، وهو قانعٌ بذلكَ ، مفتخرٌ به ؟ .

وكان عيسَى عليه السلامُ يقول : « الشمس فى الشتاءِ جَلالى ، ونورُ القمرِ سِراجِى ، وبَقلُ البريَّةِ فاكهتى ، وشعرُ الغنمِ لباسى ، أبيتُ حيث يُدرِكنى الليلُ ، ليسَ لى ولدٌ يموت ، ولا بيتٌ يخربُ ، أنا الذى كبيتُ الدنيا على وجهِها . »

ومن الخطأ أن ينتظرَ الإنسانُ المحالَ ، أو يطلبَ أشياء ينبغى ألا يُجابَ إليها . ومن العيوبِ التى كانت تُؤخذُ على (جِيتَه)[٤] الفيلسوفِ الألمانىِّ أنه كان يُعارضُ ولا يقنعُ حتى بالأمور التى لا مفرَّ منها ، وليس منها بدٌّ . وذلك ناشئٌ عن العجز عن ضبط النفس ، وهو نقصٌ خُلُقىٌّ شائع . وما الفائدةُ من طلَب المحال ؟

---

(١) الشَّملةُ : كِساءٌ يُشتَملُ به . (٢) المُقْل : ثمرُ الدَّوْم (٣) صحراء
(٤) Goethe (١٧٤٩ — ١٨٣٢ م .) : هو شاعر وفيلسوف ألمانىّ ، له شهرة ذائعة بين فلاسفة العالم ، وعلماء الطبيعة .

إن عدَم الرِّضا لن يُقرِّبَنا من تحقيق رَغباتِنا ؛ لأنها رغباتٌ يستحيلُ تنفيذُها ، ولا يمكنُ الوصولُ إليها . ولو حُدِّدتِ الآمالُ والأحلامُ ، ثم عمِلنا بجِدٍّ وطيبِ خاطر ، ونفْسٍ مستريحة ، فمن الممكن إدراكُ هذه الآمالِ ، وتحقيقُ تلك الأحلامِ ، بالوصول إليها أو إلى ما يقرُب منها .

فليس من الحكمةِ أن نُحْزِنَ أنفسَنا ، ونحْرِقَ قلوبَنا ، فى سبيل أحلامٍ لا يمكن تحقيقُها . فنحن لا نريدُ قناعةً تُصحَبُ بالضعف أو الإهمال ، كما لا نريد جشَعاً يؤدِّى إلى القلقِ الفكرىِّ ، والاضطرابِ العقلىِّ ، والألمِ النفسىِّ . ولكننا نريد قناعةً تُؤدِّى إلى السعادة ، وتستدعِى العملَ ، وتتطلبُ المثابرةَ فى سبيل الرقىِّ المستمر ، مع راحة الضمير ، وهدوءِ البال . وبهذه الوسيلةِ تكونُ حياتُنا هادئةً سعيدةً مملوءةً بالثقة والأمل . وما الحياةُ إلا حُزْمَةٌ مكوَّنةٌ من عيدان صغيرة . وللوصول إلى هذه الحُزمَةِ الكبيرةِ يجب أن نحصلَ أولاً على العيدانِ الصغيرة .

قال « اللورد أڤ بَرى » فى كتابه : « مسرَّات الحياة[1] » : « كلُّ من يسعَى للنجاح فى الحياة ينالهُ ، ولكنه لا يصل إلى كلِّ ما يتمنَّاه لنفسه . إن الإخفاقَ الشريفَ خيرٌ من الفوزِ الدنىء . ولعَمرى إن الإنسانَ إذا حاوَلَ وأخفَقَ ، لا يخسِرُ شيئاً مطلقاً إلا إذا تولاَّه اليأس ، ودخل فى قلبه القُنوطُ . وإذا لم نحصل على مرادِنا مرةً فلا يدعو ذلك إلى قطعِ الآمال » .

وقال « مارك توين » : « حافِظْ عَلَى آمالِك ؛ فإنها إذا ذهبَتْ تركتْكَ هامِداً بغير حياة » .

وقال « بيكُون » : من يَسْعَ وَيتيقظْ يُبصِر الحظَّ ؛ فإنه (أى الحظ) — وإن كان ضريراً لا يُبصِرُ — لن يفوتَنَا ، ما دامت تُبصِرهُ عُيونُنا .

(٣) حسن الطبع أو البشاشة ورُحب الصدر :

إن للبشاشة أثراً كبيراً فى الشخصيةِ الفكريةِ أو الخُلُقية ، وتنشأ عن ضبطِ النفس ، وحُسْنِ التفكير ، وسلامةِ الأعصاب ،

---

(١) Pleasures of Life

واعتدالِ الصحة، والنجاح فى الحياة، ورقىِّ البيئة. أما سوءُ الطَّبع المصحوب بضيق الصدْرِ، فينشأ عن ظلام الفكر، أو شدةِ تأثرِ الأعصابِ، أو ضعفِ الصحةِ، أو الإخفاق فى العمل، أو تأخرِ البيئَةِ، أو عنها كلها مجتمعة.

ومن السهلِ معالجةُ ذلك النقصِ بالنصح تارةً، ومقاومةِ النفسِ تارةً أخرى، والاتصالِ كثيراً بالمُثُلِ العليا فى الأخلاق، والعملِ دائماً على مراعاةِ شعور الناس، والمحافظةِ على روحِ الصداقةِ مع الأصدقاء[١].

ومن مظاهرِ قوةِ الشخصيةِ الفكريةِ أن تتغلبَ على عاطفتِك، وتشاركَ النَّاسَ فى سرورِهم لنجاحهم فى أعمالِهم، مهما تكُنْ فى دياجيرِ[٢] الشقاء، وفى غياهِبِ[٣] البؤسِ، متمثلاً بذلك الرجل

---

(١) وقد قيل عن (السير وُلتَر سكُوت)، الكاتب الأسكتلندى العظيم: إن شخصيته كانت تتمثل فى حسن طباعه، ومتانة أخلاقه، وشدة صبره، والنظر إلى كل إنسان يعرفه أو يتصل به نظرة كلها عطف، نظرة الأب الشفيق إلى الابن البار، نظرة تدل على قدره للإنسانية، وحبه لغيره من بنى الإنسان.

(٢) الديجور: الظلام، وليلة ديجور: مظلمة.

(٣) الغيهب: الظلمة.

الضالِّ الشريدِ فى العالَمِ ؛ تطردُه تلك البلدةُ فينتقل إلى أخرى ، وهو يغنِّى تلك الأغنيَّةَ :

« أيتُها الحياة ! ما أجملكِ ! وما أجملَ الليلَ والنهار ، والشمسَ والقمر ! هواءٌ عليل ، وسماءٌ صافية ، وحياةٌ عذبة . ما أحلَى الحياةَ ! الحياة هنا إلى الأبد » !

وهل هنا من هو أسعدُ نفساً ، وأقوى رُوحًا من ذلكَ الشريدِ الطريد ، الذى يبتسمُ للحياةِ البائسة ، وينظرُ إليها تلكَ النظرة السارَّة ؟

الفصل السادس عشر

مُضعِفاتُ الشخصيةِ

هناك أشياء كثيرةٌ تؤدِّى إلى إضعافِ الشخصية ، وتُعَدُّ عائقاً لها ، منها :

(١) انتقال الشخص على غيره :

وذلك بمُحاكاةِ غيره فى أقواله وأفعاله ، وحركاتِهِ وسكناتِهِ وتفكيرِهِ ، بحيث يَصيرُ الإنسانُ صورةً مقلِّدَةً لا شخصيةَ لها ، ولكنها متأثرةٌ بشخصية غيرها .

(٢) التأثر بالعادات والتقاليد :

فالرأى العامُّ كثيراً ما يكون مصيباً ، وكثيراً ما يكون حسَناً ، ولا نستطيعُ أن ننكرَ ذلك . ولكننا نريدُ أن يكونَ الرأىُ العامُّ بمثابةِ القائدِ المرشد ، لا بمثابة القائدِ المستبدِّ ، الذى يتحكمُ فى الأفراد ، فيُضِلُّهم أحياناً ، ويقُودُهم إلى حيثُ يبتعدون عن الحياة ، وينفصلون عن حقائِقها ، وينقطعون عن العالمِ انقطاعَ عَجَلاتِ القطارِ عن

القاطرةِ الأماميةِ التى بها يسيرُ القطارُ ، ويتصلون بعالمٍ آخرَ هو عالمُ الموتِ ، أو عالمُ الحقائقِ الميتة التى فَقَدَتْ كلَّ حياة .

فنحن نريد احترامَ العاداتِ ، ونطالبُ باحترامِ التقاليد ، وتعليمِ الأطفالِ احترامَها ، وتعويدِهم تقديسَ الرأيِ العام . ولكننا نريد مع ذلك أن نعودَهم التفكيرَ بأنفسِهم ، والاستقلالَ بالفكر ؛ حتى لا يكونوا عبيداً لغيرِهم فى آرائهم ، كما نعودهم الخضوعَ للحق ، والانقيادَ لما تُمليه عليهم عقولُهم وضمائرُهم ؛ كى يُحافظوا على شخصياتِهم . فالشخصيةُ لا يمكنُ أن تنموَ فى قفصٍ من حديدٍ لا يجدُ فيهِ الطفلُ حريةً فى الرأى ، وحريةً فى التفكير .

وفى حدودِ العاداتِ والتقاليدِ يجب على كلٍّ منا أن يكوِّنَ له رأياً ، وأن يَقبَلَ من الآراءِ ما أثبتَتْه التجربةُ والبراهينُ ، ويتمسكَ بالصواب ، ويتركَ ما يتبيَّنُ خطؤه . ومن المحال أن نَضِلَّ الطريقَ المستقيمَ إذا أُسِّسَ الرأيُ العامُّ على الحكمةِ ، والعقل ، والصوابِ ، والمصلحةِ العامة .

أما العاداتُ والتقاليدُ الدينيةُ المتصلةُ بالدينِ القويم فيجب أن

تُحْتَرَمَ وتُؤْخَذ كما هى ؛ لأنها تتفق مع العقل والمنطق ، ولو أننا ربما لا نصلُ إلى إدراكِ الحقيقةِ أو السرِّ أحياناً ؛ لأن التفكيرَ الإنسانىَّ محدودٌ ، ولو فكرنا فى الأمورِ الدينيةِ لوجَدْنا أن لكلِّ أمرٍ حكمةً أو سرًّا ربما لا ندركهُ . فتهذيبُ الشخصيةِ لا يتنافى مطلقاً مع مراعاة الروح والتقاليد الدينية .

(٣) ومن الأشياء التى تحكم فى الشخصية :

التمسكُ بالأفكار التى يقرؤُها الإنسانُ فى الكتب العادية . وجديرٌ بالإنسان أن يقرأ ، وأن يقرأ كثيراً ، ثم يُحكِّمَ عقلَه ، ويأخذَ الحسنَ ، ثم يتركَ القبيحَ . ويجب ألا يعتقد كلَّ ما يقرأ ، ولا يصدقَ كلَّ ما يقال ، كما يعتقدُ ويصدق كثير من القراء . إننا لا نريد ذلك الكسلَ العقلىَّ ، والخمولَ الفكرىَّ ، بل نريد أن نفكرَ فيما نقرأ ، ونستعملَ عقولَنا ، فلا نتقبل كلَّ بضاعةٍ تُعْرَضُ علينا ولو كانت مُزْجَاةً . ولسنا بذلك نقلِّلُ من قيمةِ القراءةِ والاطلاع ، أو من قيمةِ من يقرءون ويَطَّلعون ، ولكننا نودُّ أن يكونَ لكلٍّ منهم شخصيةٌ مستقلةٌ فى التفكير ، فيفكر فى كل شىء ، وفى كل كتاب يقرؤه ؛ فنحن لا نريد القراءة لحسبُ ، ولكننا نريد أن نقرأ ،

ونفكرَ فيما نقرأ ، بحيثُ يكونُ تفكيرُنا أكثرَ من قراءتِنا ، كي نصلَ إلى حديث جديد ، أو رأيٍ طريفٍ جيِّد ، بحيثُ نَزِنُ كلَّ فكرةٍ ، فتكثرُ الآراءُ السديدةُ ، والأفكارُ الناضِجَة . وبهذه الوسيلةِ تظهرُ شخصياتُنا الحقيقية ، وتبدو أنفسُنا كما هى .

ومما قاله (جَنْ جاك رُوسُّو[1]) عن نفسه : « إننى لا أشبه أحداً آخرَ عرفتُه . ومع ذلك فإننى إذا لم أكنْ أحسنَ ، فإنى مختلفٌ عن غيرى على الأقل » . فأساسُ الشخصيةِ هو فى وجودِ شىءٍ خاصٍّ فى كلٍّ منا يُميزه من غيره . وقد يخجَلُ الإنسانُ أو يعتذرُ إذا وجد نفسه يختلف عن غيره . وليس فى حاجةٍ إلى الخجل أو الاعتذار ، ولكنه فى حاجةٍ إلى الشجاعةِ فى أن يَرى نفسَه مختلفاً عن غيره ، ويرى غيرَهُ يختلف عنه فى أمور هى أساسُ الشخصية ، ومظهرٌ من مظاهر النفسِ الحقيقية . وفى تربيةِ الشخصيةِ يجب أن نُعوِّدَ الطفلَ أن يظهرَ بحقيقته كما هو ، من غير رياءٍ أو تظاهرٍ أو تغييرٍ للحقائق ، ونفهِّمه حينما

---

(١) Jean Jacques Rousseau (١٧١٢ — ١٧٧٨ م .) هو مرب من أكبر فلاسفة التربية وعلماء الاجتماع فى القرن الثامن عشر ، وبعد كتابه : (إميل) أكبر ذخيرة فى التربية ، يرجع إليها المربون فى كثير من الأمور حتى يومنا هذا . وهو من الكتب التى ترجمت إلى معظم اللغات الحية ، وعسى أن يترجم إلى اللغة العربية ترجمة دقيقة . ويمكنك أن تطلع على آراء (روسو) فى كتب تاريخ التربية إذا شئت .

يكبرُ أن العلمَ يتطلب هدوءاً وتواضعاً ، وإخلاصاً ، ومعرفةً للنفس ، واحتراماً لها ؛ احتراماً بعيداً عن العُجْب والكِبْرِ والكذب ؛ احتراماً مبنيًّا على أداء الواجبِ على الوجهِ الأكمل . وإذا اعتاد الشخصُ احترامَ نفسِه احتراماً بعيداً عن العُجْب ، فإنَّ حبَّ الظهور يَضعُف تدريجيًّا ، ويُصْبحُ احترامُ النفسِ مع التحلِّي بالكمال كطبيعةٍ ثانيةٍ للشخص .

وإذا قلنا باحترام النفس ، فمعنى ذلك أن نُعطيَ أنفسَنا حقَّها ، ونقدرَها حقَّ قدرها . ولكن ليس معنى ذلك أن نُفكرَ فى أنفسنا أكثر مما ينبغى ، أو أن نرفعَها فوق منزلتها ، أو أن نُعطِيَها أكثرَ مما تستحق .

(٤) ومن مضعفات الشخصية تحكم ميول الشخص فيه ، وعجزُه عن ضبطِ تلك الميول ، فيثورُ ويَهيجُ ، ويبتدئُ اليومَ عملاً ويتركه غداً . ويفكرُ اليومَ فى مشروع ، وغداً فى آخر . ومثلُ هذا الشخصِ عادةً نشيطٌ ، وليس بكسلانَ ولا ضعيف الإرادة ، ولكنه فى حاجة إلى التربيةِ ؛ تربية مُيوله ، وضبطِ انفعالاتِه ، وتوجيهِ همتِه نحوَ مشروعٍ من المشروعات ، وعدمِ تركِه إلا بعدَ الانتهاء منه .

الفصل السابع عشر

الصفاتُ الكماليةُ للشخصية

الآنَ وقد تكلمنا عن ماهيةِ[١] الشخصية، وتعريفها، والاختلافِ فيها، والعناصرِ الأساسيةِ التى تُبنَى عليها، وأنواعِها، ووسائلِ تقوية الشخصية العملية، والصفات التى يجب أن تتحققَ فى الشخصيةِ الفكرية الخُلقية، نريدُ أن نذكرَ الصفاتِ الكماليةَ للشخصيةِ على العموم، وهى كثيرةٌ، منها:

(١) الذاتيةُ أو الاستقلالُ الذاتى[٢]. (٢) الإخلاص[٣].

(٣) الحماسةُ أو شدةُ الغيرةِ والإقدام[٤].

(٤) قوةُ الوِجدانِ أو الإحساس[٥]، ولنتكلَّمْ عن كل منها فنقول:

(١) الذاتية أو الاستقلال الذاتى

الذاتيةُ هى أهمُّ صفةٍ من الصفاتِ الكمالية للشخصية. وقد عُرِّفت بأنها:

---

(١) حقيقة. (٢) Individuality. (٣) Sincerity

(٤) Enthusiasm. (٥) Sensibility.

مجموعةُ الصفات العقليةِ الخاصةِ بالفرد . وتختلف هذه المجموعةُ باختلافِ الأفراد ؛ فقد تكون كبيرةً لدى بعضِ الأشخاص ، صغيرةً لدى بعضِهم الآخر .

وتختلف الشخصية[1] عن الذاتيةِ فى أن الأُولَى أعمُّ من الثانية ؛ لأن الشخصيةَ تَشْمَلُ الصفاتِ العقليةَ والعمليةَ والجسميةَ والروحيةَ أو الخُلُقيةَ الخاصةَ بالفَرد ، بخلاف الذاتيةِ فإنها عنصرٌ هامٌّ من عناصرِ الشخصية يتعلق بمجموعةِ الصفاتِ العقلية للفرد ليس غيرُ .

وإننا نشعرُ بالملكيةِ الذاتيةِ فى نسبةِ الشىءِ إلى الفَردِ أو الأفراد ، فنقول : هذا كتابى ، وذاك كتابهُ ، وهذا كتابكم ، وذلك مستشفَى الجمعيةِ الخيرية ، وتلك مدرسةُ الطائفةِ الإسرائيلية ، وهذه جماعةُ الشبان المسلمين أو المسيحيين ، وهكذا . ولكل إنسانٍ طريقةٌ خاصةٌ وأفكارٌ خاصةٌ فى الحياة يمتاز بها من غيره .

ومن الأسباب التى أدَّتْ إلى إخفاق كثيرين فى الحياةِ أنهم لا يستقلُّون بأنفسهم فى تفكيرِهم ، بل يعتمدون على غيرهم ، ويُحاكونهم فى أقوالهم وأفعالهم وآرائهم ، ويتشبَّهون بهم فى كل

(١) Personality

شيء . فيفقدون استقلالهم الذاتيّ ، وتندمجُ شخصيتُهم فى شخصيّة غيرِهم حتى تضعُفَ .

فينبغى أن يبذلَ الإنسانُ جهدَه فى أن يعتمدَ على نفسه ، ويستقلَّ فى تفكيره بطريقته الخاصةِ ، فالأشياء التى يصلُ إليها بفكرِه الخاصِّ خيرٌ من الأشياء التى يُحاكِى فيها غيرَه . والأمرُ الذى يقوم به بنفسِه يمكنه أن يقومَ به خيرَ قيام .

أما العوامل التى تمتاز بها الذاتية فهى :

(١) الصراحة وعدم الالتواء فى الفكر والقول والعمل :

يُراد بالصراحةِ إظهارُ ما فى النفسِ بغير التواءٍ أو اعوجاج أو لَفٍّ بعيد[1] ، بحيث تكون أفكارُ الإنسان ظاهرةً ، وأقوالهُ واضحة ، وأعمالهُ تتفق مع أقواله ، يقولُ ما يعتقد ، ويعتقدُ ما يقول ، ولا يُلقِى القولَ على عواهنه[2] ، ولا يترددُ فيما يقول . لا يُثبتُ اليوم شيئاً ثم ينفيه غداً . إذا تكلم كان كلامُه عن عقيدة ، يدل على سدادِ رأىٍ ، وحسنِ تفكير ، وتقدير للنتائج .

(١) قال صاحب المصباح : صرُح الشيء بالضم صراحة : خلص من تعلقات غيره فهو صريح . وكل خالص : صريح ، ومنه القول الصريح وهو الذى لا يفتقر إلى إضمار أو تأويل . . وقال صاحب القاموس : التصريح خلاف التعريض ، وتبيين الأمر .

(٢) لم يبال أصاب أم أخطأ .

قالَ رجلٌ لعبدِ الملِك بنِ مَرْوانَ : إنى أريدُ أن أُسِرَّ[1] إليك شيئاً .

فقال عبدُ الملكِ لأصحابِه : إذَا شئتم . فنهضوا ، فأرادَ الرجلُ الكلامَ ، فقال له عبدُ الملكِ :

لا تمدحْنى ؛ فأنا أعلمُ بنفسى منكَ ، ولا تكذِبْنى ؛ فإنه لا رأىَ لمكذوبٍ . ولا تَغْتَبْ عندى أحَدا .

فقال الرجلُ : يا أميرَ المؤمنين ، أفتأذَنُ لى فى الانصراف ؟

قال له : إذا شئتَ .

وقال المرحومُ سعدُ زغلول باشا : « قد عاهدتُ اللهَ منذ نشأتُ على أن أصرِّحَ بما فى ضميرى ، وهذه هى لَذَّتى فى حياتى » .

وإن كثرةَ التردِدِ فى الرأى والقولِ والفعلِ تقللُ من شخصية الإنسانِ ومنزلتِهِ ، وكثيراً ما تعوقهُ عن النجاحِ فى الحياةِ العمليةِ والاجتماعيةِ ؛ كأن يطالبَهُ رئيسُهُ بإبداءِ رأيه فى شأنٍ من الشئون ، فيختلطُ عليه الأمر ، ويضطربُ عقلُهُ ، وتضطربُ أفكارُه ، وتكونُ غامضةً . وهو فى هذا الموقفِ لا يحتاج إلى أكثرَ من أن يفكرَ فى

(١) أفضى إليك بحديث .

الأمر مليًّا[1]، ثم يبدى رأيَه بعبارةٍ مُوجَزة واضحةٍ، قويةٍ، مؤثِّرة، ولا يخرج عن الموضوع.

والناسُ عادةَ يحبون أن يُصغُوا إلى ما نقول، وأن يشاركونا فى شعورنا إذا كان ما نقولُ يستحقُّ الإصغاء؛ كأن تكونَ الأفكارُ سديدةً، والعبارةُ واضحةً خاليةً من الخطأ، ويكونَ الأسلوبُ مؤثِّراً جذاباً. أما إذا كانت الأفكارُ معدومةً أوعقيمةً، أوملتويةً معوجَّةً، أوفِجَّة غيرَ ناضجة، ثم عُبِّرَ عنها بلغةٍ غامضةٍ مملوءةٍ بالأخطاء، أو بعبارة ركيكةٍ معقَّدة، فلا عجبَ إذا نَفَرَ السامعون، وقلَّ إصغاؤهم وانتباهُهم، وأخذوا فى التلهِّى عن المتكلم.

ولا تَلُمْهم إذا انصرَفوا عنه حِرصاً على وَقتِهم. وإذا مكثوا ولم ينصرفوا فما ذلك إلاَّ محافظة على آدابِ الاستماع. ومن السهل اكتسابُ قلوبِ المستمِعين بالأفكارِ الصائبة، واللغةِ السَّلِسةِ السهلةِ الصافية، الخاليةِ من الغموضِ والتعقيدِ والالتواء، وبالأسلوب الجذاب، والإلقاء الحسن.

---

(١) ساعة طويلة من النهار.

أخبرَ بعضُ الأدباء قال[١] : ما رأيت رجلا عُرِض عليه الموتُ فلم يكترثْ له إلا تميمَ بنَ جَميلٍ الخارجيَّ . كان قد خَرجَ على المعتصِم ورأيتهُ قد جيء به أسيراً . فدخل عليهِ فى يومِ مَوكِبٍ[٢] وقد جلس المعتصمُ للناس مجلِسًا عامًّا ، ودعا بالسيف والنِّطع[٣] . فلما مثَلَ بين يديه نظرَ إليهِ المعتصمُ ، فأعجبه شكلُهُ وقدُّه[٤] ومشيتهُ إلى الموتِ غيرَ مُكترثٍ له . فأطالَ الفِكرةَ فيه ، ثم اُستنطَقه[٥] لينظرَ فى عقلهِ وبلاغتهِ ، فقال : يا تميمُ إن كان لكَ عذرٌ فأتِ به .

فقال : أمَّا إذْ أذِنَ أميرُ المرمنين (جبَرَ اللهُ به صَدْعَ[٦] الدين . ولَمَّ شعثَ[٧] المسلمين . وأخمدَ شِهابَ الباطلِ . وأنارَ سُبُلَ الحقِّ) — فالذنوبُ يا أميرَ المؤمنين تُخرِسُ الألسنةَ ، وتَصْدَعُ الأفئدةَ . وَأَيْمُ اللهِ[٨] قد عَظُمتِ الجريرةُ[٩] ، وَانقطعت الحُجةُ ، وساء الظن ، ولم يبق إلا العفوُ أو الانتقامُ . وأميرُ المؤمنين أقربُ إلى العفو ، وهو أَلْيَقُ شِيَمِهِ الطاهرة . ثم أنشد :

---

(١) من كتاب ثمرات الأوراق للحموى . (٢) الموكب : بابة من السير ، وهو أيضاً القوم الركوب على الإبل للزينة ، وكذلك جماعة الفرسان .
(٣) بساط من جلد . (٤) القَد : القامة . (٥) كلمه .
(٦) الشق . (٧) جمع أمرهم . (٨) صيغة قسم . (٩) الجناية .

أَرَى الموتَ بين السيفِ والنِّطعِ كامناً
يُلاحِظُنى من حيثُ ما أَتلفَّتُ
وَأكبرُ ظَنِّى أنكَ اليومَ قاتلِى
وَأىُّ امرئٍ مما قَضى اللهُ يُفلِتُ
ومنْ ذا الذى يأتى بعُذرٍ وَحُجةٍ
وَسيفُ المنايا بين عينيهِ مُصلَتُ[1]
وَما جَزعِى من أن أموتَ وإننى
لَأعلمُ أنَّ الموتَ شىءٌ مُوَقَّتُ[2]
وَلكنَّ خَلْفِى صِبيةً قد تَرَكتُهمْ
وَأكبادُهمْ من حَسرةٍ[3] تتفتَّتُ
كأَنِّى أراهمْ حين أُنْعَى[4] إليهمُو
وَقد لَطَموا تلكَ الخدودَ وَصَوَّتوا
فإن عشتُ عاشوا سالمينَ بغبطةٍ[5]
أذودُ[6] الرَّدَى[7] عنهمْ وإن متُّ مُوِّتوا

(١) بارز . (٢) له وقت (٣) الحسرة : أشد التلهف على الشىء الفائت .
(٤) النعى : خبر الموت . (٥) سرور . (٦) أدفع . (٧) الهلاك .

فبكى المعتصمُ وقال : إنَّ من البيانِ لسحراً . ثم قال : كادَ واللهِ يا تميمُ أن يَسبقَ السيفُ العَذَلَ[1]، وقد وهَبتُك للهِ ولصِبْيَتِك، وغفرتُ لكَ هَفوتَك، ثم أمرَ بفكِّ قيودِه ، وأعطاه خمسينَ ألفَ درهم .

(٢) حب المسئولية وعدم الفرار منها :

إن حبَّ المسئوليةِ وعدمَ الفرار منها يَنْشَئان عن الثقةِ بالنفس . وقد لوحِظ أن الأفرادَ الأمناء الذين يستحقون أن يتحمَّلوا التَّبِعَةَ يَفِرُّون منها ، وأن الأفرادَ الذين لا يَستحقون الثقةَ بهم يُحبون تحملَها . وهذا خطأٌ في كِلتا الحالتين . وإننا الآن لا نتكلمُ عن هؤلاء الذين يَزُجُّون بأنفسِهم في أشياءَ ليسوا أهلاً لها ، ويقفون في مواقفَ غيرُهم أوْلَى بها ، بل نتكلمُ عن أولئك الذين مَنَّ اللهُ عليهم بالمقدرةِ الطَّبيعية ، والكفايةِ في القدرةِ على القيامِ بالعملِ ، ولكنهم يميلون إلى الفِرار والتباعُدِ عن هذا العملِ .

وهذا الفِرارُ في كثيرٍ من الأحوال دليلٌ على ضَعفِ الذاتيةِ أو ضعفِ الاستقلالِ الذاتيِّ ، ودليلٌ على الخوفِ أيضاً ؛ الخوف من

(١) العذل : الملامة .

النتائج والظروف ، والخوف من غيرهم . فهم ضحايا الخوف ، الخوف حتى من أنفسهم .

وأنت تعلمُ أن تحمُّلَ التَّبِعَةِ قد يُعرِّضُ الإنسانَ للخطرِ . ولكن بماذا تجتذبُ قلوبَ الناس ؟ إنك تجتذبهم بالإقدام ، وعدمِ الفرارِ من المسئولية ، والتعرضِ للأخطار .

قد تفرُّ من الشيء خوفاً من نقْدِ الناقدين ، وحَسَد الحاسِدين ، ومُنافسة المنافسين ، ولكن ماذا يهمُّك من هؤلاء ؟ ولِمَ تعبأ بهم ما دُمتَ مخلصاً لله ، مُرْضِياً ضميرَك ؟ إن من المحالِ أن تُرْضِيَ الناسَ جميعاً ، فإرضاءُ الناسِ غايةٌ لا تُدرَك . ولن تَعْدَمَ أن تجدَ بجانب هؤلاء الحاقِدين المَرضَى فى نفوسهم — كثيرينَ من المخلصين الذين يُقدِّرون من يستحقُّ التقديرَ ، ويثِقون بمن يَستحقُّ الثقةَ ، فيعترِفون بفضلك ، ويُقِرُّون بمقدرتِك . وهذا أكبرُ مُشَجِّعٍ أدبيٍّ للإقدام ، وعدمِ الخوفِ من المسئوليةِ .

فالمسئوليةُ تجعلُ القويَّ أقوى ، وتُصَيِّرُ الضعيفَ أضعفَ ، فينبغى ألا تُعطَى إلا مَن يَستَحِقُّها .

(٣) الصبر :

الصبرُ فضيلةٌ تمكِّنُ العقلَ من القيامِ بوظائفه العقليةِ فى هدوءٍ وثبات، وتُنقِذُه من الاضطراب عندَ الشدائد، وتجعلُ الإنسانَ هادئاً، رزيناً، بعيداً عن الطيش والاندفاعِ فى الأشياءِ من غير تفكير فى العواقب.

وقد سأل (وِليام پِت[1]) ذاتَ مرةٍ : « ما أهمُّ صفةٍ يجب أن يتصفَ بها رئيسُ الوزارة ؟ »

فأجاب أحدُ الحاضرين : « الفصاحةُ » . وقال آخر : « العلمُ » ، وقال ثالث : « الجِدُّ فى العمل » . فقال (وِليام پِت) : « إن أهمَّ صفةٍ يجب أن يتصفَ بها رئيسُ الوزارة هى الصبرُ » . والحقُّ أن الصبرَ ضروريٌّ لا للرؤساء فحسْبُ، ولكنْ للمرءوسينَ العاديين أيضاً .

وقد كان خالدُ بنُ الوليدِ يَسيرُ فى صفوفِ الحرب، ويُشجِّع الناسَ ويقول لهم : « يا أهلَ الإسلامِ ! إن الصبرَ عزٌّ، وإن الفشلَ عجزٌ، وإن النَّصْرَ مع الصبر » .

(١) William Pit (١٧٥٩ — ١٨٠٦ م.) : كان من أكبر السياسيين من الإنكليز المعروفين بالخطابة وحسن البيان .

وقد سأل عُمَرُ بنُ الخطابِ رضى الله عنه بَنِي عَبْسٍ : كيفَ كنتم تَقهرونَ من ناوَأكم[١] ، وَلستُم بأكثرَ منهم عدَداً ولا مالاً ؟ فقالوا : كنا نَصبرُ بعد اللِّقاء (لقاء الجيش) هُنَيْهَةً[٢] .

وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه : « الصبرُ مطيةٌ لا تكْبو[٣] ، وسيفٌ لا يَنْبو[٤] » .

وكانَ الحسنُ بنُ عليٍّ رضى الله عنهما يقول : إنكم لا تَنالونَ ما تُحبُّون إلا بتركِ ما تَشتهون ، ولا تُدرِكون ما تُؤمِّلون إلا بالصبرِ على ما تَكْرهون .

وقال ضابئ بن الحارث البرجمى :

ولا خيرَ فيمن لا يُوطِّنُ[٥] نفسه * على نائباتِ[٦] الدهرِ حين تَنوبُ

والجزَعُ معناه العجزُ عن ضبطِ النفس ، والإخفاقُ فى وجهِ القوة والحَمِيَّةِ والحرارةِ — التى تُسَيِّرُ العقلَ نحوَ النصرِ والظفر — ومعناه الخيبة فى العمل . والشخصية القويةُ تُنافِى مع الجزَعَ وعدمَ الصبر . وكما أن الصبرَ يؤدِّى إلى النجاح ، فالجزعُ يؤدِّى إلى الإخفاقِ

---

(١) ناوَأه مُناوأةً ونِواءً : عاداهُ . يقال : إذا ناوأتَ الرجال فاصبر .
(٢) وقتاً يسيراً . (٣) لا تسقط . (٤) لا يخيب . (٥) يُعوِّد
(٦) النائبة : المصيبة .

فى كلِّ شىء . ولا توجد العظمةُ بين الرجالِ إلا حيثُ يُوجَدُ الصبر . والضعيفُ الصبورُ قوىٌّ بصبره ، والقوىُّ الجزِعُ ضعيفٌ بجزَعِه . وإذا وُجد الصبرُ أُرْسِلَتْ أَشِعَّةٌ من النورِ إلى الشخصِ فيثقُ بنفسه ، ويجتهدُ فى إيجادِ جَوٍّ للفوز والنجاح فى العمل . وإذا ذهَب الصبرُ ذهبت الراحةُ والهدوء ، واضطربَت النفسُ ، وقَلِقَ الفكر .

فينبغى أن يتحلَّى الإنسانُ بالصبر ، ويَشتغلَ بقَدْر طاقتِه ، وينتفعَ بالفُرَصِ التى تَمرُّ به ؛ كى يصلَ إلى غرضه ، ويبرِّرَ وجودَه فى هذه الحياة . وإن الصبرَ مع الضعفِ أقوَى وأشدُّ أثراً من الجزعِ مع القوة . والمثابرةُ على العملِ مع عدمِ المبالاةِ بالنتائج أحسنُ وسيلةٍ للفوزِ والانتصارِ فى كل عملٍ من الأعمال .

قال صلى الله عليه وسلم : « الصبرُ نِصفُ الإيمان » ، وقال أيضاً : « إذا ثَبَتَّ أَصَبْتَ أو كِدْتَ تُصِيبُ ، وإذا استعجَلْتَ أخطأتَ أو كِدْتَ تُخطِئُ » .

وقال المسيحُ عليه السلام : « إنكم لا تُدرِكون ما تحبون إلا بصبرِكم على ما تكرَهُون » .

وقال علىٌّ كرم الله وجهَهُ : « الصبرُ من الإيمانِ بمنزلةِ الرأس من الجسدِ . ولا جسدَ لمن لا رأسَ له . ولا إيمانَ لمن لا صبرَ له . وقال أيضاً : لا يعدَمُ الصبورُ الظفرَ وإن طالَ به الزمانُ » .

وقال الإمام المرحومُ الشيخ محمد عبده : « الصبرُ خلُقٌ من أمهاتِ الأخلاق ، بل مِساكُ كلِّ خلُق » .

وَلْنتمثلْ (بإسحٰق نُيوتن) الفيلسوفِ الإنكليزى الكبير (١٦٤٢ — ١٧٢٧م .) والعالِم العظيم ؛ فإنه ما كانَ ذا قريحةٍ[1] وقادة ، وذكاءٍ حادٍّ فى مدرسته ، بَيْدَأنه عُرِف بالصبرِ والجِد ، ومَضاءٍ[2] العزيمة ، حتى لقد أنَّبه معلمه مرةً فغضب وقال : « يا سيدى إنِّى وإن كنتُ عاجزاً لستُ مُقصِّراً ، وثِقْ بأنى قد بذلتُ كلَّ جُهدِى فى استذكار دروسى » .

ولقد سُئِلَ (نُيوتن) مرةً : كيف اُستنبطْتَ كلَّ هذه المستنبَطَاتِ الغريبةِ ؟ فأجاب : بالتأمل المستمرِّ فيها ؛ فقد كنتُ أضَعُ الموضوعَ نُصبَ عينى ، وأثابِرُ على مزاولتِه وعلاجِه ، حتى يَبْزُغَ ضَوءه ، ويصيرَ

(١) الذكاء والقدرة على استنباط العلم . (٢) قوة .

نوراً ساطعاً . ومن أقواله المأثورة : « إن كنتُ قد أديتُ للعالمِ خدمةً فباجتهادى وجَلَدى[١] » .

وفى المثل الإنكليزىّ : « الحَجرُ المتدحرِجُ لا يَنْبُتُ عليه العُشْبُ . » وفى المثلِ الفرَنسِىّ : « النبوغُ صبرٌ طويل » . والحقُّ أن أعظمَ هِبةٍ طَبيعيَّةٍ مُنِحَها الإنسانُ هى الصبرُ ؛ فبالصبرِ والمثابرةِ يَصِل الإنسانُ إلى مُبتَغاه . وبالجزعِ وضعفِ العزيمةِ يُخفِقُ فى عملهِ مهما يُؤتَ من ذكاء .

(٤) المثابرة : Determination

إن المثابرةَ وقوةَ الإرادةِ من أهَمِّ صفاتِ الشخصيةِ العظيمةِ . وممن عُرِفوا بالإرادةِ الحديديةِ خالدُ بنُ الوليد ، والإسكندرُ المقدونىّ ، ونابُليُون بُونابرت ، وجُورج واشِنْطون ، والزعيمُ الخالدُ الذكرِ سعدُ زغلول باشا ، وكثيرٌ غيرُهم من العظماء ، ومنهم السير (فُوول بَكستُون[٢]) الذى بَذَلَ جُهداً عظيماً فى حركةِ تحريرِ الأرقَّاء فى أيام (وِلْبَرْفُورْس[٣]) ؛ فقد كان (بَكستُون) لا يَعرِف الرجوعَ إلى الوراء . ومن نصائحه المأثورةِ عنه للقراء :

---

(١) الصلابة والصبر .

(٢) Sir Fowell Buxton.

(٣) Wilberforce .

(ا) لا تترك كتاباً تقرؤه حتى تُتمّه .
(ب) لا تَظن أنك قد انتهيتَ من الكتاب إلا إذا فهمتَه جيداً .
(ج) حَكِّمْ عقلَك فى جميع ما تقرأ .

وفى نهاية حياته التى لم يشعرْ فيها براحةٍ قال : « إنى واثقٌ بأن الفرقَ العظيمَ بين الناسِ قوِّيهم وضعيفِهم ، عظيمِهم وحقيرِهم ، فى النشاطِ ، وقوّةِ العزيمة ، وتحديد الغَرض ، ثم النصر أو الموت » .

وحيثما وُجدت الإرادةُ الحديديةُ وُجِدت قوةُ الشخصيةِ . ولا يكفى أن تقولَ : أريدُ أن أكونَ كذا ، أو أحبُّ أن أفعلَ كذا ، أو أرغبُ فى كذا ، بل يجبُ أن تكونَ الإرادةُ قويّةً ، والعزمُ شديداً ، والرغبةُ كبيرةً ، ثم تُصحَب هذه الرغبةُ بعزيمةٍ ثابتةٍ لا تعرفُ الضعفَ ، وهمةٍ عظيمةٍ تستلذُّ التعبَ ، وتثابر فى عملك حتى تنجحَ فى الوصول إلى أُمنيَّتِك . وإنك لا تستطيعُ أن تنتفعَ بالحديد وتُصوِّرَه كيف شئتَ إلاَّ إذا كانَ مصهوراً شديدَ الحرارة . فإذا ما تركتَهُ حتى أصبح بارداً فمن الصعب أن تُكوِّنَ منه شيئاً .

وبمعرفةِ الشىء ، وإدراكِ نتائجِه ، يمكنُ تحريكُ العاطفةِ ، وإظهارُ القوّةِ ، وتقويةُ العزيمةِ والإرادة ، فينظرُ الإنسانُ إلى الأمام ، ويعملُ

إلى النهاية، غيرَ مُبالٍ بالخطر ما دام يعتقد فى الفوز والنجاح، والوصولِ إلى الغرض. ولن يؤثرَ فيه مدحٌ أو ذمٌّ متى شعرَ فى نفسه بأنه إذا عَزَمَ على شىء فلن يستريحَ حتى يُحقِّقَه ويَنتصرَ عليه.

قال أبو جعفر المنصور:

إذا كنتَ ذا رأىٍ فكُنْ ذا عزيمةٍ ✲ فإنَّ فسادَ الرأىِ أن تترددَا

وقد أمرَ الإسكندرُ المقدونىُّ أحدَ قوَّادِه بالإغارةِ على حِصنٍ أمنعَ من عُقاب الجو، فخالفه القائدُ قائلاً: يا سيدى إن ذلك مما لا يُستطاع. فصاحَ الإسكندرُ فى وجهه مُغضَباً: «لا شىء فى العالَمِ محالٌ على مَن يبذُلُ جُهداً، ويُمضى عزماً». ولم يَمضِ إلا قليلٌ حتى أخضعَ الإسكندرُ عدوَّه، ودمَّرَ حصونَه، وأذلَّ حُماته.

وكان نابليونُ إمبراطورُ فرنسا (١٧٦٩ — ١٨٢١ م.) يكره من الكلماتِ ثلاثاً: «لا أعرف — لا أستطيع — محال». فكان جوابهُ عن الأولى: «تعلَّمْ». وعن الثانية: «حاولْ». وعن الثالثة: «جَرِّبْ»

الفصل الثامن عشر

(ب) الإخـــلاص Sincerity

الإخلاصُ هو الصفاء ، هو الصدقُ فى القولِ والعمل ، هو المروءة ، هو أن تعملَ فى السِّرِّ ما لا تَسْتَحْيِي منه فى العلانية ، هو البعدُ عن الكذب والرياء والنِّفاق . يقول الشاعرُ العربىُّ :

فَسِرِّى كإعْلانِى ، وتلك خَلِيقَتِى ✲ وظُلمةُ لَيلِى مثلُ ضوءِ نَهارِيا

وهذا هو الإخلاصُ عينهُ ، وهو روحُ الشخصية . وإذا قيل إن فلاناً أبيضُ القلب ، صافِى السريرة ، صادقٌ صريحٌ فى قوله ، فاعتقدْ أنه مخلصٌ ، وأن له شَخصيةً جذّابةً .

فالإخلاصُ يُظْهِرُ العقلَ حقيقةً من غير زيادةٍ أو نقص أو مبالغةٍ أو رياءٍ أو كذب . وحينما يَنتفِى الإخلاصُ يُحاوِلُ العقلُ أنْ يُخْفِىَ حقيقتَه ، فيغير الحقائقَ عمداً أو عن غير عَمد ، ويجعلُ الحقَّ باطلاً ، والباطلَ حقًّا ، والبعيدَ قريباً ، والقريبَ بعيداً . وليس هذا من الإخلاص فى شىء .

وللإخلاص أثرٌ كبيرٌ فى شخصيةِ الإنسان ، وفى نجاحِهِ فى عمله ، وفى حياتِهِ العلميةِ والاجتماعية والاقتصادية . ولا أحدَ يستطيعُ أن ينجحَ إلى النهايةِ بالغشِّ والكذبِ والخيانة . وإن الذين يَلجئون إلى هذه الدنايا المنافيةِ للإخلاصِ يَخسرون أكثرَ مما يَربحون . ومن المحالِ تأسيسُ عملٍ عظيمٍ من الأعمال إلا عَلَى أُسُسٍ قويةٍ من الصدقِ والأمانةِ والإخلاص والجِد . وقد نَغُشُّ بعضَ الأفرادِ مدة من الزمن ، ولكننا لا يمكننا أن نَغُشَّ الجميعَ ونُضِلَّهم ونُضَلِّلَهُم إلى النهاية .

وما الأسماءُ العظيمةُ والجماعاتُ الكبيرةُ المحترمة ، والشركاتُ التِّجارية المشهورة ، والمصارفُ الموثوقُ بها إلَّا أثرٌ من آثارِ الإخلاص والأمانةِ والصدق فى المعاملة . وإذا ذهبَت الأمانة ، وهى روحُ الإخلاصِ ، ذهبَتْ هـذه الأسماءُ والجماعاتُ وَالشركاتُ وَالمصارف ، وأصبحَت فى خبرِ كان .

يقول (إمَرْسُون) الأمريكىُّ : « إن الشرطَ الأساسىَّ للنجاح فى العملِ هو الغَيرةُ على العمل . والغَيرةُ نتيجة الإخلاص » . وإن عدمَ إخلاصِنا يُقللُ من ثِقَتِنا بغيرنا ؛ فاللصُّ يعتقد أن الناسَ جميعاً

لصوص . والخائنُ يعتقدُ أنه كغيره من النَّاس ، وأنهم كلَّهم خَوَنة . والمجرِمُ يظن أن الكلَّ مجرمٌ مثله . وفى الوقت الذى يرتكب فيه الشخصُ عمداً خطيئةً من الخطايا يعتقد فى هذهِ الخطيئة ، ولا يثق بغيرها .

وتظاهرُ الإنسان بغير الحقيقةِ ينشأ عن عدم الإخلاص ؛ لأنَّ فيه تشويهاً للحقائق ، وتضليلاً لغيره بالكذب حيناً ، وَالمبالغةِ الممقوتةِ حيناً آخرَ . وإذا عُرِفتْ حقيقةُ المتظاهرِ — وَسَرعانَ ما تُعرَف — واتضحَ أمره ، شَكَّ الناسُ فى كلامه ، وقلَّتْ أو فُقِدَتْ ثقتُهم به . وَمتى فُقِدَت الثقة بالشخص ضاعتْ شخصيتهُ . ولا يتظاهرُ بالعلم — كما قلنا — إلَّا من يشعرُ بالجهل . ولا يتظاهرُ بالغِنَى إلا الفقراء . وَلا يدَّعِى القوةَ إلا الضُّعفاء . وإذا استطاع الإنسانُ أن يَخدعَ الناسَ جميعاً فإنه لا يستطيع أن يَخدع نفسه . وإذا ضاعت ثقتهُ بنفسه فمن المحالِ أن يشعرَ بالقوة .

يقول (مَارْك رَذَرْفورْد)[1] : « إنه لا يوجدُ إنسان كلّه رياء أو كلّه إخلاصٌ ؛ فنحن جميعاً مُرَاءونَ فى كل أقوالنا ، وفى كل أفعالنا ،

(١) Mark Rutherford.

وفى جميع أفكارنا . أما الإخلاصُ فيتوقفُ عَلَى طبيعةِ الشخص ؛ بمعنى أنه إن كان لديه ميلٌ فطرىٌّ للإخلاص ، فمن الممكن أن يكونَ مخلِصاً بعضَ الإخلاصَ ، لا الإخلاصَ كلَّه » .

وإننا نأسَفُ إذا قبلنا هذا القولَ كما هو من غير أن يُذكرَ لنا دليلٌ يُثبتُه . ولكننا نسلِّمُ بأن الإخلاصَ نادر ، وأن المخلِصين قليلون ، ونعترفُ بأنهُ قوةٌ جذابةٌ ليس فوقَها قوة . ولهذا القائلِ العذرُ فيما قال ؛ فالحياة مملوءةٌ بالمخجلات من الرياء والكذبِ والنِّفاقِ والغشِّ والتضليل والنقائصِ المضادَّةِ للإخلاص .

ومن العظمةِ النفسيةِ أن يكونَ الإنسانُ مخلِصاً ، وَفيًّا ، أميناً فى قوله وَعمله . وَمن الإخلاص أن يكونَ الإنسانُ صريحاً يقول ما يعتقد بكل أمانةٍ وَشجاعة . وَلكن كم يُقاسِى الشخصُ فى سبيل الصراحة ؟ وَأين المكانُ أو الزمانُ الذى يَسْمَحُ بالصراحَةِ ، الصراحَةِ فى إبداء الرأى ؟ إننا لا نقول كلَّ ما نعتقد ، وَنحنُ ضحايا البيئةِ والعاداتِ . وإننا فى سَيرِنا وَأحوالِنا نعملُ عَلَى ألاَّ نُخالفَ البيئةَ التى نعيشُ فيها ، والعاداتِ التى رُبِّينا عليها . وَلكن ما ثمنُ هذا ؟ الثمنُ

هو تشويهُ الشخْصيةِ الإنسانيةِ ، وإضعافُ نفوذِها أو تأثيرِها الشخصى . وكيف يمكنُ أن نُؤَثِّرَ فى الناس ، ونملكَ قلوبَهم ، ونكتسبَ احترامَهم ، ونتمتعَ بثقتِهم إذا سِرْنا وراء الستار ، ولم نَقِفْ أمامَ إخوانِنا وأبنائِنا بأنفسِنا الحقيقية ؟ كيف نحصُلُ على ثقتهم ، أو نؤثِّرُ فيهم إذا قلنا ما لا نعتقد ، واعتقدنا ما لَمْ نَقُلْ ، وكنا غيرَ مخلِصين ؟

ففى عدمِ إخلاصِنا ظلمٌ لأنفسنا ، وظلمٌ لغيرِنا ممن يتصلون بنا ، من أبناءٍ وأقاربَ وأصدقاء ، وغيرِهم . وهو إذا وُجِد فى الجواهرِ النفيسة عُدَّ نقصاً كبيراً . وإذا حُرِمَ الإنسانُ الإخلاصَ ، فقد حُرِمَ أكبرَ قوةٍ جاذبيةٍ وجمالٍ طبيعىٍّ فى الحياة الإنسانية .

قال المرحومُ سعدُ زغْلول باشا وهو وكيل الجمعيةِ التشريعية : « لا عيبَ فينا فى الرجوعِ إلى الحقِّ متى ظهرَ لنا ؛ لأننا ما جئنا هنا لندافعَ عن أنفسِنا ، بل لندافعَ عن الحقِّ ونؤيدَه » .

وقد وضَّحَ (جون بَنْيان) فى كتابِه الثمين : « نجاحِ الحاج[1] »

(١) The Pilgrim's Progress تأليف John Bunyan . وقد كتب « بَنيان » عدة كتب وهو فى سجنه ، أشهرها الكتاب المذكور ، وقد ترجم إلى معظم لغات العالم .

ما كان عليه أهلُ عصره من غشٍّ وخِداع ورياء . ذكرَ أنه قد زاره فى سجنهِ أحدُ المدَّعِين من جماعة الأصدقاء[1] ، وأخبره أنه أحضرَ له رسالةً من الله ، واعتذرَ له عن التأخيرِ فى تسليمِها بأنه زار نصفَ سُجونِ انجلترة ، وهو يبحث عنه ، وأنه مسرورٌ كلَّ السرورِ للعثورِ عليه أخيراً . فأحسَّ (بَنْيانُ) فى الحال عدمَ إخلاصِ هذا الرجلِ الكاذب ، فقال له : « لو كنت مُرْسَلاً من عندِ الله ما كنتَ فى حاجةٍ إلى هذا التعبِ فى البحثِ عنِّى فى جميع السجون ؛ لأنه يعلمُ أننى فى سجنِ (بِدْفورْد) منذُ سبعِ سنين مَضَت » .

وبإخلاصِ (بَنْيان) اكتسبَ كثيراً من تقديرِ الجمهور له .

ومما يُساعدُ عَلَى الإخلاص :

(١) الدقةُ فى القولِ تدقيقنا فى النقود ؛ فأقوالُ الإنسانِ هى المرآة التى يُرَى منها عقلُه . ومن العيوبِ الشائعةِ التهاوُنُ فى استعمالِ الكلمات ، وادِّعاؤنا معرفةَ أشياء قد نجهلُها .

(٢) الدقةُ فى التفكير ؛ فَتزِنُ ما نقولُه بِميزانِ الحقيقةِ خدمة للحقيقة ، ونذكرُ ما نعتقدُ بكلِّ شجاعةٍ وأمانة .

(١) The Society of Friends .

وإننا لا نتطلَّبُ الإخلاصَ فى القول فحسْبُ ، بل نتطلبُ أيضاً الإخلاصَ فى الكتابةِ ، والإخلاصَ فى الفعلِ ؛ كي لانخدَعَ أنفسَنا ، ونُضلَّ غيرَنا .

والإخلاصُ يَستدعِى إظهارَ الحقيقةِ كما هى ، مع الدقةِ فى التفكيرِ والقولِ والكتابة ؛ فلا نقولُ إلاَّ ما نعتقد ، ولا نمدحُ إلا من يَستحقُّ المدحَ ، ولا ننقُدُ إلا من يَستحِقُّ النقد ، ولا نحكم إلا بما تُمليه علينا ضمائرُنا ، ولا نستعملُ الظروفَ والصفاتِ وأفعلَ التفضيل إلا بكل حكمةٍ ودقةٍ فى التعبير .

فكما تجبُ الدقةُ فى العُملةِ كذلك تجبُ الدقةُ فى الكلام ، بحيث يتفق مَنطقُ الرجلِ مع عقله ، وعقلُه مع منطقِه ، وقولُه مع تَفكيرِهِ ، وتَفكيرُهُ مع قوله . ولنتذكرْ دائماً أن الكلامَ إذا خرجَ من القلب وقعَ فى القلب ، وإذا خرجَ من اللسَان فإنه لن يجاوزَ الآذان . ولنعملْ بما نقولُ حتى لا نوصَفَ بالرياء والتضليل ؛ قال تعالى : « كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » . وقال الله لعيسى عليه السلام : « يا ابنَ مريَمَ عِظْ نفسَك ، فإن اتَّعظتَ فعِظِ الناسَ ، وإلَّا فاستَحِ مِنِّى » .

الفصل التاسع عشر

(ج) الحماسة Enthusiasm

الحماسةُ نوعٌ من الشجاعةِ تُصحَبُ بالشعورِ القوىِّ والإقدام. ولا نُريدُ بالحماسةِ تلك التى تؤدِّى بنا إلى السيرِ فى الطريقِ المظلمِ فى الحياة، ولكننا نريدُ الحماسةَ المصحوبةَ بقوةِ الإيمانِ من جهة، والتفكيرِ من جهةٍ أخرى.

ولا يكفِى للنجاح فى الحياةِ أن يكونَ الإنسانُ ذكيًّا ماهراً. بل يجب أن يتحدَ مع الذكاء والمهارةِ قوةٌ أخرى هى الحماسة، والغَيرةُ الطبيعية. وما الفائدةُ من أن يصلَ العالِمُ الباحِثُ إلى نظريةٍ من النظرياتِ، أو فكرةٍ من الأفكار، إذا لم يَستطِعْ أن يُنفِّذَها لعدمِ وجودِ الحماسةِ أو الشجاعةِ الكافيةِ لديه؟ إنه لا فائدةَ من نظرياتٍ لا يمكنُ تطبيقُها عمليًّا.

ولكن هل يمكن أن نَبُثَّ الحماسةَ ونولِّدَها فى النفوسِ الباردةِ؟ والجواب: نعم يمكنُنا أن نُعوِّدَ الطفلَ من الصغرِ الإقدامَ والشجاعةَ،

والقيامَ بالعمل ، والاعتمادَ على النفس فى كثيرٍ من الأعمال . وهناك أشياء ليست بالقليلةِ نثقُ بأنها مفيدةٌ ، ونتائجها حسنة ، ومع ذلك نترددُ فى تنفيذِها ، نقدِّمُ رجلاً ونؤخِّرُ أخرى ؛ لقلةِ حماستِنا ، وخَوَرِ عزيمتِنا ، وضَعفِ إرادتِنا . وكثيراً ما تمرُّ الفرصُ أمامَ أعيننا ، وتضيعُ منا بسبب ذلك النقص . وكلُّ ما نحتاجُ إليه لمعالجةِ هذا النقصِ هو أن نفكرَ فى الشىء أولاً ، فإذا بدَا لنا صوابُه فلْنصحَبْه بالعملِ وقوةِ العزيمة . وإذا وثِقْتَ بطريقِك فأسرِعْ فى خُطاك ، وسِرْ فى سبيلِك حتى تصلَ إلى النهايةِ .

قال (إمَرْسُون) الكاتبُ الأمريكىُّ : « بغيرِ الحماسةِ لا يمكنُ القيامُ بأمرٍ عظيمٍ فى الحياة . ولأجل أن يكونَ الخُلُقُ عظيماً ، وتكونَ الشخصيةُ قويةً يجب أن يُضاءا بقوةٍ من الحرارة » .

وتكونُ الحماسةُ بتشجيعِ الطفلِ على أن يَطَّلِعَ على ما يَحْسُنُ الاطلاعُ عليه ، وأن يَرى ما تحسُنُ رؤيتُه ، وأن يَبحثَ عن الحسناتِ أكثرَ من البحث عن السيئاتِ ، وأن يستحسنَ أكثرَ مما يَستقبح ، وأن يوافقَ أكثرَ من أن يُخالف ، وأن يُثبتَ أكثرَ مما يَنفى ، وأن يُشَجَّعَ أكثرَ من أن يُثبَّط .

والأملُ فى المسِنِّ — الذى بلغ من العمر سبعين سنةً ، المملوء حماسةً ونشاطاً ، أكثرُ من الأملِ فى الشابِّ الضعيف ، المتردِّد ، الجبان . والأملُ محالٌ فى النفوس الضعيفةِ المترددةِ فى كل شىء ، وفى أقلِّ شىء . ولا رجاء فى العالَم إذا وُضِعَت اليَدُ الباردةُ ، يدُ الجبن ، على قلوبِ الشباب . فإذا أُعطِيتَ أىَّ فرصةٍ ففكِّرْ مليًّا ، ثم إذا أستصوبْتَ الأمرَ فأقدِمْ ، ولا تتردَّدْ ، ولا تَخَفْ صغرَ السِّن ، ما دمتَ على صواب . ومن الخطأ أن يظنَّ الإنسانُ أنه صَارَ كبيرَ السِّن ، ولا يُرْجَى منه عملٌ . ولا تعجَبْ إذا سمعتَ أن (المِستر جلادِستُون[1]) لم يبتدئ أعمالَه العظيمةَ إلا فى سنِّ الخمسين . فعاملُ السنِّ لا يؤثِّرُ فى الحماسةِ كلَّ التأثير كما يُظَنُّ . والشبابُ شىءٌ نِسبىٌّ ؛ فقد تجدُ روحَ الشبابِ فى بعض الشيوخ ، وتجد روحَ الشيوخِ فى بعض الشبان .

والإنسانُ يأسَفُ إذا قال : إن معظمَ الشبانِ لدينا مُنصرِفون إلى الملاهِى ، لا يفكرون إلا فى اللذاتِ ، وآمالُهم ضعيفةٌ فى الحياة ، وكلها موجَّهةٌ إلى الوظائف مهما تكُنْ وَضيعةً . أما الإقدامُ على الأعمالِ

(١) اقرأ : Life of Gladstone, by John Morley

الحرة فقليل . وإذا دخلوا ذلك الميدان كانوا مُضطرِّين . والحماسة بعيدةٌ عنهم ، وهمُ بعيدون عنها . والإيمانُ بعيدٌ عن قلوبهم ، فهم يعملون عن غير عزيمةٍ أو عقيدة . وقد أصبحت العقولُ مظلمة ، عليها طبقةٌ كثيفةٌ من السحُبِ والغيوم ، وصارت الأرواحُ ضعيفةً خاملة .

ونحن فى حاجةٍ إلى الخيالِ والشِّعرِ والموسيقا ؛ حتى تُبْعثَ روحُ الحماسةِ فى النفوس ، وتُوجدَ الشخصياتُ الفذَّةُ ، كما أننا فى حاجة إلى أن نشعرَ بأننا خُلِقنا فى هذا العالمِ لنقومَ بتبليغ رسالةٍ وطنيةٍ أو عالميَّةٍ أو اجتماعيةٍ أو خُلُقية أو صحية ، ونُمثِّلَ دَوْراً عظيما فى روايةِ الحياة .

وبجانب التعودِ والخيالِ والأملِ نحتاجُ فى بثِّ الحماسةِ فى النفوس إلى قوةِ الهجوم ، وروحِ الاحتجاج والمعارضةِ حيثما نُقابلُ أو نُفاجأُ بالمصاعِب والعوائِق التى تعوقُنا عن القيام بالعمل . فإذا أردتَ أن أن تنجحَ فى عملِك فابذلْ كلَّ ما تستطيعُ من جُهدٍ وعمل ، واعملْ بجد ، ثم ثابرْ على هذا العمل ، وباللهِ توفيقُك .

وينشأ عدمُ الحماسةِ عن الشكِّ وعن الخبث ، وهما من ألَدِّ أعداء الشخصية . قال (رُوبَرْت لُويس سْتيفِنْسُون[1]) : «إنى أمقت الخُبْث

(١) Robert Louis Stevenson (١٨٥٠ — ١٨٩٤ م .) : كاتب إنكليزى ، قضى كثيراً من حياته القصيرة مريضا . وكتب معظم كتبه وهو على فراش المرض. وهو خير مثل فى قوة الروح ، وقوة الإرادة .

(Cynicism) أكثرَ من مقتى للشيطان إذا كان الاثنان شيئاً واحداً.»

فَلْنترك كثرةَ التشكك والتردد، ولْنتجنب الوسوسةَ فى كل شىء، ولْنتمسك بالجِدِّ والعملِ والإقدام كَىْ نتصلَ بالقُوَى العظيمةِ فى الحياة. ولْنَسِرْ مع الجماعة، ولا نقف فى عُزلة؛ فى الجماعةِ قوةٌ، وفى العُزلةِ ضعفٌ. وفى القوةِ عظَمةٌ، وفى الضعفِ مذَلة.

ومن الحماسةِ أن تُعبِّرَ عما فى نفسِك بالقولِ والفعلِ تعبيراً حسناً؛ فلحُسنِ التعبيرِ أثرٌ كبيرٌ فى الشخصية. ومما يقالُ عن سيدةٍ أساءت التعبيرَ عن شعورِها ووجدانِها أنها أخذتْ تبكى مما شاهدتْهُ فى روايةٍ تمثيليةٍ خيالية، فى حينِ أنها تركتْ سائقَ عجَلَتِها فى البردِ حتى تجمَّد ومات وهو ينتظرُها فى خارج المسرح. فينبغى أن يفكرَ الإنسانُ فى غيره، ويشاركه فى شعوره، ويفكرَ فى الحقيقةِ أكثر من تفكيره فى الخيال، ويُقْدِمَ حيث يجبُ الإقدامُ، ويَمتنعَ حيث يجبُ الامتناعُ، كى يمثلَ دورَه، ويقومَ بواجبه، ويحققَ الحكمةَ من وجودِه وهى العمل.

(ء) قوة الإحساس (Sensitive)

إن قوةَ الإحساسِ من أكبرِ المؤثِّراتِ فى الشخصيةِ القوية ، وبعضها ينْسَبُ إلى الوراثة ، وبعضها مكتسَبٌ بالتربيـةِ والخِبرة والتهذيب . وإن الإنسانَ الصادقَ الحسِّ ، الحسنَ البصيرة ليس بذكيٍّ فحسْبُ ، ولكنه حسَنُ التقديرِ والحكم على الأشياء ؛ يَرى الفرصةَ فينتهزُها ، وينتفعُ بها . والفرصُ تمرُّ بنا جميعاً ، وقد تمرُّ عَبثاً ولا نُحسُّهَا ، وإذا أحسسناهَا فقد نتركها حتى تمرَّ مرَّ الرياح ، وتذهبَ سُدًى .

فالمساواةُ فى الفرصةِ لا تكفى وَحدها ، ولكن يجبُ الشعورُ بها والاستفادةُ منها . ولوأمكنَ أن نعطِىَ الناسَ فى الغَد فرصةً واحدة ، فإننا نجد قليلينَ جدًّا لديهم القدرةُ عَلَى رؤيتها أو الانتفاعِ بها فى حينها . أما الكثيرون فربما لا يلاحظون مجيئَها أو مرورَها إلا بعدَ انتهائِها ، ولكنهم يُظهِرون أنهم عقلاء حكماء يتمثلُ فيهم العقلُ والحكمةُ بعد زوالِ الفرصة .

وهناك أفرادٌ لهم أعينٌ لا يُبصِرون بها ، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها . وليس السببُ فى قلةِ الرؤيةِ أو السمعِ ناشئاً عن ضعف ما أُوتُوا من إحساس ، ولكنه ناشئٌ عن إهمالِ ما لديهم من الإحساس ، وعن عدمِ الانتفاعِ بما مُنِحُوا من مواهبَ وميولٍ وأمزجةٍ وسجايا .

وإذا مدحْنا صِدقَ الحسِّ ، وإجابةَ الداعِى ، وقوةَ الإحساسِ فى الإنسان ، فإننا لا نمدحُ أن يكون شديدَ الإحساسِ (Sensitive) ، بحيث يتأثرُ لأقلِّ شىء ، بل نطالب أن يُحدَّدَ هذا الإحساسُ حتى يعتادَ الشخصُ ضبطَ نفسِه ، وكتمانَ شعوره ، فلا يكون شديد التأثرِ لأتْفَهِ الأسباب . فضبطُ النفسِ هو روحُ الشخصيةِ وقوتُها المعنوية . وقد وصفَ الشاعرُ الإنكليزىُّ (شِلِى)[1] النباتَ الحساسَ فى قصيدة له بهذا العنوان[2] ، فقال :

« قد نَما النباتُ الحساسُ[3] فى الحديقة ، ثم غَذَاه النسيمُ العليل

---

(١) Percy Bysshe Shelley : شاعر إنكليزى من شعراء الطبيعة ، معروف بحبه للطبيعة ، وغيرته على الإصلاح .

(٢) Sensitive Plant .

(٣) « A Sensitive Plant in a garden grew
And the young Winds fed it with silver dew,
And it opened its face like leaves to the light,
And closed them beneath the kissse of night . »

بالطَّل[1] الفضىِّ . وفتحَ للنَّورِ وُجوهاً من الأوراق ، ثم طَواها تحت قُبلاتِ الليل . »

وإن معرفةَ متَى نَفتحُ عقولَنا لاستقبال تلك الآثارِ التى لا حدَّ لها فى الحياة ، ومتى نمنعُها عن اُستقبالِها تستلزِمُ أن نعرفَ كثيراً عن أسرارِ الحياة ، وأسرار السعادة ؛ لأن الجهلَ بتلك الأسرارِ قد يُؤَدِّى إلى تضحيةِ الإنسانِ براحته العقلية ، وسعادتِه الداخلية .

---

(١) الندى الخفيف .

الفصل العشرون

اضطرابُ الشخصيةِ وانقسامُها[١]

الآن وقد تكلمْنا عن الشخصيةِ وماهيَّتِها[٢] ، وعناصرِها ، وأنواعِها ، ومُضعِفاتِها ومُكمِّلاتِها ، لا يفوتُنا قبل أن نختمَ هذا الفصلَ ، وهذا الكتابَ ، أن نذكرَ كلمةً موجزةً عن اضطرابِ الشخصيةِ وانقسامِها ؛ لما للموضوع من الأهمية . وقد كُتبتْ عنه كتبٌ[٣] باللغات الأجنبيةِ المختلفة ، فارجعْ إليها إن شئت .

إن الإنسانَ وإن كان يُعَدُّ وَحدةً لا تتجزأ ، ربما لا تتحدُ دائماً ميولُه الفِطريَّة[٤] المختلفةُ ، ورغباتُه المتعددة . وقد يتعارضُ بعضُها مع بعضِها الآخر ، فيختلفُ سلوكُ الإنسانِ باختلافِ الأحوال .

وكثيراً ما نقولُ إنَّ سلوكَ فلان اليومَ يختلفُ عن سلوكه العاديِّ ، أو نقول إن فلاناً كاملٌ دائماً ؛ مُريدين بذلك أنهُ لا يتغيرُ مطلقاً ،

---

(١) Disorders of Personality.
(٢) حقيقتها.
(٣) راجع :
(A) Diseases of Personality, by Ribot, Eng. trans. 1891.
(B) Alterations of Personality, by Binet, Eng. Trans. 1896.
(٤) الطبيعية .

وأن ميولَه متَّحدة ، فى حين أننا نحكمُ على شخصٍ آخرَ بأنه رجلٌ لا يمكِن التحققُ منه ، أو الثقةُ به ؛ لأنه كثيرُ التغيرِ والانقلاب ، وليس عَلَى حالٍ واحدة . ولكنْ من الكمال تهذيبُ الميولِ المختلفة ، والتوفيقُ بينها بحكمةٍ ؛ حتى تكونَ شخصيةُ الإنسانِ كاملةً .

انقسام الشخصية[1]

قد تنقسمُ الشخصيةُ وتتعدّدُ وتَسيرُ فى أكثرَ من طريقٍ واحِدة ، فيكونُ للإنسان شخصيتان أو أكثرُ : شخصيةٌ له فى عملِه ، وأُخرى له فى منزله مثلًا . وقد تكون الغرائزُ والميولُ والرغباتُ المسيطرةُ عَلَى الإنسان فى هاتين الجهتين مختلفاً بعضُها عن بعض ، فيختلفُ سلوكه تبعاً لاختلافِها ؛ فبينما تراه فى عملِه قاسياً فظًّا غليظاً جافًّا ، إذ تجده فى منزلِه مع زوجِه وأبنائِه وديعاً سهلاً كريماً . والشواهدُ عَلَى ذلك كثيرة . وإن روايةَ « الدكتور جيكل والْمستر هَايد »[2] مثلٌ واضحٌ فى تعدُّدِ الشخصية ، وإن كانَ ذلك المثلُ

(١) Dissociation of personality.

(٢) Dr. Jekyll & Mr. Hyde.

أقربَ إلى الخيالِ منه إلى الحقيقة ؛ لأنه بعيدٌ عن الحياةِ الحقيقية . وإذا قلنا بتعددِ الشخصيةِ وانقسامِها فكأننا سلَّمنا بأن هناك شخصين فى جسم واحد ، وفى هذا القولِ نظرٌ . ولكنْ قد أثبتَه الدكتور (مُورْتُون پرِنْس)[1] كما سيأتى :

وقد تمرَضُ الشخصيةُ الإنسانية وتضطرب تبعاً لاضطرابِ الأعصابِ والعقل ، فتختلُّ الذاكرةُ أو تُفقَد ، ويَضطربُ التفكيرُ ، وتتغيرُ بعضُ مظاهرِ الجسم ، وتختلفُ قوةُ الإحساس ، كما يختلفُ الميلُ والمِزاجُ ، فيَظهرُ المريضُ فى حالةٍ غيرِ حالتِه الطَّبيعية ، ويَشْعُرُ شُعوراً مختلفاً ، ويُبدِى آراء تخالفُ آراءهُ وهُو فى حالته الطبيعية الأولَى . ويقومُ بأعمال غريبةٍ آليَّةٍ قد تعَدُّ فوقَ الطاقةِ البشريةِ العاديةِ . ويُسيطرُ عليه فى ذلك الوقتِ العقلُ الباطن . وقد يفكر فى أشياء لا وجودَ لها مطلقاً . وقد يتكلمُ فى أمورٍ بعيدةٍ عن العقل والمنطِق . وقد يعتقد أن له جسمين ينامان فى سَريرَين مختلفين ، والواقعُ أنه جسمٌ واحدٌ له شخصيتان أو أكثر .

وفى حالةِ الذهولِ واضطرابِ الشخصية ، والنوبةِ العصبية ، قد

(١) Dr. Morton Prince.

يَشعرُ بعضُ المرضَى بأنهم فقَدوا أسنانَهم ، أوفقَدوا مَعِدَتهم ، أوأصبحوا بلاَ أرجل ، ومافقَدوا شيئاً من أسنانهم أومَعِدتِهم أوأرجلِهم . ويظن آخرون أن أجسامَهم زجاجيَّةٌ أو خشبيةٌ أو مصنوعة من الزُّبد .

وقد يشعرُ المريضُ بأنه خفيفُ الروح ، ويَزعُمُ بشخصيتِهِ الجديدةِ أنه عنترةُ فى القوةِ والبطولة ، أو أنه ملِكٌ من الملوك ، ويَتخِذ له تاجاً ، ويأمرُ وينهَى ، ويتظاهرُ بمظاهرِ الأُبهةِ والعظمة ، أو أنه إلٰهٌ خالقٌ لهذا العالَمِ ، منظِّمٌ لهذا الكون ، أو أنه أعلمُ العلماء ، وشيخُ الفلاسفةِ ، وكبيرُ المشرِّعين لا آخرَ لعلمه ، ولا نهايةَ لفضله ، أو أنه (فُوردُ) فى ثروته ، مصانعُه لا تتسعُ لها بقاعُ الأرض ، وشركاتُه تحتلُّ الجوَّ ، وتملأُ البحارَ والأنهار ... وما إلى ذلك من التخيلاتِ التى لا حدَّ لها ولا ضابط ، مما يتخيلُه المجانينُ فى كثير من الأحيان .

أمثلة لانقسام الشخصية :

ولْنذكرْ هنا بعضَ الأمثلةِ لانقسام الشخصية ، وتَعاقُبِ شخصيتين ، أو أكثرَ على شخصٍ واحد فى حالاتِ الأمراضِ العقلية والعصبيةِ المزمنةِ عندَ الذهول ، حيث يفْقِدُ المريضُ شعورَه ويَتشَنَّج .

(١) امرأةٌ قضتْ شطراً من حياتها فى العُهر، تلك الرذيلة التى يَنْدَى لها جبينُ الإنسانية، ثم ذهبتْ إلى الدير — وقد قُضِىَ على أعصابها — لتقضِىَ الشَّطرَ الأخيرَ من حياتها فى الرَّهبانية.

ففى أثناء النَّوبةِ العصبيةِ كانت تتعاقبُ عليها حالتان: حالةُ العُهر، وحالة الرَّهبانيَّة، فتتكلمُ آونةً بلسانِ العاهر معتقدةً أنها عاهر، فى وقت ليست فيه بالعاهر. وتتكلمُ حيناً بلسان الراهبة مُمثِّلةً حياةَ الراهبة. وفى كلتا الحالتين يتغيَّر صوتُها وحديثُها وأفكارُها، وتتبدَّلُ حالُها، وتغيِّرُ ملابسَها، وتجدها فى حالةٍ غيرِ حالتِها الطبيعيَّة وقتَ اليقظةِ كأنها امرأةٌ أخرى، وشخصٌ آخر، وكأن المتكلمةَ شخصيَّةٌ أخرى غيرُ الشخصيَّةِ التى تعرفها من قبل، شخصيةٌ جديدةٌ مختلفةٌ كلَّ الاختلاف، ولا عهدَ لك بها.

(٢) ضابطٌ فرنسىٌّ أُنتابته الأمراضُ العصبيةُ بعد الحربِ العالَمية الكبرى الأُولى فتركَ حياةَ الجندية، وانتسبَ إلى الدير ليَحْيا حياةَ الرهبانية، فكان أحياناً فى حالةِ ذُهوله يتخيلُ أنه رجعَ إلى الجندية، وأصبح جنديًّا كما كان، فيحلِقُ ذقنَه. ويقصُّ شاربَه، ويخلعُ ملابسَ الرهبَنَةِ،

ويلبسُ ملابسَ الجندى ، ويُغيرُ عادتَه ، ويتحدثُ حديثَ الضباط ، ويسيرُ سيرَهم ، ويظهرُ بشخصيته الأولَى ، حتى يَظنَّ من رآه أنهُ عاد ضابطاً كما كان .

(٣) ولدٌ كان مريضاً بالماليخوليا ، لم يجدْ فى طفولتِه أىَّ عناية ، وحُرِمَ كلَّ شىء يُدعَى تربيةً أو تعليما . كان الشارعُ مأواه ، والطريقُ ملجأَه ، والاستجداءُ مِهنتَه ، يَستجدِى حيناً ، ويَسرق حين لا يجدُ من يُعطِى . أخذ يسرقُ حتى حُكم عليه ، فأُخِذ إلى إصلاحيةِ الأحداث ، وهناك تعلمَ صناعةَ الخياطة . وفى بعض الأحيان عند ذهولِه واضطرابِه تعودُ إليه شخصيتُهُ الأولى ، فينسَى حياتَه الأخيرة ، وينسى معها الخياطةَ ، ولا يتذكرُ شيئاً عنها ، ولا يستطيعُ أن يخيطَ شيئاً . ويصبحُ ثانية مثلاً للشريدِ الطريد ، واللصِّ الماهر ، والسائلِ المسكين ، فينتقلُ من الحالة الجديدة : حالةِ النظامِ وحسنِ السلوك إلى حالتِه الأولى ؛ حالةِ التشردِ والسرقةِ ، والبذاءةِ والاستجداء .

(٤) ومما يُؤثَر عن ابنِ سينا : أن رجلاً أُصيبَ بالماليخُوليا ، قد أخذَ منه المرضُ كلَّ مأخَذٍ ، حتى وصلَتْ به الحالُ إلى أن كانَ يعتقدُ

أنه أصبحَ بقرةً ، وقد امتنعَ عن الطعامِ والشَّرابِ مع بَنِى الإنسان ، وصارَ يُحاكِى الأبقارَ فى خوارِها ، ويحبُّ تَعهدَ أمكنتِها ، والأكلَ معها ، وما زال كذلكَ حتى خارتْ قُواه ، وضَعُفَ جسمُه ، فعرَضَه ذَوُوه على الأطباء ، فعجَزوا عن علاجِه ، وكان ابنُ سينا — إذ ذاك — مشهورًا بمهارتِه فى التطبيبِ وعلاجِ مَرضَى العقولِ ، فلم يكنْ هناكَ مَفرٌّ من استدعائِه لمعالجةِ هذا المريضِ . فلما حَضَرَ أمرَ بإحضارِ المريضِ أمامَه ، فلما مَثَل بين يديه ، قال له ابنُ سِينا : ما بالُكَ ، وما الذى حلَّ بك ؟

فأجابه : لَم يحل بى شىءٌ سِوَى أننى أصبحتُ بقرةً ؛ آكلُ ما تأكلُ البقرُ ، وأفعلُ ما تفعلُ ، فقال له : إذَنْ نذبحَك ، قال : افعل ما تشاء . فأمَرَ ابنُ سينا بأن يُقيَّدَ المريضُ بحبلٍ ، ويُلقَى على الأرضِ ، ويُؤتَى بسكينٍ حادٍّ . فلما أُتِىَ إليهِ بالسكين أخذَه ، وأهوَى على المريضِ متظاهرًا بأنه يريدُ ذبحَهُ ، فلما قَرُب من نحرِه ، والسكينُ فى يدِه ، قال له : ما بالُ هذه البقرةِ هزيلةً ؟ إنها لا تصلحُ للذبحِ . قال : نعمْ ، إنها تصلحُ للذبح فاذبحْ . فقال : لا ،

لن أذبحها حتى تمتلئ لحماً وشحماً . فقال : وماذا أفعلُ حتى أصيرَ سميناً ؟ فأجابهُ : تأكلُ كثيراً ، وتشربُ كما يأكلُ الناسُ ويشربون . فقال : أو تذبحنى إن فعلتُ وأصبحتُ سميناً ؟ فقال : نعم . ثم أخذَ على نفسِه العهودَ والمواثيقَ أن يفعل كما أُمِرَ . وأخذَ يأكلُ ويشربُ فى حالٍ عاديةٍ ، فعادتْ إليه صحتُه الطبيعيةُ ، وقَوِىَ جسمُه ، فارتدَّ إليه عقلُه ، وذهبَ عنه المرضُ .

ثم زاره ابنُ سينا بعدَ ذلك ، فلما رآه سليمَ الجسمِ والعقلِ ، قال : ما بالُ هذه البقرةِ قد سمنَتْ ؟ فأجابَ : نعم وقد أصبحَتْ عاقلةً .

وقد رُوِىَ أنه عُرِضَ على ابنِ سينا[1] أحدُ الأمراء ، وقد أعيا الأطباءَ أمرُه ، فلما رآه وخاطَبه فى شأنِ مرضِه ، تبينَ له أن مَرَضَهُ هو الحبُّ ؛ ولم يَشأ المريضُ أن يبوحَ باسمِ محبوبتِه . ولما علمَ ابنُ سينا أن شِفاءَ المريضِ متوقفٌ على معرفةِ محبوبتِه ، وإزالةِ ما عندهُ من وِجداناتٍ وعواطفَ كامنةٍ مرتبطةٍ بها ، أخذَ على عاتقِه أن يعرفَ اسمَها بأىِّ وسيلةٍ ، فأمرَ بإحضارِ أكبرِ سكانِ المدينةِ سِنًّا ، فلما حضَر قال له : أتعرفُ شوارعَ هذه المدينةِ وسُكانَها ؟ قال : نعم .

(١) تذكر هذه الحكاية للدلالة على مهارة ابن سينا فى التحليل النفسى .

فأمرَهُ بأن يَذكرَ أسماءَ الشوارعِ شارعًا شارعًا ، وهو قابضٌ على يدِ المريضِ ليتحققَ من مقدارِ سرعةِ نَبضِهِ ، فلما ذَكرَ الرجلُ اسمَ أحدِ الشوارعِ أسرعَ نَبضُ المريضِ ، فأمرَ الرجلَ بأن يَذكرَ أسماءَ الشوارعِ المتفرعةِ من هذا الشارعِ ، فلما أتَى إلى اسمِ أحدِها ازدادتْ سُرعة النبضِ ثانيةً . فأمرَ الرجلَ أن يقصَّ عليه أسماءَ البيوتِ الواقعةِ فى هذا الشارعِ الصغيرِ ، فلاحظَ ابنُ سينا ازديادَ نبضِه عند ذكرِ أحدِ البيوتِ ، فقال له : أخبرنى عن أسماءِ سكانِ هذا البيتِ من الفتيَاتِ . فلما أتَى اسمُ المحبوبةِ أسرعَ النبض . فالتفتَ ابن سيناَ إلى المريضِ ، وقال له : أليستْ هذهِ محبوبتَك ؟ فأجابه : نعم ، وبالبحثِ علم أنها ابنةُ عمِّه ، وأن الشابَّ كان يُحبها حبًّا جمًّا ، ولم يَجرُؤ أن يُذيعَ سِرَّهُ خوفًا من أهلِه ، ولكنهم لما علموا أن شِفاءه فى التزوج بها زفوُّها إليهِ ، فبرئَ من مَرضِه ، وعادَ إلى حالتِه الطبيعيةِ . فسبحانَ مَنْ يَعلمُ السرَّ وأخفَى .

وهناكَ حالاتٌ أخرى وأمثلةٌ كثيرة ، يَضيق المقام عن ذكرها ، فارجع إليها فى كتاب (بينيه) السابق الذكر ، أو فى كتاب

(ما كْنِيش[1]) إذا أردت .

وتلك الحالاتُ كلُّها تبينُ أن الإنسانَ قد تتعددُ شخصيتُه بغير ضابط ، وبغير نظامٍ معين ، فتختلفُ شخصيتُه ، ويختلفُ سلوكه من حالة إلى أخرى ؛ فبينما يكونُ فى حالةِ اليَقَظةِ هادئاً ساكناً وديعاً إذ يكونُ فى حالة الذهولِ شَكِساً غَضوباً شريراً .

وبقوةِ العقلِ الباطنِ تحتلُّ الشخصيةُ الثانية أو الشاذةُ مكانَ الشخصيةِ الأُولَى أو الطبيعيَّةِ بالتدريج . وفى أثناءِ النَّوبةِ قد يتذكر المريض تجاربَه السابقة ، وما حدثَ له فى الماضى ، ويتكلمُ كأنه يتكلمُ عن شخص آخرَ . وبعد اليقَظةِ لا يستطيع أن يتذكرَ ما قاله أو فعلَه وهو فى حالتِه الشاذة ، إلا بطريقةِ الإيحاء إذا نُوِّمَ .

وقد تتجسسُ الشخصيةُ الثانية عَلَى الشخصيةِ الأولى ، فتلاحظُها من وراءِ ستارٍ ، وعَلَى هذا ينقسم الشخصُ قسمين يعملان فى وقت واحد ، ولكنْ فى جهتين مختلفتين .

وبالطريقة الآتيةِ قد ردَّ الدكتور (مُورْتُون پرِنْس) على من

(١) The Philosophy of SIeep, by Mac Nish (1930.)

يشكُّ فى وجودِ شخصيةٍ ثانية ؛ فقد أستطاع أن يمكِّنَ فتاةً من أن تنتقلَ من حالتِها الطبيعيةِ إلى الحالةِ الشاذة ، ثم يعيدَها إلى حالتِها الأولى بطريقةٍ تشبه طريقةَ التنويمِ المغنطيسىِّ ، وأخبرها وهى فى أثناء نومها أنها مكلَّفةٌ أن تحلَّ مسائلَ حسابيةً مُعينة ، ولم يُرِها الأعدادَ الحقيقيَّةَ فى الجواب . رجعتْ إلى حالتِها الأولى وهى حالة اليقظة ، فأراها إياها مدةً وجيزةً من الزمن . ولما نوِّمتْ مرةً ثانية وسُئلتْ عن الأجوبة ، أجابت فى الحال وقالت : إن الأجوبةَ كانت حاضرةً لديها ، وكانت تنتظرُ إعلانَها بفارغ صبر . وهذا على الأقل مظهرٌ من المظاهر التى تؤيِّد رأىَ (الدكتور برِنْس) : وهو أنَّ جزأَيْن مختلفين من الشخص كانا يعملانِ فى وقت واحد عمداً . ولكن هل يحدثُ مثلُ ذلك فى الحياةِ العادية ؟ نعم يحدثُ للإنسان أمْران ؛ أحدُهما محزِن ، وَالآخرُ سارٌّ ، فى وقت واحد ؛ فبينما تراه حزيناً لفقدِ عزيزلديه مثلاً ، إذ تراه مسروراً لربحِهِ عشرة آلاف من الدنانير فى التجارةِ فى ذلك اليوم .

أسبابُ انقسامِ الشخصية

وما يعترى المريضَ فى حالتهِ غيرِ الطبيعية

إنَّ انقسام الشخصيَّةِ حالةٌ غيرُ طبيعيةٍ للإنسانِ ، تنشأ عن صَدْمَة وِجدانيةٍ عنيفة ، أوحادثةٍ مُرْعبةٍ ، أو مفاجآتٍ كلها أهوال ونكبات ، فتختلُّ أعصابُ الشخص ، ويضطربُ عقلُه ، وَتتبدلُ حالته الطبيعية ، وتتغير إلى حالةٍ أوحالات أخرى يختلفُ الشخصُ فى أثنائها فى تفكيره وآرائهِ ، وصوته وشعورِهِ ، وميله ، ومزاجه ، وأقواله وأفعاله . والانتقالُ من حالةٍ إلى أخرى قد يصحَبه نومٌ عميقٌ أو غيبوبة ؛ بأن يَمكثَ مدةً لا يَشْعرُ فيها بشىء . وقد يُلاحَظُ هذا الانتقالُ قبلَ حدوثه ، وقد يظهَرُ التغيرُ بَغتةً ، كما قد يَختفى بغتةً فى غير الموعد المعروف .

وقد حدث أن رجلاً سكِّيراً وجد ابنتَه الصغيرةَ التى تبلغ من العمر أربعَ سنوات نائمةً فى سريره ، فألقاها وهو فى حالةِ السكرِ على الأرض بعُنف ، ففزِعت الطفلةُ أيَّما فزَع . ومن تلك اللحظةِ تغيرتْ شخصيتها ؛ فبعد أن كانت فِرحةً مَرِحةً مبتسمةً ضاحكة ، أصبحتْ

فى حالةٍ أخرى ، تمثلُ الكآبةَ الدائمةَ ، والحزنَ المستمر ، وأخذَت الأمراضُ العصبيةُ تنتابها حتى قضَت نَحبَها فى العاشرة من عمرها ، ولسانُ حالها يقول :

*

هذا جَناهُ أبِي عَلَيَّ وما جنيتُ على أحد

وذهبَت الفتاةُ ضحيةَ السُّكرِ وسوءِ التصرف .

والشخصيةُ الثانيةُ قد تَرِثُ الشخصيةَ الأولَى علماً وعملاً ، وربما لا تَرِثها مطلقاً ؛ فيُتركُ الفردُ كأنه طفلٌ حديثُ الولادة ، لا يعلمُ عن الحياة شيئاً ، ولا خبرةَ له بشىء ، وعليه أن يتعلمَ كلَّ شىء من جديد ، وإن كان يُرَى كبيرًا فى جسمه . وقد يكون التغيرُ وقتيًّا فى ساعاتٍ مُعَيَّنةٍ ، من أيامٍ معيَّنة ، وقد يكون دائماً .

تحليلُ الشخصية

وبالتنويم المغنطيسىِّ ، والتنويم الصناعىِّ أو الطبىِّ بالمخدِّرات المختلِفة[1] تمكنُ دراسةُ بعض الحالاتِ العصبية وتحليل الشخصية .

(١) التنويم بالكلوروفورم أو الكوكايين أو الأثير .

والمنوَّمُ وإن كان فاقداً لشعوره ، لا يَدرِى ما يدور حولَه[1] ، يمكنه أن يُحِسَّ تحت تأثيرِ الإيحاء .

ويُعَدُّ اضطرابُ الشخصيةِ حالةً من الحالات الشاذَّة كحالةِ مَشْى النائم ، وقيامِه بأشياء غريبة تحت تأثيرِ العقلِ الباطِنِ تُعَدُّ من المحال وقتَ اليقَظة .

وتختلفُ الشخصيةُ الثانيةُ عن الأولَى كلَّ الاختلاف . وفى حالةِ التنويم يمكنُ أن تُذكَرَ الحالاتُ المنسيَّةُ بسبب المرضِ واضطرابِ الشخصية .

وعلى أىِّ حال لا يمكننا أن نعتمدَ من الوجهةِ العلميةِ الدقيقةِ على النتائج التى يمكن الوصولُ إليها بمثل هذا التحليل .

وختاماً أسأل اللهَ الهدايةَ والتوفيق .

---

(١) إذا كان التخدير عاما وغير موضعى .

المراجع العربية

(١) البيان والتبيين للجاحظ .

(٢) كتاب الأذكياء لابن الجوزى .

(٣) نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ، طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٦ .

(٤) الإحياء للغزالى .

(٥) الأمالى لأبى على القالى — طبعة بولاق سنة ١٣٢٤ هـ .

(٦) العمدة لابن رشيق — طبعة الخانجى سنة ١٩٠٧ .

(٧) زهر الآداب للحصرى القيروانى — شرح الدكتور زكى مبارك .

(٨) مقامات بديع الزمان الهمذانى — (طبعة اليسوعيين)

(٩) مجانى الأدب فى حدائق العرب ، للأب لويس شيخو اليسوعى (طبعة اليسوعيين ١٩١٣) .

(١٠) الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى .

(١١) ثمرات الأوراق للحموى .

(١٢) الصناعتين لأبى هلال العسكرى .

(١٣) التربية الإنكليزية للمؤلف .

(١٤) فى علم النفس (ثلاثة أجزاء) للمؤلف مع الأستاذ حامد عبد القادر .

المراجع الإنجليزية

1. Alterations of personality, by Binet, Eng. trans, 1896.
2. Dictionary of philosophy and psychology, Edited by J. M. Baldwin, vol. 11, pp. 284—86.
3. Psychology, by Woodworth. ch. XXI.
4. An Outline of psychology, by William Mc. Dougall, ch. XVIII.
5. Manual of psychology, by Stout, Bk. IV. chaps VII and X.
6. Character and the Conduct of Life, by W. Mc. Dougall, chaps, V and X.
7. Psychology for Teachers, by Lloyed Morgan, ch. X.
8. Psychology of Education, by Welton, ch. XIII.
9. Introduction to psychology, by Loveday and Green, ch. XVI.
10. The Changing School, by P. B. Ballard, ch. VII.
11. Education: Its Data and First principles, by Sir percy Nunn.
12. The philosophy of Sleep, Mac Nish, 1930.
13. Diseases of personality, by Ribot, Eng trans. 1891.
14. Life of Gladstone, by John Morley.

فهرس الأعـــلام

(ا)

إبراهيم بن الحسن بن سهل : ٥٣
أبراهام لنكولن : ١٠، ٣٩، ٥٨، ٥٩ — ٦٠، ١٥٥
إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك : ٧٧ — ٧٩
إبراهيم بن المهدى : ٧٢
الأبرش الكلبي : ٥٣
ابن الأثير : ١٢١ — ١٢٢
ابن التوام : ١٢٨
ابن الجوزى : ٣٠، ٨٤
ابن الرومى : ١٠٨
ابن زياد : ٣٥
ابن سينا : ٢٢٢
ابن عبد السلام الهاشمى : ٣٠
ابن مسكويه : ٩٧
ابن المعتز : ٧٤
أبو إسحق محمد المعتصم : ١٩١، ١٩٣
أبو العتاهية : ٩٤، ١١٥
أبو أمامة : ١١٢
أبو بكر (رضى الله عنه) : ٨٣
أبو تمام (الطائى) : ٢٨ — ٢٩، ١١٤
أبو جعفر المنصور : ٢٥، ٢٠١
أبو حامد الخراسانى : ٣٠
أبو حنيفة : ٣٤
أبو سفيان : ٥٦
أبو الشيص : ١٠٧
أبو العباس السفاح : ٧٧
أبو عبد الله بن جعفر : ٧٣
أبو العلاء المعرى : ٣٥
أبو العميثل : ٢٩
أبو هلال العسكرى : ٧٦
أبو يوسف يعقوب الكندى : ٢٩
أحمد بن طولون : ٣٨
أحمد بن المعتصم (أمير عباسى) : ٢٨
الأحنف بن قيس : ٧٣، ٧٩، ١٢٩ — ١٣٠
الأدرع : ٨٤، ٨٦
إدريسون : ١٥، ١٥٧
أرسطو : ٤٨
إسحق نيوتن : ١٥، ١٩٨
الإسكندر الأكبر : ٦٣، ١٠٣، ١٩٩، ٢٠١
أشج عبد القيس : ٧٥
أف برى (اللورد) : ١٧٨
الأفعى الجرهمى : ٢٠ — ٢١
أفلاطون : ٤٨، ١٢٠
إمرسون : ١٦١، ٢٠٣، ٢١٠
أنمار : ١٩ — ٢١
أوليفر جولد سمث : ٦١
إياد : ١٩ — ٢١
إياس القاضى : ٢٤ — ٢٥، ٢٨

(ب)

باستور (لويس) : ١١٥

البحترى : ١٠٠
بدروسكى : ١٦١
بديع الزمان الهمذانى : ١٧٤
برسى تن « السير » : ١٢
برونتج (روبرت) ١٦٩
بليريوت : ١٤٦
بيبا : ١٦٩
بيكون (فرنسيس) : ١٧٨
بينيه : ٢٢٥

(ت)

تميم بن جميل : ١٩١
تنسون : ١٦١

(ث)

ثمامة بن الأشرس : ٢٩

(ج)

الجاحظ : ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٨
جرير : ٨٣
جعفر الصادق : ٦٦ ، ٧٥
جعفر بن يحيى البرمكى : ١٢٦ — ١٢٧
جلادستون (المستر) : ٢١١
جن جاك روسو : ١٨٤
جورج واشنطون : ١٥ ، ٤١ ، ٨٠ ، ١٩٩
جوستاف لوبون : ١٣٨
جون بنيان : ٢٠٦
جيته (الفيلسوف الألمانى) : ١٧٦

(ح)

حاتم الطائى : ١٤
الحجاج : ٣١ ، ٣٢ — ٣٣ ، ٩٥ ، ١٣٠
الحسن (رضى الله عنه) ٦٥ ، ١٢٨ ، ١٩٦
حمة بن رافع الدوسى : ١١٧

(خ)

خالد بن عبد الله : ٥٧
خالد بن الوليد : ١٥ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٩٥ ، ١٩٩

(د)

درواس بن حبيب : ١٣٢ — ١٣٣
دزرائيلى : ١٣٦ ، ١٥٦
دكنز (شارلز) : ١٤ ، ١٥٦

(ر)

ربيعة : ١٩ — ٢١
رسكن : ١٦٥
الركاض (صبى) : ٢٦
روبنسن كروزو : ١٣٦ — ١٣٨

(ز)

الزرقاء بنت عدى : ٩٠ — ٩٥

(س)

سالم (غلام رجل من الأنصار) : ١٠٤
ستيفنسون (روبرت لويس) : ٢١٢
سرى السقطى : ٧٥
سعد زغلول : ١٥ ، ١٦٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٦
سقراط : ٧٤ ، ١٢٠
سليمان بن عبد الله : ١٠٠
سليمان بن عبد الملك : ٥٧

سنكا : ٤٨
سهل بن هارون : ١٢٧ — ١٢٨

(ش)

شارلى شابلن : ١٥
شاند : ١٣٩
شريح القاضى : ٣١
شلى (پرسى بيش) : ٢١٥
الشيبانى : ١٠٧

(ص)

صامويل جونسون : ٦٠
صلاح الدين الأيوبى : ١٥

(ض)

ضابئ بن الحارث : ١٩٦
ضرار الصدائى : ٨٨

(ع)

عامر بن الظرب العدوانى : ١١٧
عامر بن عبد القديس : ١٢٨
العباس بن عبد المطلب : ١٩
عبد الله بن أبى بكرة : ٥٤
عبد الله بن الزبير : ٦٧
عبد الله بن طاهر : ٢٩
عبد الله بن قيس الرقيات : ١٢٥
عبد الملك بن مروان : ٢٨ ، ٥٥ ، ١١٧ ، ١٨٩
عقيبة (الربانى الإسرائيلى) : ١٦٥
على بن أبى طالب : ٨٨ ، ١١٢ ، ١٩٦
عمر بن الخطاب : ١٥ ، ٥٠ — ٥٢ ، ٦٧ ، ٨١ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٩٦
عمر بن عبد العزيز ٢٥ ، ١١٤ ، ١٥٤
عمرو بن مسعدة : ٥٣ — ٥٤
عنترة العبسى : ٩٩
عيينة بن حصن : ١١٨

(غ)

غاندى الزعيم الهندى (مهاتما) : ١١٥

(ف)

فرعون : ١٢٣
فوول بكستون : ١٩٩

(ق)

قتيبة بن مسلم : ١٠٧
قتيلة بنت النضر بن الحارث : ٤٩
قيس بن عاصم المنقرى : ٧٣

(ك)

كارليل (توماس) : ١٦٥
كثير عزة : ١١٦ — ١١٧
كرزلر : ١٦١
كسرى (أحد ملوك فارس) : ١١٨

(ل)

لقمان الحكيم : ٧٤
لويد جورج (المستر) : ٤٣

(م)

مارتن لوثر : ١٦٥

مارك توين : ١٧٨
مارك رذرفورد : ٢٠٤
ماكنيش : ٢٢٦
ماكولى الأسكتلندى (اللورد) : ٤١
المأمون : ٢٧ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١١٦
المتوكل (الخليفة العباسى) : ١٢٠
محمد بن حميد الطوسى : ٥٦ — ٥٧
محمد بن عبد الله (رسول الله صلى الله عليه وسلم) : ١١ ، ٤٩ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٢٦
محمد عبده (الإمام) : ١٦٥
محمد فريد : ١٥
المختار : ١٢٥
المدائنى : ٣٥
المسيح = عيسى بن مريم عليه السلام ٧١ ، ١١٣ ، ١٩٧
مسيلمة الكذاب : ١٥
مصطفى كامل : ١٥
مصعب بن الزبير : ١٢٥ — ١٢٦
مضر : ١٩
معاوية : ١٥ ، ٢٨ ، ٧٦ ، ٨٨ — ٩٥ ، ١٠٢
المعتصم : ٦٣ ، ١٩١
مكدوجل (وليام) : ١٣٩ ، ١٤٢
مَكِّن : ١٣٩
المهدى : ٥٣
مورتون برنس (الدكتور) : ٢١٩ ، ٢٢٦
مورق العجلى : ٧٤
موسى (عليه السلام) : ١٢٣
موسى الهادى : ٣٦

(ن)

النابغة الذبيانى : ٥٤
نابليون بونابرت (إمبراطور فرنسا) : ١٥ ، ٤٥ ، ٨٧ — ٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١
النجاشى : ١١٣
نزار : ١٩ — ٢١
النضر بن الحارث : ٤٩

(هـ)

هارون الرشيد : ٢٦ ، ٥٧ ، ١١٤
هارون بن عمران : ١٢٣
هربرت سبنسر : ٨٠
هشام بن عبد الملك : ٥٣ ، ١٣٢ — ١٣٣
هليل : ١٦٥
هيرودوس : ١٤

(و)

وردسورث : ١٥٣ ، ١٦٢
ولبرفورس : ١٩٩
وليام بت : ١٩٥
وليام هازلت : ١٧٤
وولترسكوت (السير) : ٤٧ ، ١٧٩
ولتون : ١٣٩

(ى)

يحيى بن أكثم : ٧١
يحيى بن حيان : ١١٨
يزيد بن معاوية : ٧٦
يسار (غلام رجل من الأنصار) : ١٠٤
يوسف بن يعقوب بن إبراهيم : ١١٨
يونس بن حبيب : ١٢٧

الفهرس التفصيلى

ص	الموضوع
٣	مقدمة الطبعة الثانية
٥	« « الأولى
	الفصل الأول
٧	مقدمة
٩	تعريف الشخصية
١١	الشخصية هبة فطرية أم صفة مكتسبة ؟
١٣	الاختلاف فى الشخصية
	الفصل الثانى
١٦	العناصر الجوهرية التى تتكون منها الشخصية القوية
١٦	الجاذبية وتعريفها
١٧	بماذا يجتذب الإنسان غيره من الناس؟
	الفصل الثالث
١٨	النشاط العقلى أو الذكاء
١٩	أثر الذكاء فى شخصية الإنسان
١٩	ذكاء أولاد نزار
٢١	ذكاء أحد الهنود الحمر
٢٤	ذكاء إياس القاضى
٢٥	ذكاء معن بن زائدة
٢٥	غلام ذكى وعمر بن عبد العزيز
٢٦	الركاض والرشيد
٢٦	الولد النجيب والخليفة

ص	الموضوع
٢٧	المأمون والحسن بن رجاء
٢٧	الأصمعى والغلام العربى
٢٨	ذكاء إياس بن معاوية
٢٩	رأى الفيلسوف يعقوب الكندى فى أبى تمام
٢٩	أبو تمام وعبد الله بن طاهر
٢٩	ثمامة بن أشرس والصبى
٣٠	أبو حامد الخراسانى القاضى والعجوز
٣١	الحجاج وامرأة من الخوارج
٣١	شريح القاضى
٣٢	الحجاج والأعرابى
٣٣	الحجاج وأحد الشيوخ
٣٣	حيلة الإمام أبى حنيفة فى القبض على اللصوص
٣٤	الإمام أبو حنيفة والأعرابى
٣٥	ذكاء جارية
٣٦	موسى الهادى والتخلص من الخارجى
٣٧	الأعرابى والأمير
٣٨	أحمد بن طولون والجاسوس
٣٩	ذكاء نديم
٣٩	أثر ذكاء « أبراهام لنكولن »
٤١	حضور بديهة « اللورد ماكولى »
٤٢	سرعة الخاطر لدى « المستر لويد جورج »

ص	الموضوع
	الفصل الرابع
٤٤	المشاركة الوجدانية وأثرها فى الشخصية
٤٥	قسوة « نابليون »
٤٥	الرؤساء والمشاركة الوجدانية
٤٧	(السير وولتر سكوت) والمشاركة الوجدانية
٤٩	قتيلة بنت النضر
٥٠	تتمثل المشاركة الوجدانية فى سيدنا عمر بن الخطاب
٥٣	عطف المهدى على أعرابية
٥٣	عطف المأمون على عمرو بن مسعدة
٥٤	رأفة عبد الله بن أبى بكرة بأعرابية
٥٥	عفو المأمون عن رجل أذنب
٥٥	عفو عبد الملك بن مروان عن رجل بعد الأمر بقتله
٥٥	إحسان محمد بن حميد الطوسى إلى من أساء إليه
٥٧	عفو سليمان بن عبد الملك
٥٨	حكايات عن (أبراهام لنكولن) تتمثل فيها المشاركة الوجدانية
٦٠	(صامويل جونسون) وعطفه على البائسين
٦١	الطبيب أوليفر جولد سمث
	الفصل الخامس
٦٢	الشجاعة فضيلة
٦٣	المعتصم والجبان

ص	الموضوع
٦٥	مظاهر الشجاعة
٦٥	الشجاعة فى ضبط النفس
٦٥	الحسن بن على وضبط النفس
٦٦	جعفر الصادق وضبط النفس
٦٨	المخاوف الوهمية تكثر عند ضعف الشخصية
٧٠	الشجاعة في مقاومة مصاعب الحياة
٧١	« المسيح عليه السلام » وضبط النفس
٧١	عفو المأمون
٧٢	إبراهيم بن المهدى والمأمون
٧٣	الجارية وأبو عبدالله بن جعفر
٧٣	حلم الأحنف بن قيس
٧٤	ما قاله لقمان وقيس بن عاصم وبعض الفلاسفة فى الحلم
٧٥	أوجه الحلم
٧٧	إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك
٨٠	رأى (هربرت سبنسر) فى ضبط النفس
٨٠	(جورج واشنطون) وكتمان الشعور
٨٠	الشجاعة فى التغلب على الصعاب
٨١	شجاعة عمر بن الخطاب
٨١	شجاعة خالد بن الوليد
٨٤	جرأة الأدرع
٨٦	شجاعة ملك الفرس
٨٧	إقدام (نابليون بونابرت)

ص	الموضوع
٨٨	الشجاعة في إبداء الرأى
٨٨	شجاعة ضرار الصدائى فى وصفه لسيدنا على
٩٠	معاوية والزرقاء
٩٥	الحجاج والاعتراض عليه فى إطالة الخطبة
	الفصل السادس
٩٦	الحكمة وسداد الرأى
٩٧	رأى ابن مسكويه فى الحكمة
٩٩	حزم عنترة العبسى
١٠٠	أحزم الناس وأخرقهم
١٠٠	ماقاله البحترى فى سليمان بن عبد الله
١٠١	ما تتطلبه الحكمة قبل الشروع فى الفعل
١٠١	ما يحول دون الحكمة
١٠٢	حزم معاوية بن أبى سفيان وحلمه
١٠٣	الإسكندر الأكبر
	الفصل السابع
١٠٤	التفاؤل . وتمثله لدى الرسول الكامل
١٠٥	ينشأ التشاؤم عن ضعف النشاط ووهن الرقابة العقلية
١٠٧	تفاؤل قتيبة بن مسلم
١٠٧	ما قيل فى التفاؤل والتشاؤم
١٠٨	ابن الرومى كان كثير التطير
١٠٩	لا تزال روح التشاؤم سائدة فى الخرافات

ص	الموضوع
	الفصل الثامن
١١٠	التواضع أساس للشخصية المحبوبة
١١١	التواضع فى غير ذلة سبيل النجاح
١١٢	تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم
١١٣	تواضع سيدنا عمر وعمر بن عبد العزيز والنجاشى
١١٥	تواضع (لويس باستور) العالم الفرنسى
١١٥	تواضع (المهاتما غاندى)
١١٦	التصنع والتظاهر والجعجعة من علامات الضعف
١١٦	ليس من الحكمة أن يفتر الإنسان بالمظاهر
١١٧	ماقاله حمة بن رافع الدوسى عند ملك من ملوك حمير
١١٨	ابن الأخيار وابن الأشرار
	الفصل التاسع
١١٩	حسن مظهر الإنسان وقوامه وأثره فى الشخصية
١٢٠	إن من يشعر بنقص جسمى يتجمل ليكمل ذلك النقص
١٢٠	شخصية سقراط
١٢٠	شخصية الجاحظ
١٢١	ابن الأثير
	الفصل العاشر
١٢٣	قوة البيان تكسب الإنسان شخصية قوية

ص	الموضوع
١٢٣	موسى وفرعون وهرون
١٢٥	تأثر مصعب بن الزبير بطلاوة العبارة
١٢٦	آراء الجاحظ فى البيان والتبيين
١٢٦	جعفر بن يحيى البرمكى وقوة البيان
١٢٧	ما قاله سهل بن هرون ، ويونس بن حبيب ، وابن التوام فى البيان
١٢٨	ماقاله عامر بن عبد القيس فى قوة البيان
١٢٩	تأثر عمر بن الخطاب بحسن بيان الأحنف بن قيس
١٣٠	الحجاج وفصاحة الفتيان الثلاثة
١٣٢	درواس وهشام بن عبد الملك
	الفصل الحادى عشر
١٣٤	الثقة بالنفس والاعتماد عليها
١٣٤	ينبغى أن نعود الأطفال الاستقلال الشخصى
١٣٥	مايتطلبه الاعتماد على النفس من الأمور
١٣٦	الرجل الواثق بنفسه وقوله وفعله يستطيع أن يقف وحده مناديا برأيه
١٣٦	روبنسن كروزو والاعتماد على النفس
١٣٦	المصلحون يسبقون فى آرائهم المجتمع الذى يعيشون فيه بعشرات السنين
١٣٨	رأى (جوستاف لوبون) فى الثقة بالنفس
	الفصل الثانى عشر
١٣٩	تعريف المزاج

ص	الموضوع
١٣٩	اعتدال المزاج وأثره فى الشخصية
١٤٠	اختلاف الناس فى الأمزجة
١٤٠	أقسام الأمزجة
١٤٠	آراء العلماء قديماً وحديثاً فى الأمزجة
١٤٢	تأثر المزاج بالمواد الكيميائية وإفرازات الغدد
١٤٣	العناصر التى يجب أن تحقق فى الشخصية القوية
	الفصل الثالث عشر
١٤٤	أنواع الشخصية
١٤٤	الشخصية العملية
١٤٥	الشخصية العملية أكثر أثراً فى الحياة من الشخصية الخيالية
١٤٦	عناية التربية فيما مضى بالعلم أكثر من العمل
١٤٧	يجب أن يكون العلم وسيلة للعمل
١٤٩	يكاد العالم المادى يقضى على العالم الروحى
١٤٩	هل يمكن الجمع بين الروح والمادة فى آن واحد ؟
١٥١	العزيمة الصادقة سر عظيم من أسرار الشخصية العملية
	الفصل الرابع عشر
١٥٢	وسائل تقوية الشخصية العملية
١٥٢	يجب تحديد الغرض ومعرفة الطريق الموصل

ص	الموضوع
١٥٣	رأى (وردسورث) الشاعر الإنكليزى فى تعيين الغرض
١٥٤	عمر بن عبد العزيز وعلو الهمة
١٥٤	الرغبة فى العمل وأثرها فى النجاح
١٥٥	رغبة (أبراهام لنكولن) فى تحرير العبيد
١٥٦	رغبة (شارلز دكنز) فى الإصلاح الاجتماعى
١٥٦	رغبة (دزرائيلى) فى شراء أسهم قناة السويس خلدت ذكره بين الإنكليز
١٥٧	إديسون والأعمال (الميكانيكية)
١٥٨	الرغبة نوعان : مباشرة وغير مباشرة
١٥٩	المثل الأعلى فى أن نعمل رغبة فى العمل
١٦٠	للحصول على شخصية عملية قوية يجب أن يصحب العمل برغبة طبيعية
١٦٠	الشعور بالواجب خير كفيل لمضاعفة العزيمة
١٦١	(إمرسون) والشعور بالواجب
١٦١	العلاقة بين الشخصية والشعور بالواجب
١٦١	آثار (بدروسكى) و (كرزل) فى جمال الموسيقا
١٦٢	آثار (تنسون) و (وردسورث) فى روعة الشعر
١٦٢	الضمير الحى وأثره فى الشخصيات الخالدة

ص	الموضوع
١٦٣	الزعيم الخالد سعد زغلول باشا والعظمة الإنسانية
١٦٣	قوة الوازع الدينى والشخصية
١٦٥	المصلحون من المسلمين
١٦٥	(هليل) والربانى (عقيبة) من الإسرائيليين
١٦٥	مارتن لوثر ، وكارليل ، ورسكن من المسيحيين

الفصل الخامس عشر

ص	الموضوع
١٦٨	الشخصية الفكرية أو الخلقية
١٦٨	فى العمل تتمثل روح صاحبه وأفكاره وأخلاقه .
١٦٩	وصف (روبرت برونتج) شخصية (بيبا)
١٧٠	الشخصية القوية وأثرها فى النجاح
١٧١	الشخصية القوية لا تستدعى جلبة ولا ضوضاء
١٧٢	الفرق بين الشخصيتين : العملية والفكرية
١٧٣	الصفات التى يجب أن تتحقق فى الشخصية الفكرية أو الخلقية
١٧٣	الهدوء العقلى
١٧٤	عن أى شىء ينشأ الاضطراب العقلى؟
١٧٤	(وليام هازلت) ومجزه عن ضبط نفسه
١٧٥	الرضا بالحياة مع العمل
١٧٦	قناعة عيسى عليه السلام

ص	الموضوع
١٧٦	(جيته الألمانى) وميله للمعارضة
١٧٨	(اللورد أف برى) ورأيه فى السعى للنجاح فى الحياة
١٧٨	(مارك توين) والمحافظة على الآمال
١٧٨	(بيكون) ووجوب السعى
١٧٨	البشاشة ورُحب الصدر
١٧٩	شخصية (السير وولترسكوت) تتمثل فى متانة أخلاقه
١٧٩	من مظاهر قوة الشخصية الفكرية التغلب على العاطفة
	الفصل السادس عشر
١٨١	مضعفات الشخصية
١٨١	اتكال الشخص على غيره
١٨١	التأثر بالعادات والتقاليد
١٨٢	الشخصية لا يمكن أن تنمو فى قفص من حديد
١٨٣	فى التمسك بالأفكار التى تقرأ تحكم فى الشخصية
١٨٤	(جن جاك روسو) وتربية الشخصية
١٨٥	من مضعفات الشخصية تحكم ميول الشخص فيه
	الفصل السابع عشر
١٨٦	الصفات الكمالية للشخصية
١٨٦	الذاتية أو الاستقلال الذاتى
١٨٧	الفرق بين الشخصية والذاتية
١٨٨	العوامل التى تمتاز بها الذاتية

ص	الموضوع
١٨٨	الصراحة وعدم الالتواء فى الفكر والقول والعمل
١٨٩	صراحة عبد الملك بن مروان
١٨٩	صراحة المرحوم سعد زغلول باشا
١٨٩	كثرة التردد فى الرأى والقول والفعل تقلل من منزلة الإنسان
١٩١	تميم بن جميل والمعتصم
١٩٣	حب المسئولية وعدم الفرار منها
١٩٥	الصبر ورأى (وليام بت) فيه
١٩٦	آراء فى الصبر
١٩٦	الجزع يؤدى إلى الإخفاق
١٩٨	(إسحق نيوتن) وهبة الصبر
١٩٩	المثابرة من أهم صفات الشخصية العظيمة
١٩٩	(فوول بكستون) لم يعرف الرجوع إلى الوراء
٢٠٠	إذا وجدت الإرادة الحديدية وجدت قوة الشخصية
٢٠١	الإسكندر المقدونى ونابليون وقوة الإرادة
٢٠١	نابليون
	الفصل الثامن عشر
٢٠٢	الإخلاص روح الشخصية
٢٠٣	الأمانة روح الإخلاص
٢٠٣	الغيرة على العمل نتيجة الإخلاص
٢٠٤	تظاهر الإنسان بغير الحقيقة ينافى الإخلاص
٢٠٤	رأى (مارك رذرفورد) فى الإخلاص

ص	الموضوع
٢٠٦	(نجاح الحاج) لجون بنيان .
٢٠٧	مما يساعد على الإخلاص الدقة فى القول والتفكير
	الفصل التاسع عشر
٢٠٩	الحماسة وأثرها فى الشخصية
٢١١	انصراف الشبان إلى الملاهى
٢١٢	قوة الهجوم
٢١٣	حسن التعبير عن الشعور
٢١٤	قوة الإحساس
٢١٥	وصف الشاعر الإنكليزى (شِلِى) للنبات الحساس
	الفصل العشرون
٢١٧	اضطراب الشخصية
٢١٨	انقسام الشخصية
٢١٨	رواية (الدكتور جيكل والمستر هايد)

ص	الموضوع
٢٢٠	مرض الشخصية الإنسانية واضطرابها
٢٢٠	أمثلة لانقسام الشخصية
٢٢١	المرأة العاهر
٢٢١	الضابط الفرنسى
٢٢٢	الولد المريض بالماليخوليا
٢٢٢	ابن سينا والرجل المصاب بالماليخوليا
٢٢٤	ابن سينا والأمير المريض
٢٢٦	اختلاف الشخصية والسلوك
٢٢٦	رد الدكتور (مورتون برنس) على من يشك فى تعدد الشخصية
٢٢٨	أسباب انقسام الشخصية وما يعترى المريض فى حالته غير الطبيعية
٢٢٨	الرجل السكير وابنته الصغيرة
٢٢٩	تحليل الشخصية
٢٣١	المراجع العربية
٢٣٢	المراجع الإنكليزية

١٩٤٤/٣/٤/١٢٢٠

كتب أخرى للمؤلف

		ص
(١)	روح التربية والتعليم	٥٠
(٢)	الاتجاهات الحديثة فى التربية	٥٠
(٣)	التربيـة والحياة	٥٠
(٤)	فى علم النفس ج ١ بالاشتراك مع الأستاذين عبد القادر ومظهر	٤٠
(٥)	فى علم النفس ج ٢ بالاشتراك مع الأستاذ عبد القادر	٥٠
(٦)	« « « ج ٣ « « « «	٦٠
(٧)	التربية الإنكليزية	٣٠
(٨)	أروع القصص	١٠
(٩)	قصص فى البطولة والوطنية	١٠
(١٠)	خليفة فى الخيال	١٠
(١١)	الحصان المسحور	١٠
(١٢)	فى سبيل الوطن	١٠

بالاشتراك مع الأستاذين : جوهـر وعبد اللطيف

(١٣) المفصل فى اللغة السريانية وآدابها (طبعة الوزارة)

(١٤) الأساس فى اللغة العبرية وآدابها (طبعة الوزارة)

الثمن ٣٠ ص

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the library rules or by special arrangement with the Librarian in charge.

DATE BORROWED	DATE DUE	DATE BORROWED	DATE DUE
C28 (449) M50			

150 Ib5

150 Ib5

Ibrashi

Al-shakhsiya.

MAY - 6 1949

BINDER
R-106

JUN 29 1949